

مدارس الشعر الحديث

دكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ الإسكندرية

مدارس الشعر الحديث



الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن
درياله فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ / ٠٠٢٠٣ (خط) موبايل / ٠١٠١٢٩٣٢٣٣
الرقم البريدى: ٢١٤١١ الإسكندرية جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com

Website

[http:// www.dwdpress.com](http://www.dwdpress.com)

عنوان الكتاب: مدارس الشعر الحديث

المؤلف: د. محمد عبد المنعم خفاجى

رقم الإيداع: ١٠٩٩٨ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 3 - 373 - 327 - 977



تصدير

الشعر الحديث فصل طويل في باب الشعر العربي، وصفحات كثيرة مملوءة بفكر شعراء كبار أشعلوا نار النهضة، ورفعوا لواء التجديد، وحملوا رسالة القريض وأدوها دون التواء، وترنموا على فيثارة الشعر بأحلى ألحان الجمال والطبيعة والحرية.

مدارس كثيرة متعاقبة، ورواد كبار أعلام، وحركات تجديد متصلة، ومعارك نقدية لا تنتهي، وتطور كبير للقريض لم يشهد مثله عصر من العصور. وهذه المدارس، والحديث عنها، ودراسة أثرها وجهودها من أجل نهضة الشعر وازدهاره .. هو موضوع هذا الكتاب الذي أسعد اليوم بتقديمه إلى القراء والنقاد.

وأرجو أن يكون للكتاب أثره في خدمة الشعر، والنهوض به، ورفع رايته خفاقة ترفرف في آفاق العروبة والإسلام.

المؤلف

مع مدارسنا الأدبية

١- الشعر العربي المعاصر وآثاره تتمثل مفاهيمه في كثير من التيارات الظاهرة والخفية التي توضح تطوره، وتصور ملامحه، وترجم عن مضامينه وعن إبداعاته الفنية.

٢- وأبدأ فأقول إن الشعر المعاصر في مصر يبدأ ببدايات القرن العشرين كما يرى الدكتور طه حسين، أو بثورة عام ١٩١٩ كما يرى الدكتور محمد مندور، أو ببداية عام ١٩٢١ حيث ظهر كتاب الديوان للعقاد والمازني كما ذهب إليه في بعض محاضراتي، أو ببداية عام ١٩٣٠ كما ذهب إليه في بعض آخر من محاضراتي.

والأرجح أن نعد ظهور كتاب الديوان عام ١٩٢١ هو بداية الشعر المعاصر في مصر، لما أحدثه الكتاب من ظهور المدارس الشعرية، وفي مقدمتها مدرسة الديوان، ثم مدرسة أبوللو، بل لما أحدثه كذلك من سيادة المذهب الرومانسي وغلبته للمذهب المحافظ (الكلاسيكي) في الشعر، الذي كان يتزعمه شوقي وحافظ وشعراء مدرستهما مدرسة البعث والإحياء.

٣- وقد ظهرت مدرسة الديوان الشعرية عام ١٩٢١ بظهور كتاب "الديوان" النقدي. ثم ظهرت مدرسة أبوللو عام ١٩٣٢ بريادة الدكتور أحمد زكي أبو شادي. وتبع ذلك ظهور شعر الطبيعة، والشعر الوجداني والشعر التأملي، والشعر الإنساني، والشعر الغنائي .. من حيث كانت أهم الألوان الدائعة عند شعراء مدرسة شوقي وحافظ هي: "الشعر السياسي أو الوطني، والشعر الاجتماعي، والشعر الديني، والشعر الوصفي، والشعر الحكيم ..

وقد تولدت المدرسة الواقعية في الشعر بالبدور الأولى لشعر الشاعر محمود أبو الوفا وأحمد محرم ومحمد الأسمر ومحمود غنيم، ثم توالى شعراء الواقعية جيلاً بعد جيل ..

ومن بيئة المدرسة الواقعية تولد الشعر الحر الذي يختلف الباحثون في أول رائد له، وفي اسمه، وفي مضمونه، اختلافا كثيرا...

٤- على أن التيارات الخفية التي أثرت في الشعر المصري المعاصر كثيرة، وفي مقدماتها: الأصول التراثية للشعر العربي خاصة وللثقافة الأدبية عامة، وذيوع الثقافات الشعرية الحديثة العالمية في مصر، بالترجمة، وبالاتصال المباشر بالآداب وبمدارس الشعر العالمية، إلى انتشار حركة الرومانسية في الشعر المعاصر التي قادت خطى التجديد والمجددين في الشعر المصري، والتي تزعمت كل حركات الإبداع الفني لشعرنا المصريين؛ والتي حملت عصا الحوار بين العموديين من الشعراء المعاصرين وشعراء الشعر الحر الذين تحرروا من قيود العمودية، ولاذوا بأنفسهم، وعكفوا على موسيقى خاصة لهم، ينظمون منها شعرهم المتحرر من القافية وحدها حيناً، ومن القافية والوزن حيناً آخر.

الباب الأول

مدرسة البعث والأصالة

مدرسة البعث

(١)

شهد الأدب العربي قبل العصر الحديث أحداثاً جساماً. وعاش في ظلال دول لم توجه اهتمامها إلى الأدب والشعر. وسكن إلى الراحة والنوم العميق. لم يعبر عن صخب الحياة وضجيجها من حوله. ولم يصور المحن والآلام التي كانت تعيش فيها شعوب العرب. وباعد بينه وبين الحياة والناس والطبيعة من حوله.

فكان الشعر أيام الأتراك العثمانيين على ما عرف من ركافة الأسلوب وضعف المعنى والولوع بالمحسنات البديعية. والنظم في تافه الأغراض وسقيم المعاني. ووجدنا العامي والدخيل يملأ ألفاظه بالي والعجز والحصر. وعاش الشعراء بعيداً عن الأمراء وأشباعهم. إذ لم يجدوا فيهم آذاناً صاغية أو قلوباً واعية ولم يجدوا فيهم نفوساً تلمح إلى نهضة أدبية مزدهرة. فلم يجد الشعر من أسباب النهوض ما يرفع شأنه أو يقوى في الوجود سلطانه. وكان لسوء الحالة الاجتماعية من فقر ومرض وجعل أثره الشديد في ركود الشعر وضعفه، وأخذت البديعيات والألفاظ والتاريخ الشعري تملأ صفحة الشعر بالوهن، إلى الخيال السقيم والصور الشعرية الباهتة.

ومضى على ذلك الحال عصر "محمد علي" ومن بعده إلى "إسماعيل". وكانت حركة الإصلاح السريعة مادية عسكرية ولم تكن أدبية أو فكرية فلم ينتفع بها الشعراء إلا قليلاً. بيد أن بعض الولاة عرفوا للشعراء مكانتهم فقرّبوهم وأدّنوا منهم مجالسهم واختصوهم بقصورهم. فكان السيد علي الدرويش شاعر عباس الأول. وعلى الليثي شاعر إسماعيل. واتصل الشعراء بالأمراء وسجلوا محامدهم. وكانت هذه ظاهرة اجتماعية جديدة في الشعر. كما إنهم ولعوا بالتاريخ الشعري ولعا شديداً يسجلون به أعمال الأمراء ومنشآتهم ووفياتهم.. وكان من بين شعراء هذا العصر:

-الشيخ محمد المصري المتوفى عام ١٨١٥م.

-السيد حمد البيروتى المتوفى سنة ١٨١١م.

وفى عهد إسماعيل أخذ الشعر ينهض من كبوته. ويضيق من رقده. وتظاهرت أسباب على رقى الشعر، فتمرس الأدباء والشعراء بأساليبها. وتعمقوا عباراتها، ووعوا معانيها. واستظهروا بلاغتها. وهاجرة أدباء الشام إلى القاهرة حيث عاشوا فيها بالقرب من قصر إسماعيل. ينالون بره ورعايته ويرفعون من شأن الشعر ويشيدون بذكر القصر. ثم كانت الصحف والمجلات ودار الكتب المصرية والبعثات العلمية التي سافرت إلى أوروبا وعادت إلى وطنها. حيث أفاد أعضاؤها من معارف الغرب وأدبه وفنه. إلى ما نقل من آداب الغرب إلى اللغة العربية. مما هذب ذلك كله من أذواق الأدباء والشعراء، ونظم من أفكارهم وأخيلتهم.

وكان لإسماعيل شاعران من خاصته. هما: الشيخ علي اللبني. والشيخ علي أبو النصر المنفلوطي. فنهض الشعر وقوى نسجه واستحكم معناه ورق لفظه.

ونبغ من الشعراء في هذا العهد:

- السيد صالح مجدى.

- الساعاتي المصري المتوفى عام ١٨٨٠م.

- علي أبو النصر المنفلوطي المتوفى عام ١٨٨٠م.

- محمود قيادو التونسي من أدباء تونس المتوفى عام ١٨٦٨م وسواهم.

(٢)

وظهر البارودي وصار علما في الشعر العربي وأصبحت نماذجه صورا للبلاغة الجديدة وعلامة من علامات البعث الأدبي الجديد. وصار الشعر العربي الحديث الذي نقرؤه ونتذوقه ونحفظ روائعه التي أبدعها الشعراء العرب في كل مكان مدينا لمحمود سامي البارودي رائد شعراء النهضة الأدبية الحديثة بدين كبير.

ظهر البارودي في سماء الشعر العربي. نجما ساطعا ليحدث للسعر شبابيه ويحيى له دارس عربيته. وقد كان منذ حداثة يميل إلى الأدب. ويتذوق روائع الشعر. ويستمتع إلى ما يلقى في أندية ومجالسه من منثور ومنظوم. ثم صار يقرأ على الأدباء والشعراء النماذج المختارة ويشاطرونه فقه ما يقرأ. ثم استقل وحده بقراءة

الدواوين الشعرية لأعلام الشعر القديم. وبخاصة الشعراء الجاهليون والإسلاميون والمحدثون حتى وصل في قليل من الزمن إلى ما لا يدرك في متناول الأيام. فنظم الشعر وهو دون العشرين وصار يحدو فيه حدو القدامى. فلا يقصر عنهم ولا يقع دونهم. والبارودي مع أنه لم يدرس في مطلع حياته العروض والقافية. ولا قرأ النحو والصرف ولا طاف بمعاجم اللغة إلا أنه اتخذ الأدب هوايته والشعر حرفته تذوقا وطبعا ولا أثر للصناعة في شيء من ذلك كله. ووصل إلى ما وصل إليه عن طريق محاكاة لبلاغات القدماء حتى لا نجد له لفظا نابيا ولا أسلوبا ضعيفا وكأنما هو من الأعراب الناشئين في البلاغة والأدب .. فطرة سليمة ونفس صافية وذوق رفيع وإلهام صادق. وكان شعره في مطلع شبابه يمثل طموحه الأدبي، وأمنيته في الوقوف بجانب فحول الشعراء الأقدمين، وبخاصة شعراء العصر العباسي، جزالة لفظ، وفحولة نظم، ورصانة قافية، وإشراق ديباجة، وصفاء عبارة، وجمال أسلوب.

وكان الإمام محمد عبده يقوم في النثر بما يقوم به البارودي في الشعر، إحياء للقديم، وبعثا له، ليقوم عليه جديدا في الأدب والشعر وبلاغة القول.

وعن البارودي يقول أستاذه المرحوم صاحب كتاب "الوسيلة" الأدبية.

أولع البارودي، وهو غرض الحداثة، بحفظ الشعر، وأخذ نفسه بدراسة دواوين الفحول من الشعراء المتقدمين، حتى شب فصيح اللسان، مطبوعا على البيان، دون أن يتعلم النحو، فانطلق يقول الشعر في أغراضه المختلفة، ونهض به نهضة عظيمة، فأعاد إليه حلته العربية حتى شاكل شعر الشريف الرضي والمتنبي، في جزالة اللفظ، ومتانة النسيج، وقوة الأسلوب، وروعة الديباجة، ولم يتخلف عن متقدمي الشعراء في شيء، على أنه ربما أربى عليهم، بما جال به في فنون المعاني، التي تجلت بها الحضارة الجديدة، وما وصف من مخترعات كشف عنها العلم الحديث.

وبذلك كان البارودي أول شعراء النهضة الحديثة، وهو الذي رد الديباجة الشعرية إلى يهائها وصفائها القديمين، ووضع البارودي في القوالب الفنية المأثورة تفكير عصره، وأحلام معاصريه.

وصار يطلق على شعره وشعر معاصريه ممن تأثروا به شعر مدرسة البعث والإحياء والتجديد.

كان يعاصره في العراق: عبد الغفار الأخرس، ومحمد سعد الحبيبي النجفي، وحيدر الحلبي، وعبد الحميد الشاوي، وكان أشهرهم هو الحبيبي الذي اشتهر بموشحاته الغنائية، وشعره الوجداني، كما اشتهر الشاوي بوطنياته، وكان الموجه للشعر والشعراء في العراق محمود شكرى الألويسى، وفي السعودية كان من معاصريه: ابن عثيمين، وأحمد إبراهيم الغزاوي، وابن بليهد.

وفي تونس: صالح السويسي وحسين الجزيري، ومحمد الشاذلي خزانة دار، وسعيد أبو بكر، وسواهم.

وفي المغرب: محمد المختار السوسي، والمكي الناصري، ومحمد بن إبراهيم، وعبد الرحمن حجي حمد العثماني، وغيرهم.

ولكن البارودي من بينهم كان أكبر تأثيراً في النهضة الأدبية والشعرية الحديثة وكان أكثر أصالة وتجديداً للشعر من كل معاصريه. وكان رائد حركة البعث وزعيم مدرسة الإحياء في الشعر الحديث.

(٣)

ورث البارودي في مصر شاعران كبيران، هما:

—أحمد شوقي (١٨٦٩ — ١٩٣٢).

—حافظ إبراهيم شاعر النيل (١٨٧٢ — ١٩٣٢).

وبجوار هذين الرائدتين الكبيرين عاش أعلام كبار من مثل: إسماعيل صبري، وأحمد محرم، ومصطفى صادق الرافعي، وحفني ناصف وسواهم ممن تابعوا خطى البارودي وساروا في ميدانه، وجالوا في حلقته. رافعين أعلام البلاغة العربية، والذوق الأدبي الرفيع، وتأثر بالبارودي أمثال: الزهاوي، والوصافي. والشبيبي. والصابي النجفي في العراق، وفؤاد الخطيب وشكيب أرسلان وخليل مردم وبشارة الخوري وفخري البارودي في الشام، وهذه الطبقات من الشعراء، أثروا الشعر العربي،

وجعلوه تعبيراً صادقاً عن كل ما يتعلق بالمجتمع العربى فى مختلف شئونه وآلامه
وآماله وكان أمير هؤلاء هو أحمد شوقى الذى كان شعره كما يقول هو نفسه:
كان شعرى الغناء فى فرح الشر

ق، وكان البكاء فى أحزانه

وإذا كان البارودى هو الرائد الأول لمدرسة البعث، فإن شوقى هو الرائد
الثانى لها. ومدرسة البارودى وشوقى، وهى مدرسة الإحياء والعمودية، ومدرسة
البلاغة العربية، ومدرسة الأصالة والتجديد فى الشعر الحديث. لا تزال مؤثرة فى
ميدان الشعر، ولا تزال أعلامها مرفوعة.

فى العراق وجدنا: محمد على البيهقى، وحافظ جميل، ومحمد بهجة
الأثرى، والسيد بحر العلوم، ومحمود الحبوبى، ومحمد على الحومانى.

وفى مصر وجدنا حفى ناصف، ومحمد عبد المطلب، والسيد محمد توفيق
البكرى، وعلى الجارم (١٩٠٠ - ١٩٥٦)، وعلى الجندى (٤ يونيو ١٩٧٣)، ومحمود
غنيم (١٩٠٢ - ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣)، وعزيز أياظة (١٨٩٥ - ١٩٧٣)، ومحمد عبد الفنى
حسن، ومحمد مصطفى الماحى، والشاعر على الفقى، وسواهم من شعراء
(الكلاسيكية) كما يطلق عليهم، أو شعراء العمودية والأصالة والتجديد كما أسميهم.
ويقول العقاد عن رائد مدرسة البعث محمود سامى البارودى وذلك فى
كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم فى الجبل الماضى":

إن له ميزة واضحة لا نظير لها فى تاريخ الأدب المصرى الحديث، وتلك أنه
وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة، من طريق الضعف والركاكة، إلى طريق الصحة
والمثانة، كأنه القمة الشاهقة؛ وهذه وثبة قدبرة فى تاريخ الأدب ترفع الرجل بحق
إلى مقام الطليعة.

وكان من أعظم المظاهر فى تطور الشعر على أيدي مدرسة البعث هو
التزوع به إلى أساليب البلاغة العربية، وإلى مستوى ثقافة العصر وأفكاره ومعانيه
وأخيلته وصوره الشعرية وموضوعاته التى يتحدث عنها .. مع ترك الإفراط والمبالغة

وعدم الاكتراث باللفظ ومحسناته البديعية، مادام اللفظ سليماً وصحيحاً وعربياً فصيحاً.

والتجديد عند البارودي يتمثل في حركة البعث والإحياء، وعند شوقي يتمثل في الارتقاء بالشعر إلى مستوى الشعر العالمي من حيث الأفكار والمعاني والأغراض والأخيلة، وثقافة العصر، ومن حيث إثراء حركة الشعر العربي بالشعر القصصي والملحمي والمسرحي، وينظمه في السياسة والاجتماع والتأمل، والوصف للطبيعة ولمشاهد الحضارة، ومن حيث الحرص فيه على وحدة القصيدة، وعمق تجربة الشاعر، والارتقاء بموسيقى الشعر إلى مستوى البحترى وابن زيدون والشريف الرضى وأمثالهم.

وقد جعل شوقي من الشعر فناً جديراً بخطرته وتاريخه العريق، وألبسه حلة يخطر فيها في مواكب الحياة كلها وكان شوقي صانحة العروبة والإسلام في العصر الحديث.

ومن أقران البارودي وأتباعه في القرن التاسع عشر أمثال: أمين الجندى، وبطرس كرامة، وناصف اليازجى، وعبد الففار الأخرس، ونجيب الحداد، وإبراهيم الأحمد، وعلى الليثى وخليل الخورى اللبناني .. إلى شوقي وأنداده في القرن العشرين .. ظلت مسيرة الشعر متصلة ومواكبه مرفوعة للواء، في طريق البعث والإحياء، مشبعة بروح الأصالة والتجديد والعمودية الرفيعة البليغة.

ومن عجب أن يعيش البارودي حياة المنفى والاغتراب وأن يعيش شوقي كذلك هذه الحياة نفسها، متقياً غرباً، فالبارودي عاش في سيلان نحو تسعة عشر عاماً، وشوقي عاش في الأندلس نحو الست سنوات، وكلا الشاعرين أثرى الشعر بما نظم في منفاه من جديد وعبقري.

وقال حافظ في مباينة شوقي بإمارة الشعر:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً

وهذى وفود الشرق قد بايعت معي

وموسيقى شوقي الشعرية تبلغ غاية جمالها وتأثيرها وروعيتها، حتى يقال فيه ما قد قيل في البحترى من قبل: أراد أن يشعر ففنى .. وبها تأثر كل الشعراء في عصرنا.

ولا ريب أن شوقي في شعره أثار مرحلة تقدمية في الشعر العربي الحديث كما يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

وكان إعجاب حافظ بالبارودي كثيرًا ورأى له فضل التقدم، وكان شعر البارودي جسراً عبر عليه شعرنا إلى العصر الجديد، وكان تجديد حافظ في الموضوعات والأغراض، فنظم شعره في الموضوعات الجديدة، التي جعلها محور شعره، وهي الشعر الوطني والاجتماعي والسياسي.

وبعد فتلك مدرسة البعث والإحياء، أو مدرسة العمودية والعموديين التي تحافظ على عمود الشعر محافظة أصيلة، أو مدرسة الأصالة والتجديد وهي مدرسة ما أعز مكانها في الشعر الحديث، على أنها لا تزال مرفوعة اللواء مسموعة النداء، قوية الأصداء، وفيها تمثلت البلاغة العربية قوية أخاذة، وعليها وقفت مواكب الشعراء، تتأمل معجزة البيان، وجمال أعجاز الفرقان، وعبقرية الشاعر وحكمة الإنسان.

محمود سامي البارودي

(١)

عاش محمود سامي البارودي (٢٧ من رجب ١٢٥٤ - ٤ من شوال ١٣٢٢ هـ / ١٨٣٨ م - أواخر ديسمبر ١٩٠٤ م) حياته يصول في الحرب، ويفنى للحب، ويهتف بالحرية.. وكما كان بطلا من أبطال الجيش، وزاندا من رواد الشعر، كان كذلك حاديا يحدو مواكب الثورة على الفساد والاستبداد والخيانة والتدخل الأجنبي في شئون وطنه الخارجية والداخلية.

وقد عاش البارودي قبل الثورة العربية أكثر من أربعين عاما قضاها في طموح وعمل وبناء، ووصف الحرب، وغناء للحب، وفخر بالحسب والنسب، وبمصر وحضارتها ونيلها وآثارها.. ثم وقعت الثورة فعاش أيامها مكافحاً مناضلاً من أجل وطنه وشعبه.. وهزم الثوار الأحرار، ونفى البارودي مع من نفى من قادتها إلى جزيرة سرنديب (سيلان)، وفي المنفى عاش البارودي الشاعر سبعة عشر عاما (١٨٨٣ - ١٩٠٠)، قضى منها في كولومبو سبعة أعوام، وفي كندى عشرة أعوام، وظل ينظم شعره في منفاه في الحكمة والزهد والحنين إلى الوطن والأهل، ورثاء من مات من أسرته، واحداً أثر واحد. ونظمه كذلك في قص ذكرياته الماضية، وفي الحديث عن موقفه الوطني من الأحداث في وطنه قبل الثورة وبعدها وأثناءها.

أما شعر البارودي في الحب فهو شعر تقليدي مصنوع، لا ينم عن تجربة شعرية عميقة، وليس له قيمة فنية كبيرة، ولا يدخل في باب الهوى العذري أو القصصي، وأغلب الظن أنه كتبه مجازاة لأعلام الشعراء في عصره: من مثل عبد الله فكري، ومحمود صفوت الساعاتي، وعبد الله نديم، وسواهم.

ومع ذلك فهو كثير في ديوانه. وفيه يتحدث البارودي عن ألم الحب وعذابه ولوعته وحرمانه، ويناجي غادة الروضة (حيث كان سكناه في مقياس الروضة)، كما ناجى من بعد غادة حلوان (حين انتقل سكناه إليها)، فيقول:

لم أدر هل شعر الزمان بلوعتي
فرثي لها أم هاجت الدنيا معي
أبكى فيرحمني الجماد ولا أرى
خلا يرق إلى شكاتي أو يعي
قد طالما يا قلب قلت لك احتبس
أرايت كيف يجيب من لم يسمع
يا ظبية المقياس هذا مدمعي
فردى، وهذا روض قلبي فارتعي
وهنا نجد الصفة التي لازمت شعره في طوره الأول، طور التقليد والاحتذاء
والمعارضة، والصنعة يقيودها الفنية عذيلة للتجربة الشعرية المتحررة العميقة المعبرة
عن ذات الشاعر ومشاعره الدفينة.
ويتألم البارودي من نار الهوى التي يكتوى بلهجها، والتي تكاد تحرق
أضله لولا دموعه الغزيرة، فيقول:
وبلاه من نار الهوى إنها
لولا دموعي أحرقت أضلعي
ويتعجب كذلك لقلبه الذي ليس تهدأ لوعاته، فيقول:
ما لقلبي من لوعة ليس تهدأ
أو لم يكف أنه ذاب وجدا؟
وسمتني بنارها النيد حتى
تركتني في عالم الحب فردا
ويستعطي الشاعر أحاديث الشوق، لأنها تطفئ لوعته، فيقول:
فيا سعد حدثني بأخبار من مضى
فأنت خير بالأحاديث يا سعد

وهو كأنه مأخوذ من قول ابن المعتز:
 وحدتني يا سعد عنهم فزدني
 جنونا فزدني من حديثك يا سعد
 ثم يترسل البارودي في شعره، فيقول:
 لعل حديث الشوق يطفئ لوعة
 من الوجد أن يقضى بصاحبه الفقد
 هو النار في الأحشاء لكن لوقعها
 على كبدي مما ألد به برد
 وما كنت لولا الحب أخضع للتي
 تسيء، ولكن الفتى للهوى عبد
 ويقف البارودي أمام الحب، وجها لوجه، فبراه شينا كبيرا، حيث يقول:
 لكل شيء وإن تمادى حد وما للفرام حد
 فليس قبل الفرام قبل وليس بعد الفرام بعد
 وهكذا مضى البارودي يتحدث في شعره عن الحب والمرأة والجمال، وهو
 في عصر شبابه وحرته وانطلاقه، حتى كانت الأحداث التي أحاطت ببلاده من كل
 جانب، وهو الوطني الصادق في وطنيته، والمصري الصميم في مصريته، والممتلىء
 القلب والجوانح والمشاغرة بحب مصر ومجدها وتاريخها وحضارتها ونيلها وآثارها
 وأهلها وأرضها، وإن كان ينحدر من أصل تركي أو شركسي، وإن كان يعيش قريبا من
 الخديويين مستظلاً بظلمهم، وبخاصة إسماعيل الذي ضمه إلى حاشيته، ثم اختاره في
 حرسه، ثم أنعم عليه بالرتب والمناصب الكبيرة، وشاهد الشاعر آثار الفساد السياسي
 والإقطاع والنقود التركية والشركسي في الإدارة والجيش، وآثار التدخل الأجنبي
 في حكم مصر، فانتقلب نازراً متحمساً لكل قضايا وطنه، يفتديه بروحه ومهجته .. وصور
 مختلف مظاهر ثورته في شعره، فكان شعره في الحرية، وهو شعر أصيل عميق في
 نفس الشاعر، يرفع من مكانته، ويجعلنا نؤمن بأن البارودي من أجله يستحق أن

يكون الشاعر القومي والوطني الأول في عصرنا الحديث، منذ بدء النهضة حتى اليوم.

نادى البارودي بوجوب الثورة على الظلم والفساد، فقال:

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت

عليه فلا يأنف إذا ضاع مجده

ويقتل داء رؤسة العين ظالمًا

يسىء ويتلى في المحافل حمده

عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش

بها بطلا يحمى الحقيقة شدة

ورأى أن الدل والرضا بالظلم، والركون إلى الآمال الكاذبة، عار على الإنسان الماجد النبيل. فقال:

من العار أن يرضى الدنية ماجد ويقبل مكلوم المنى وهو سافر

بل لقد أخذ يدعو الشعب إلى الثورة على جلاديه، فيقول:

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصة وفي الدهر طرق جمة ومنافع

أصبرا على مس الهوان وانتمو عديد الحصا إني إلى الله راجع

وكيف تسرون الدل عيشة قانع وذلك فضل الله في الأرض واسع

ودعا الشعب إلى أن يهب للمطالبة بحقوقه في الحرية والكرامة والعدالة،

فقال:

فطالبوا بحقوق أصبحت غرضا

لكل منزع سهما ومختل

لا تتركوا الجد أو يبدو اليقين لكم

فالجذ مفتاح باب المطلب العضل

حتى تعود سماء الأمن ضاحية

ويرفل العدل في ضاح من الحلل

قد أصبح الناس في عمياء مظلمة
 لم يخط فيها امرؤ الا على رل
 لم أدر ما حل بالأبطال من خور
 بعد المراس وبالأسياف من فلل
 أصوحت شجرات المجد أم نضبت
 غدر الحمية حتى ليس من رجل
 وبترسل البارودي في الحديث عن جلادى الشعب. فيقول:
 ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
 قواعد الملك حتى غل في خلل
 ويكرر ذلك أيضًا، وهو يعلل النفس بالصبر والأمل. فيقول:
 تنكرت مصر بعد العرف واضطربت
 قواعد الملك حتى ريع طائره
 يا نفس لا تجزعى فالخير منتظر
 وصاحب الصبر لا تبلى مرائره
 وعاش البارودي في قلق، حيث الظلم والظلام يعمان أرض مصر وسماءها،
 وحيث يرى الشاعر أن لا علاج لذلك إلا الثورة، بيضاء أو حمراء، لأنها هي التي
 ستقتلع أسس الفساد والاستعباد من أرض مصر. فقال:
 تائه أهداً أو تقوم قسيمة فيها الدماء على الدماء تراق
 أنا لا أقر على القبيح مهابة إن القرار على القبيح بمناق
 والقبيح هنا هو ما كان يجرى على مسرح الأحداث في مصر آنذاك، من
 ظلم صارخ. واضطهاد للحريات. وانتهاك للحرمات. ونهب لأموال الشعب. وتدخل
 أجنبي سافر بغيش.
 لم يسكت البارودي، لأنه كان يرى أن السكوت على الباطل جبن ونفاق،
 وأن الرضا بالظلم دلة ورياء وأن عدم الانتصار للحق عار وهوان يقول في ذلك

فلا رحم الله أمراء باع دينه
 بدنيا سواه وهو لالحق وامق
 فإن نافق الأقوام في الدين خسة
 فإنني بحمد الله غدير منافق
 على إنني لم آل نصحا لمعشر
 أبي غدرهم أن يقبلوا قول صادق
 ولكنني ناديت بالعدل طالبا
 رضا الله واستنهضت أهل الحقائق
 أمرت بمعروف وأتكرت منكرا
 وذلك حكم في رقاب الخلائق
 وكيف يكون المرء حرا مهذبا
 ويرضى بما يأتي به كل فاسق
 وخاطب البارودي الظالمين من حكام مصر وجلاديه في عصره، فقال:
 يا أيها الظالم في ملكه أغرك الملك الذي يستعد
 اصنع بنا ما شئت من قسوة فالله عدل والتلاقي غد
 وعلل الشاعر قسوة الحاكمين على الشعب بسكوته عن ظلمهم واستبدادهم،
 فقال:
 وكذلك السلطان إن ظن بالأمم عجزا سطا عليها وشدا
 وتفاقت الأمور، فأخذ يتنبأ بالثورة التي يراها بعين بصيرته، فقال:
 إنني أرى أنفسا ضاقت بما حملت وسوف يشهد حد السيف شاهره
 بل لقد حدد موعد الثورة تحديدا دقيقا، بعد أن رأى تفاقم الأحداث،
 وغليان النفوس بالثورة، فقال إثر ذلك البيت:
 شهران أو بعض شهران هي احتدمت
 وفي الجديدين ما تغني فواقره

لعل بلجة نور يستضاء بها

بعد الظلام الذي عمّت دياجره

ووقعت الواقعة، وقامت الثورة العربية بالتحام الشعب والجيش، واشترك
البارودي فيها: جندياً ثائراً، وقائداً مسئولاً، وكانت خيانة الخديوى وحاشيته،
وأعوانه، ودخل الإنجليز أرض الوطن محتلين، ونفى البارودي إلى سيلان.
وفى المنفى نظم أجمل أشعاره، وأكثرها أصالة وإبداعاً وطلاقة، وتعبيراً عن
النفس.

وها هو ذا يعذر نفسه من الفشل الذي منى به قادة الثورة، فيقول:

صبرت على ريب هذا الزمان ولولا المعادير لم أصبر
فلا تحسبني جهلت الصواب ولكني هممت فلم أقدر

وهو يرى نفسه أمام محكمة التاريخ، فيقول:

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني

ذنّب أدان به ظلما وأغترب

أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت

أيدى الحوادث مني فهو مكتسب

ويذكر وهو في المنفى ماضيه الجميل، والقدر الذي قدر له، معللاً نفسه

بالصبر الجميل، فيقول:

عصر تولى وأبقى في الفؤاد هوى

يكاد يشمل أحشائي بإحراق

والمرء طوع الليالي في تصرفها

لا يملك الأمر من نجاح وإخفاق

يا قلب صبرا جميلا أنه قدر

يجري على المرء من أسر وإطلاق

لابد للضيق بعد اليأس من فرج
وكل واجبة يوما لإشراق
ويحن الشاعر في متفاه البعيد إلى وطنه الحبيب، وإلى سكنه القديم في
روضة المنيل الجميلة، فيقول:
أين أيام لذتى وشبابي
أتراها تعود بعد الذهاب
ذاك عهد مضى وأبعد شيء
أن يرد الزمان عهد التصابي
ليت شعري متى أرى روضة المنى
سبل ذات النخيل والأعنان
ذاك مرعى أنسى وملعب لهوى
وجنى صبوتى ومغنى صحابي
لست أنساه ما حييت وحاشا
أن ترانى لعهد غير صابي
يا نديمى من سرنديب كفا
عن ملاهى وخليانى لما بى
كيف لا أندب الشباب وقد أصب
حسرت كهلا فى محنة وغتراب
ويعود الشاعر من المنى إلى وطنه عام ١٩٠٠، فيستقبله بقصيدته الرائعة:
أبابل مرأى العين أم هذه مصر فإنى أرى فيها عيوننا هى السحر
ويرى قصر الجزيرة مقر الحكم فى عهد إسماعيل، حيث كان البارودى
يعيش تحت سمعه وبصره، ويرى جنود الاحتلال تدنس أرضه الحرة، فيقول قصيدته
الرائعة فى قصر الجزيرة، ومنها هذا البيت الذى وجهه إلى المحتلين:
يا أيها السادر المزور من صلف مهلا فإنك بالأيام منخدع

وبعد أربعة أعوام من عودة للشاعر يرحل إلى عالم الخلود، ويصبح ذكرى خالدة على مر الأيام، ذكرى شاعر وطني من أعظم الشعراء الذين أنجبهم مصر، شاعر ظل يعتذر طوال حياته بشعره، ويقول:

سبقى به ذكرى على الدهر خالدا

وذكر الفتى بعد الممات خلوده

ويرى أن الإنسان في حياته وموته ذكرى فحسب:

فاختر لنفسك ما تعيش بذكره والمرء في الدنيا حديث يذكر

وانتهت حياة شاعر جمع بين مجد السيف ومجد القلم، وقال:

فأصبحت محسود الجلال كأنني على كل نفس في الزمان أمير

إذا صلت كف الدهر من غلوانه وإن قلت غصت بالقلوب صدور

ملكنت مقاليد الكلام وحكمة لها كوكب فخيم الضياء منير

- ٢ -

وفي المنفى يبلغ الشاعر وفاة زوجته، فيرثيها بقصيدته المشهورة:

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي تقوى على رد الحبيب الفادى

وكان مما عاونه على الشاعرية كثرة اطلاعه على الشعر العربي في عهده

الزاهرة، ثم مزج ذلك الرصيد القوي بما طالعه في اللغات الأجنبية.

أنه هو الرائد الأول للنهضة الشعرية العربية، الذي أحيا الشعر والأدب بعد

طول خمول.

وهذه (مختارات البارودي) الرائعة التي اتكب الشاعر على جمعها وتدوينها

بعد عودته من المنفى.

فلقد جمع البارودي في مختاراته طائفة من القصائد العربية الرائعة التي

أبدعها الفحول في أزهى العصور العربية. وكان لهذه المختارات فضل عظيم في

اكتشاف مواهب الشعراء الذين تتلمذوا على البارودي وأفادوا من خبراته، واستقوا

من معينه. فإذا قلنا أن البارودي هو الذي بعث النهضة الأدبية الرائعة في العصر

الحديث، ومهد لها السبيل، لم تكن مغالين في ذلك، ولا متجاوزين حادة الصواب. فكل أفذاذ الشعراء الذين ظهروا فيما بعد البارودي، هم تلامذته وأبناؤه. ويكفى أن نقول في هذا الصدد أن إسماعيل صبري باشا، الشاعر الوجداني الرقيق، اعترف بأستاذية البارودي له. وقد أعد قصائد كثيرة بطرى فيها رائد المدرسة الحديثة. وجاء من بعد إسماعيل صبري، شوقي الذي فتن البارودي وصبري معا، وكذلك كان الحال مع حافظ إبراهيم، خليل مطران، وغيرهما من الشعراء الممتازين.

هذا فيما يتعلق بشعراء مصر، غير أن أثر البارودي قد امتد إلى أرجاء العالم العربي حتى أن شعراء الشام ولبنان والعراق قد تأثروا بدورهم بالنهضة الشعرية التي حمل لواءها محمود سامي البارودي تأثراً عظيماً، واعتبروه بحق موقظ الشعر العربي من غفوته الطويلة إبان الحكم العثماني التركي، وممهد الطريق أمام الشعراء الذين تألقوا من بعده، ولعل الذي هدى شعراء العرب إلى شعر البارودي هو المغفور له الإمام محمد عبده.. وذلك أثناء تجواله في ربوع العالم العربي، وأثناء إقامته في فرنسا وتلاؤه الأمير شكيب أرسلان الذي لم يلبث أن أعجب به إعجاباً شديداً، وأخذ يقلده فيما ينظم، وفي ذلك يقول الأمير شكيب أرسلان: (قلما قرأنا شعر محمود سامي البارودي سكرنا بأدبه، ورقصنا على قصبه، وبعث لنا نشوة روحية لم نعهدها في أنفسنا من قبل أن عرفناه، وعلمنا أن في المعاصرين من استطاع أن يضارع الأولين. وأن الأولين غاية لا تدرك، وأنهم إذا قرن بهم المتأخرون، أو المعاصرون، كان أولئك هم السماء، وأولئك هم الأرض، وحفظنا جميع قصائده التي في "الوسيلة الأدبية"، فلم تكن لشدة إعجابنا بها نخرم منها بيتاً واحداً، وكان حفظنا لها من أقوى عوامل الشعر فينا).

ويقول الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه عن الأمير شكيب أرسلان: (إن محمود سامي مملكة عربية. ويقرر أن الإمام محمد عبده كان يقوى فيه هذه العقيدة، ثم يقول شكيب: ولذلك كنت أنا أراني خريفاً في الشعر لمحمود سامي البارودي).

وما ينطبق على الأمير شكيب أرسلان يسرى على شعراء الأمة العربية خارج مصر، فقد كانوا تلامذة لشعر البارودى، وكانت النهضة التى قامت فى مصر بزعامة البارودى، هى المصباح الذى أضاء النهضة العربية الأدبية فى مختلف أرجاء العروبة.

وأخذ يحتل شعره، منزلة الرائد لشعراء عصره، والناهض بتراث أمته فى القريض.

وقد لبث الشعر يتعثر قبل البارودى فى أذبال التكلف والجمود، حتى هيا الله له هذا الشاعر الحكيم، فرفع لواءه، وشاد بناءه، ونهض به نهضة صار يعرف مكانها، ولا يجهل شأنها فى شعرنا الحديث.

وكان البارودى حين نشر للناس مطاراف شعره؛ خلبهم بهذه المحاسن المجتمعة، وروى ظمأهم من تلك الجزالة التى تشاق إليها النفوس فى جدها، وتحتاج إليها النهضة فى أوائلها، ودل الناس على أسباب ذلك الفضل الذى جمعه لنفسه، فعرفوا شعر القدماء، وزاد الإقبال على حفظه، والنظم على متواله، وساروا فى النهج الذى اختطه البارودى لنفسه، فترسموه، وحاكوه فى منهجه وأسلوبه وحفظوا قصائده وعارضوها؛ وأخذت تقوى ملكاتهم ومواهبهم، وأخذ الشعر يسير جزلاً فخماً شريف اللفظ، مونق الأسلوب مشرق الديباجة متلاحم النسيج، عذب الموسيقى رصين القافية.

على أن البارودى مع علو شأنه، وسمو مكانه فى الشعر، لم يكن يتجاوز أغراض السابقين، ولم يرم إلى غير أهداف المتقدمين، من غزل ومديح، وهجاء ورناء، كان قد أعرض عن الفخر، وقصر مدائحه ومراثيه على عظماء الرجال، وفى كهولته شارك بالشعر فى الأحداث الكبرى فى أمته، وأرسله فى الحكمة، وتجارب الأيام، وصروف الزمان. ووصف فواجع الخطوب والأحداث. كل ذلك فى قول رصين، يحاكى شعر فحول الشعراء العباسيين، ولا يقصر عن عبارة أعلامه المتقدمين، من أمثال البحتري وأبى تمام وابن الرومى، والمتنبي، والرضي، ومهيار والمعري وغيرهم من الشعراء الكبار فى شعرنا العربى، حتى ليتمكن أن يقال: أنه منذ مئات السنين لم يحىء من الشعراء من يفوق البارودى أو يدانيه فى ذلك كله. ويقول عنه

أستاذة المرفصى، الشيخ حسين، صاحب كتاب "الوسيلة الأدبية": "أولع البارودى. وهو غرض الحدائث، بحفظ الشعر. وأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء المتقدمين، حتى كان فصيح اللسان، مطبوعاً على الأعراب دون أن يتعلم النحو، فأخذ يقول الشعر فى أغراضه المختلفة، ونهص به نهضة عظيمة، وأعاد إليه حلته العربية، وبهجته البدوية، حتى شاكل الشريف الرضى، فى جزالة اللفظ، ومتانة السج وقوة الكلام، ولم يختلف عن متقدمى الشعراء فى شيء"، على أنه أربى عليهم، بما جال فى فنون المعانى التى تجلت بها الحضارة الجديدة، وما وصف من مخترعات أخرجها العقل الحديث، وتدور أخیلته ومعانيه بين توليداته العجيبة فى معانى السابقين وأخیلتهم، وبين ما أثارته أحاسيسه المصرية الخاصة، وهى بين مولدة ومخترة، مما كان آية القدرة، ومراد الفن، ومظهر العبقريّة؛ ومما انقطع عنه، أو عما دونه بسكثير، طموح شعراء عصره.

وقد خلق شيخ الشعراء البارودى فى وصف المعارك وفى الشكوى والحنين إلى الوطن، وفى مواقف البطولة والصمود والعزة. مما لا يطمح فى مثله إلا الأبطال المعلمون؛ ويقول عنه أحد أعلام الشعر الحديث، وأول من رد الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين، وما أعلى قريضه على قريض شعراء جيله، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعداً إلى عهد رقى أزمنة العرب.

أمير الشعراء أحمد شوقي (١٣ أكتوبر ١٩٣٢)

لم يشهد الشعر العربي الحديث مجداً كالمجد الذي عاش فيه على يدي أمير شعرائه أحمد شوقي، لقد حمل لواء الشعر أربعين عاماً والشعراء يسرون وراءه في جميع الأقطار العربية كما يقول د. أحمد ضيف، إذ كان منحة أجيال كما يقول د. علي العناني، وفاخر به جيله الأجيال كلها إذ حاز الشرف الأكبر بظهور أمير الشعراء فيه. وفي ذلك ما فيه من معاني المجد الدائم لمصر في هذا العصر كما يقول شيخ العروبة أحمد زكي باشا^(١): بل لقد نبه الجيل كله بشوقي وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة في الشعوب العربية كما يقول علي محمود طه، وكانت طاقة شوقي الفنية ضخمة وموسيقاه أعذب في جملتها من موسيقى أكبر شعراء العربية كالمصطفى، إذ كان في مجمل شاعريته وآثاره مرحلة تقدمية في الشعر العربي الحديث كما يقول د. أحمد زكي أبو شادي، وقد فاق شعراء عصره ومن قبلهم من بعد القرن الرابع الهجري بمعانيه المبتكرة التي كانت ثروة للعربية وأدائها كما يقول أحمد الإسكندري. وناهيك بعبقريته شوقي التي اعترف بها جميع الأدباء والنقاد في عصر شوقي وبعد عصره، والتي كانت كمنجم الماس يعطي الثراء والغنى دون حدود. بدأ شوقي ينظم الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره في رعاية أستاذه الشيخ محمد البسيوني الأستاذ الأول له في مدرسة الحقوق الخديوية وأقبل على دواوين الشعر وكتب الأدب وقرأ على الشيخ حسين المرصفي كتاب التشكول وديوان البهاء زهير، كما قال هو في حديث له مع سليم سرريس في فبراير ١٨٩٧، ثم قرأ شعر ابن النبيه وابن مطروح والحاجري والتلعفري فأخذ عنهم سهولة اللفظ وعدوبة الموسيقى، ونهل من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحري والمتنبي

^(١) الأهرام ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م.

والشريف الرصى والمعري ومهيار وابن زيدون وابن خفاجة الأندلسى وابن حمديس وابن هانئ وأخذ عنهم كل سمات شعره التى عرف بها، وحرص عليها، ثم قرأ آداب كتاب فرنسا وشعرائها وبخاصة شعر هوجو ولامارتين وموسيه، وجمع بين أغراض القدماء وتجديدات المحدثين، وموسيقى المعاصرين، وكتب فى أغراض جديدة من الاجتماع والسياسة والملاحم التاريخية والقصص الشعرى والروايات التمثيلية، وأجاد فى وصف الطبيعة، وعبر عن النزعات الإسلامية والوطنية والعربية، فى موسيقى صاهت موسيقى البحترى وابن زيدون وابن حمديس ومهيار، وبلغ فى عدوية اللفظ وسهولة الأسلوب ما لم يبلغ أحد من شعراء المدرسة المصرية الحديثة. وحسبنا أن الشعراء المولعين بالموسيقى فى عصره تأثروا به وتابعوه فيها، من مثل ناجى، وعلى محمود طه، وصالح جودت وأضرايهم، وكانت رسالة شوقى الأولى الغناء بمجد عصر وبتاريخ العرب والإسلام، تسعفه فى ذلك ثقافته التاريخية الواسعة. وكان شعره دليلاً قوياً على قدرة العربية على استيعاب المعانى العصرية فى أسلوب كلاسيكى ساحر، يمرح فيه الخيال، وتخطر فيه الموسيقى، وتتألق فيه المعانى والصور الفاتنة الجميلة، وكان شوقى دائماً شاعر العبقريّة كما وصفه الزيات، وكان التفات شوقى إلى المعانى دائماً يفوق التفاته إلى اللفظ إذ كان خاصية من خصوصيات فنه. وقد استطاع بعد عودته من المنفى أن يتشرب روح الشعب وأن يشاركه آلامه وآماله، وأن يعيش معه فى نضاله من أجل الحرية والتقدم، وبلغ بذلك شعره أقصى ما يمكن من الذبوع، إذ صار على لسان الجماهير، وشدا به الناس فى كل محفل.

ولقد ولد شوقى فى عام ١٨٦٨، وكانت جدته من وصائف القصر فى عصر إسماعيل، فوصلته بالخدويين من طفولته. ودخل مكتب الشيخ صالح عام ١٨٧٣، ثم التحق بالمدرسة الخديوية، ثم بمدرسة الحقوق عام ١٨٨٥، وفى عام ١٨٨٧ أرسل توفيق شاعرنا أحمد شوقى على نفقته لإتمام دراسته فى باريس، وعاد إلى وطنه عام ١٨٩١ ليعمل فى المعية السنية، وصار شاعر القصر، وفى عام ١٨٩٤ مثل مصر هو وأحمد زكى شيخ العروبة وعمر لطفى وكيل مدرسة الحقوق فى مؤتمر المستشرقين

الذى عقد في جنيف بسويسرا، وتزوج إحدى بنات حسين شاهين باشا، فبلغ المدى شعرا وجاها وثراء.

كتب شوقي قصائد في مختلف الأحداث والمناسبات، وكتب رواية "على بكت الكبير" عام ١٨٩٣، ورواية "عذراء الهند" عام ١٨٩٧، ورواية "لادياس" عام ١٨٩٩، ورواية "آخر الفراشة" عام ١٩٠٠، "شيطان بنتاءور" وقد نشرتها "المجلة المصرية" التي كان يصدرها مطران عام ١٩٠١، ورواية "ورقة الآس" عام ١٩٠٤. وصدر الجزء الأول من ديوانه وعليه تاريخ ١٨٩٨ وهو تاريخ بدء الطبع لأن الديوان لم يظهر إلا عام ١٩٠٠، وقد ظهرت له طبعة ثانية عام ١٩١١، ويشمل الجزء الأول شعره من عام ١٨٨١ حتى عام ١٨٩٨. وصدرت طبعة ثانية كاملة للشوقيات قبل وفاته بقليل، فظهر الجزء الأول في مايو ١٩٢٦، والثاني عام ١٩٣٠ والثالث (المراثي) سنة ١٩٣٦ بعد وفاته، والرابع عام ١٩٤٢، وأصدر المرحوم محمد صبرى السوربوني بعد ذلك بأكثر من عشرين عاما "الشوقيات المجهولة". ولشوقي كتابه النثرى الجميل "أسواق الذهب" وقد ظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٣٢، والثانية عام ١٩٥١. وله كتاب "دول العرب وعظماء الإسلام"، وهو ملحمة شعرية تاريخية، طبعت بعد وفاته عام ١٩٣٣، أما رواياته المسرحية: فقد ظهرت الطبعة الأولى لرواية "مصرع كليوباترا" في أبريل عام ١٩٢٨، وظهرت رواية "قمبيز" عام ١٩٣١. وصدرت الطبعة الثانية لرواية "على بكت الكبير" في مارس عام ١٩٣٣ مع تعديل جوهري عما في الطبعة الأولى. وظهرت رواية "مجنون ليلى" عام ١٩٣١، ورواية "عنتره"، و"أميرة الأندلس" عام ١٩٣٣، ثم رواية "السيدة هدى" التي طبعت بعد وفاته بكثير. أما روايته "البخيلة" فلا تزال غير مطبوعة. وظهرت روايته "قمبيز" قبل وفاته بقليل.

وفى عام ١٩٢٧ عقد في مصر مؤتمر لتكريمه اشترك فيه شعراء مصر وشعراء العالم العربى، حيث بايعوه بإمارة الشعر.. وتوفى شوقي في ١٣ جمادى الثانية من عام ١٣٥٦ هـ - ١٣ أكتوبر من عام ١٩٣٢. فبكنه مصر والعالم العربى أحر بكاء. وأقيم مهرجان كبير لتأبينه فى دار الأوبرا المصرية فى مساء يوم الأحد الرابع من ديسمبر عام ١٩٣٢، كما أقيمت حفلات التأبين له فى جميع أنحاء الوطن العربى. وفى

المهجر الأمريكي، وفي مختلف المدن المصرية، وأبن في القاهرة في مهرجان شعري كبير آخر في مدرسة التجارة العليا بالمنيرة في الخامس من ديسمبر عام ١٩٣٢ وكتب عن شوقي في حياته وبعد مماته آلاف المقالات، والعديد من الدراسات النقدية التي لا تحصى.

وكان نفى شوقي إلى أسبانيا عام ١٩١٤ حتى فبراير عام ١٩٢٠، بسبب الظروف السياسية آنذاك من أهم الأحداث الكبرى في حياته، وفي شاعريته، وفي صلته بجماهير أمته.

ولقد هاجم مصطفى صادق الرافعي شعر شوقي بمقال مستعار التوقيع كتبه عام ١٩٠٥ في مجلة الثريا، وقسم فيه شعراء مصر إلى طبقات ثلاث:

الأولى: جعل فيها البارودي، والكاظمي، وحافظ، والرافعي نفسه.
والثانية: جعل فيها صبري، وشوقي، ومطران، والبكري، وأمين الحداد، ومحمود واصف، وشكيب أرسلان، وحفني ناصف، ومحمد هلال إبراهيم.
والثالثة: جعل فيها الكاشف، والمنفلوطي، وأحمد محرم، وإمام العبد، وأحمد نسيم، ومحمد النجفي، والعري.

وقال في المقال: إن شهرة شوقي ترجع إلى خلو الجو له آنذاك، إذ كان الكاظمي في العراق، والبارودي في المنفى في سيلان، وحافظ في السودان، والرافعي لم يكن قد شهر بالشعر بعد.

ثم هاجمته أيضًا مدرسة الديوان التي كان روادها هم عبد الرحمن شكري، والعقاد، والمازني. وأصدرت كتابها المشهور "الديوان" عام ١٩٢١، الذي حمل نقداً قاسياً لشوقي وشعره.

ومع كل ما وجه إلى شوقي من نقد فقد بقي اسمه، وخلد شعره، على مرور الأجيال، وكأنه نجم علوي ساهر متجدد على مر السنوات.

وليس بدعا في سنة الله أن ينتضح طبع شوقي بكل هذا البيان العربي، وهو فتى لا يتصل نسبه بأبناء العرب من أمه وأبيه بسبب، ولا كان محصوله من لغتهم وأشعارهم ومظاهر بلاغتهم بأوفر من محصول من نشأ فيهم من أهل البيان، وإلا فمن علم البدر كيف يتألق؟ ومن علم الغدير كيف يترقق؟ ألا ذلك تقدير العزيز العليم.. كما يقول الرافعي - رحمه الله ورحم أمير الشعراء -.

حافظ إبراهيم

١٨٧٢ - ١٩٣٢

فى الواحد والعشرين من يوليو ١٩٣٢ مات شاعر النيل، حافظ إبراهيم؛ فبكاه الشعب وهو فى أعظم مراحل نضاله الوطنى ضد الاحتلال والقصر؛ وطوى بموته أحلى صوت وطنى عرفته مصر من فوق منبر الشرق، كما قالت مجلة أبولو فى عددها الخاص الذى صدر فى الذكرى الأولى لوفاة فى يوليو ١٩٣٣. وكان حافظ لسان العصر الذى عاش فيه، وصوت الشعب الذى أنجبه؛ كما قال المازنى فى كلمته فى الذكرى.

وحقًا كان حافظ شاعر النضال الوطنى فى الثلث الأول من القرن العشرين؛ بل كان هو مصر الثائرة، كما كان مصر الشاعرة، وليس بالقليل أن يصبح شاعر لسان أمته، والهاتف بنجوى روحها بسر ضميرها، والمصور لأفراحها وأحزانها، لآمالها وآلامها، فى نزاعها نحو الحرية وطلب الاستقلال.

وكان الإمام محمد عبده قد أحاطه بكثير من رعايته بعد أن أقيمت أمانة الحركة الوطنية فى يدى الإمام أثر عودته من المنفى فى أعقاب فشل الثورة العربية، واحتلال الإنجليز لأرض الوطن بمعاونة الخديوى الخائن توفيق ابن إسماعيل. وكان حافظ ضابطًا صغيرًا فى السودان فى لواء المدفعية (الطوبجية)، وقد تعرف بالإمام الذى كان فى زيارة عمل للسودان، ولما عاد الإمام إلى القاهرة بعث حافظ إليه رسالة يشكو فيها بثه وحزنه، لهومومه النفسية، وأكثرها كان يسبب مأساة وطنه الأكبر، ويسأله فيها أن يعاونه فى العودة إلى القاهرة، ووعدده الإمام خيرًا، ولم يلبث حافظ أن عاد إلى القاهرة، ليحاكم فيها بتهمة التآمر، إثر ثورة الضباط المصريين فى السودان ضد الإنجليز فى أواخر عام ١٨٩٩م؛ وعاد معه رفاقه الضباط المصريون الثمانية عشر، المتهمون بمثل تهمة. وبفضل الإمام صدر عفو الخديوى عن حافظ، وعادت إليه طمأنينته وحرية.

وكانت هذه الفترة أخرج مراحل حياة حافظ، الذى ولد فى ديروط فى ٤ فبراير ١٨٧٢، وذاق مرارة البني، إذ توفى والده وهو ابن عامين، ثم شاهد هزيمة الثورة العربية ومأساة احتلال إنجلترا لوطنه. وهو فى العاشرة من عمره، وقضاء

الاحتلال على كل الأحرار والوطنيين في مصر. وحين تخرج من المدرسة الحربية وعمل ضابطاً في السودان، أصبحت البلاد في قبضة الضابط الإنجليز. وسيطرتهم الكاملة على الجيش المصري العظيم، وإدلائهم للعناصر الوطنية الثائرة فيه، وعاد حافظ إلى الجيش بعد الغزو الخديوي، ولكنه لم يلبث أن فصل لأنه من دعاة الحرية، ومن مدرسة الإمام محمد عبده، التي لم يعلق الإنجليز أن يوجد أحد منها في الجيش، وعاهد حافظ الإمام على أن يعيش للشعب، وأن يجعل من شعره مشاعل تضيء الطريق لأمته، في نضالها لأعداء الحرية والوطن.

وبعد قليل توفي البارودي أحد زعماء الثورة العربية عام ١٩٠٤ لم تلاه الإمام محمد عبده في يوليو عام ١٩٠٥، فبكاهما الشاعر والشعب ثم كانت دنشواي، فكتب حافظ فيها قصائده الوطنية الملتهية. وبعد قليل وفي عام ١٩٠٨ توفي الزعيم الوطني مصطفى كامل فرثاه الشاعر بمرث بليغة. وظل يعيش على التكفاف حتى بلغ الأربعين إلى أن كللت مساعي سعد - وهو من زملاء حافظ في مدرسة الإمام - بالنجاح والتحق الشاعر بوظيفة في دار الكتب المصرية عام ١٩١١، وظل فيها عشرين عاماً حتى أحيل إلى المعاش في أوائل عام ١٩٣٢، وبعد عدة شهور واثه الأجل في ٢١ يوليو ١٩٣٢، وبلا ريب كانت الوظيفة قيد للشاعر يحد من حريته، ويحول بينه وبين آمال الوطن والشعب فيه.

-٢-

صور حافظ في شعره بؤسه وهمومه، وصار يردد مثل قوله:
سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما
وعدت وما أعقبت إلا التندما
وبيكى لوطنه وللحرية المكبوتة فيه:
إذا نطقك فقاع السجن متكئ
وإن سكك فإن النفس لم تطب
أيشكى الفقر غادينا وراحتنا
ونحن نمشي على أرض من الذهب

ويكتب حافظ قصائده الوطنية في دشواي، حيث نهزه المأساة، فيصرح في وجه الاحتلال:

ليست شعري أثلك محكمة التمد

تتش عادت، أم عهد نبرون عاد؟

ويؤكد حق أمته في الحرية والحياة:

إذا الله أحيا أمة لن يردّها

إلى الموت قهار ولا متحبر

ويبكي زعماء وطنه: البارودي، محمد عبده، مصطفى كامل، وكان مشهوراً بجودة الرثاء، لا يبذه فيه شاعر آخر من معاصريه.

وفي ثورة الأمة عام ١٩١٩ نظم قصيدته في مظاهرة النساء، ثم كتب قصيدته مصر، وصار حافظ شاعر الوطن والشعب، وأصابت صحيفة الأهرام حين لقبته شاعر النيل، وأقر النقاد والكتاب والشعراء هذا اللقب، إذ صار شاعر الحياة القومية، يمثل قصيدته عن اللغة العربية، وعن الحجاب والسفور، وعن أزمات المال والسياسة ومضاربات الأعيان في سوق القطن، ونهب الأجانب لثروات البلاد، وفي الدعوة إلى بعض المشاريع الاجتماعية الشعبية. بل اتسعت دائرة وطنيته، فشملت العروبة في مثل قصيدته "سورية ومصر"، بل الشرق - كما في قصيدته "أنا يابانية". بل كتب شعراً إنسانياً رفيعاً كقصيدته في حريق ميت عمر، وقصيدته في زلزال مسينا.

وأصبح حافظ - بسبب من ذلك كله - يعتلى ذروة الشعر العربي الحديث، هو وشوقي. حتى ليقول د. أحمد زكي أبو شادي: إن اسم حافظ لى يسى في تاريخ الشعر العربي: وأعلى هيكل والعقاد وشكري ومطران وطه حسين وشوقي صيف وخفاجي السحرنى وأكثر النقاد من منزلته في الشعر الحديث: بل صار يعد زعيماً من كبار الزعماء الوطنيين المخلصين، يتغنى الشعب بشعره، ويفضله على سائر الشعراء، كما قال الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباطة من قبل. واحتتم لحافظ من متخير القول، ومصطفى الكلام شعراً ونثراً، ما لم يحتتم لشاعر. ويساويه النقاد بشوقي. وآخرون يعلون من منزلة شوقي، ويقولون ما قاله الزيات بأنه كان شاعر القريحة وشوقي شاعر العقيدة، أو ما قاله د. على العناني بأن (شوقي) كان محة أحيال. أو ما قاله د. أحمد زكي باشا من أنه بحق للحاصر أن يفاخر الأحيال الحاضرة والآتية بأنه

حاز الشرف الأكبر بظهور أمير الشعراء فيه، وفي ذلك ما فيه من معاني المجد الدائم لمصر في هذا العصر (الأهرام ٥ ديسمبر ١٩٣٢) أو ما قاله على محمود طه بأن الجبل كله نبيه باسم شوقي، وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة في الشعوب العربية. وإن كنت أذهب إلى أنهما كانا كفتى ميزان. فلحافظ شعره الوطني والاجتماعي والملحمي ومراثيه وشكواه للزمان، لشوقي شعره الوصفي والإسلامي والمسرحي والتاريخي؛ وحافظ أجزل لفظاً وأسلوباً، وشوقي أعلى خيالاً وتصويراً. لقد بزغ نجم حافظ بعد وفاة البارودي، في زمن تألق فيه نجم شوقي وصبرى وشكري ومحرم ومطران، وشعراء آخرين. فتصدر الميدان وحاز قصب الرهان في كثير من الأحيان.

—٣—

وفجأة مات حافظ، فبكاه الشعب والعرب، ورثاه مطران ومحرم وغنيم وعماد والعقاد والجارم والأسمر وجملة شعراء مصر والعالم العربي، وانتظر الناس مرثية شوقي، ولاد شوقي بالصمت. ومضت الأيام، وتحل ذكرى الأربعين، فتدعو "رابطة الأدب الجديد" لتأبين حافظ في نادى الجامعيين بشارع الساحة في القاهرة، ويحتل بوليس حكومة صدقي المكان، ويمنع الجماهير من الدخول إليه. ومن أجل ذلك بادر د. هيكل بإصدار عدد خاص من "السياسة الأسبوعية" في ٢ سبتمبر ١٩٣٢ وقفه على رثاء حافظ، ودعت "رابطة الأدب الجديد" إلى مهرجان لتأبين حافظ في الإسكندرية بالمشاركة مع جمعية أبولو، وكانت مفاجأة الشعب والصحافة مرثية شوقي لحافظ:

قد كنت أوتر أن تقول رئائي
يا منصف الموتى من الأحياء
ووددت لو أنى فداك من الردى
والكادبون المرجفون فدائسى
ما حطموك وإنما بك حطموا
من ذا يحطم رفرف الجوزاء؟
انظر فأنت كأمس شأنك بادخ
في الشرق، واسمك أرفع الأسماء

وبعد نحو ثلاثة شهور، وفي يوم الخميس ١٣ جمادى الثانية ١٣٥١ هـ - ١٣ أكتوبر ١٩٣٢، وفجأة، يموت أمير الشعراء أحمد شوقي فيهتز العالم العربي لوفاته ويبكيه أحر بكاء. وتؤبنه الدولة والعرب في مهرجان أدبي كبير في دار الأوبرا المصرية في مساء يوم الأحد الرابع من ديسمبر ١٩٣٢، وبعد ذلك بنحو خمس سنوات أبنت الدولة حافظًا في مهرجان مماثل عقد في دار الأوبرا في ٢٤ من ذى الحجة ١٣٥٥ هـ - السابع من مارس ١٩٣٧.

ومضى شوقي وبقي شعره المسرحي والملحمي والوصفي والفناني كما مضى حافظ وبقي شعره الوطني والاجتماعي والذاتي الخالد على صفحات الأيام. ومن العجب أن تكون قصة أميرى الشعر في العصر الحديث حافظ وشوقي في وفاتهما في عام واحد، وأن الثاني مات بعد الأول بثلاثة شهور، وأنه تأخر في رثاء زميله أكثر من شهر؛ هي قصة أميرى الشعر في العصر الأموي: الفرزدق وجريـر. فلقد ماتا في عام واحد هو ١١٠ هـ - ٧٢٩ م.

ومات الفرزدق في ليلة الجمعة شرة رجب عام ١١٠ هـ - ١٤ يوليو ٧٢٩ م، وصمت جريـر، وبعد أكثر من شهر رثى جريـر الفرزدق منافسه الأكبر في إمارة الشعر العربي:

لعمري لقد أشجى (نميما) وهدها
على تكبات الدهر موت الفرزدق
لقد غادروا في اللحد من كان ينتمى
إلى كل نجم في السماء مخلق
عماد تميم كلها، ولسانها
وناطقها البذاخ في كل منطق
فتى عاش يبنى المجد تسعين حجة
وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى
وبعد أقل من شهرين توفي جريـر - رحمهم الله.

أحمد محرم

١٨٧٧ - ١٩٤٥

- ١ -

شاعر كبير، غنى لشعبه وللعروبة والإسلام، أجمل القصائد، ولد أحمد محرم بن حسن عبد الله في الخامس من محرم سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ٢٠ من يناير سنة ١٨٧٧م، فكان ميلاده خيراً وبركة على آدابنا العربية، وروحاً جديدة أعطت للشعر طاقات شابة ساعدت على وثبته الكبرى التي ابتدأها البارودي، وكانت دعماً لنهضة هذا الشعر في طريقه العربي المتحرر، وذلك مما شابه في عصور التخلف.

وكان ميلاد محرم في حي باب الوزير بالقاهرة، في بيت متواضع. وكان أبوه تركياً خالصاً، وأيضاً أمه تركية إلا أنها اختلطت بدم مصري مستمد من عائلة الدرمللي العريقة بجهاها وثرانها في مصر.

وعرف عن أبيه التمسك بالدين، ولذا فقد أخذ أهل بيته وعودهم على آداب الإسلام، وسمى ابنه الشاعر باسم شهر عربي.

نشأ محرم في هذه البيئة المؤمنة، فشرب من منهلها العذب، وظل متأثراً بذلك طول حياته، سواء في شعره أو في سلوكه العملي.

ثم رحل أبوه ومعه أسرته إلى قبا الحمراء إحدى قرى البحيرة، فتربى في حضان الطبيعة، بأرضها الخضراء، ومائها الرقراق، وسمائها الصافية وجوها العليل.

ولما بلغ محرم سن التعليم أدخله والده مكتباً تلقى فيه مبادئ القراءة والكتابة. وشيئاً من القرآن الكريم.

ثم اختار له والده أستاذاً من علماء الأزهر تلقى عليه مبادئ النحو والصرف والبلاغة وآداب اللغة، وكثيراً من العلوم العربية والدينية.

وفي سن الثانية عشرة أدخله والده مدرسة حكومية بالقاهرة، ولكن محرم لم يجد في هذه المدرسة ما يشفي ظمأه، بعد أن عرف في صباه البحري والمتنبى وكثيراً من شعراء الجاهلية والإسلام، وحينئذ أدخله والده مدرسة أخرى ظن أنه

قد تعقد من هذه المدرسة الأولى فقط عسى أن تنحل عقده، لكن محرم لم يجد في الثانية أكثر من الأولى، فأعاده والده إلى القرية.

انكب محرم على مكتبة أبيه. وذلك تحت إشرافه. وشجعه على قرص الشعر. وأحرل له العطاء عدد كل قصيدة يمرغ منها. وظل والده يروده بكثير من الكتب. فعرف عصور الشعر المختلفة، حتى اغترف من الشعر ما لا يمكن حصره وواصل ليله بهاره. حتى لا له قرص الشعر.

وكان مفكرًا صامتًا لا يتكلم الكلمة إلا في موضعها. وفي سنة ١٩١٠ مال شهادة الامتياز بين شعراء النيل. كما ظهر باكثر من خمس عشرة جائزة في مسابقات شعرية

وظل طليقًا لا ينتسب إلى حزب. ولم يرض أن يسير في شمار محرري الصحف أو المجالات، حين عرضت عليه. كي يظل حراً يطق بالكلمة دون مبالاة، وكان يرسل قصائده للصحف فقط.

وكان يتصل بمصطفى كامل. ومحمد عبده. ورأى الحريين العالميتين. الأولى والثانية. وشاهد الاستعمار والمستشرقين والصهاينة في فلسطين. وقال في كل ذلك شعراً خالداً.

كما عرضت عليه إمارة الشعر بعد شوالى فرفضها، وظل يقاسى شغل العيش إلى أن عينه عزيز أباطة مشرفاً على مكتبة دمنهور.

— ٢ —

حاول محرم إيقاظ أمة في عصر طغت فيه الذاتية والمادية، وأصبح صاحب المبادئ شاذاً غريباً، فلم تلق له قناعة، وظل صامداً يدفع عن وطنه وإسلامه كل هجمة شرسة في صدق وصلابة فتكاتف أعداء الحق على غمطه، وحاولوا هدمه. وإبعاده عن الساحة. وحاربوه في أنديتهم، فترك القاهرة، وعاش في دمنهور. ومنها ناصر مصطفى كامل وأيده في كفاحه، وإن لم ينضم إلى الحزب الوطنى. كما لم ينضم إلى أى حزب آخر، وظل مستقلاً لا يهمه إلا أخذ الحقوق لأمتة من أيدي المستعمرين. فيقول للوفد المفاوض عندما اختلفوا في الرأى:

إذا اختلفوا أو اتفقوا فانا

سوى استقلال مصر لا يريد

إذا لم يحفظ استقلال مصر

فلا سعد بطاع ولا سعيد

وأحد على عاتقه تحديد الشعب من نفاق الإنجليز فيقول:
يا أيها القوم ماذا في حقائبكم
إنني أرى الشعب قد أودى به القلق
جنتهم إلينا فباتت مصر راجفة
مما حملتم وكاد النيل يحترق
لقد أقاموا طويلا بين أظهرنا
فما وثقنا بهم يوما ولا وثقوا
لا يعبث باستقلالكم أحد
ولا يفركم التضليل والملق

وقد عرف حقد المستشرقين، وتعاونهم مع قومهم المستعمرين في تزييف الحقائق لزعة عقائد المسلمين وإضعافهم، مثل ما نرى عند "هانوتو" الفرنسي، وهو يكيل التهم للمسلمين، ويصفهم بالتعصب الأعمى، ويسفه عقولهم، ثم يرجع سبب هذه الحماسة من المسلمين إلى تعلقهم بمحمد ﷺ، وارتباط قلوبهم به، ولن يزول هذا الوضع السىء من نفوسهم إلا بهدم قبر محمد ﷺ وجلبه إلى باريس حتى يستقر في متحف اللوفر بين المقتنيات الأثرية، وقد نسى هانوتو أن المسلمين لا يعبدون محمدا ﷺ، وإنما يعبدون رب السماء والأرض ورب محمد ورب العالمين، فهل يكون التمسك بالحق بعد أن أيقن به المسلمون تعصبا؟ أم هو ذلك السفه الذي لا يستند على أي أساس غير الحق على دين الإسلام ونبي الإسلام؟
حينئذ يفتض محرم مع الغاضبين ويقول من قصيدة طويلة: إن المسلمين لن يتركوا هانوتو ومن شاينه أن يصلوا بحلمهم إلى مجرد القول، وأن المسلمين قاطبة يمتدون ديارهم وبهمجهم بالمهج والأرواح، ولن يكون لباريس ولا لمتحفها وجود على ظهر الأرض:

أيهم (هانوتو) بقبر (محمد)
ويسوع حوليه بطوف ويعكم؟

أيقول تلك فلا تمس يد بأهلها

باريس من فزع ويهوى المتحف؟

فلسوف ينظر أى ملك ينطوى

ولسوف يعلم أى عرش ينسف

ولقد عرف محرم منزلة العلماء من الأمة، وأنهم العنصر الأول في قيادتها إلى الخير أو الشر، ومن ثم اتجه إلى فئة من العلماء عرفوا بالنفاق، وأصبح كل همهم إرضاء السلطان على حساب القرآن، فيخرجون الفتاوى موافقة للأهواء، والدين من هذا براء، مع أنه أمام العلماء كثير من المسائل لإصلاح المجتمع ولا نسمع لهم رأياً، لأن فتواهم حينئذ لن تكون موافقة لرغبات الحكام، فيعيب محرم على أمثال هؤلاء العلماء، وعدم محافظتهم على مبادئ دينهم، وانشغالهم بإرضاء قوم في باطلهم، مع أن أمامهم رسالة ضخمة في إصلاح الأمة، وردّها إلى كتاب ربها، حتى لا يضيع ما بقى من هذا الدين، في أمة ركبته الأمراض والعلل، لبعدها عن مبادئ دينها فيقول:

أرى علماء الدين لا يحفظون له

ولا يعرفون اليوم ربسته العليا

هم اتخذوا ما أدركوا من علومه

سبيلاً إلى ما يشتهون من الدنيا

فضاعوا وضاع الدين ما بين أمة

همو شرعوا فيها الضلالة والغيا

إد! المفسد استغنى يريد تمادياً

أتوه بأعلام الهدى تحمل الفتيا

أعجب قوما من أولى العلم أنهم

يسرون بين الناس في نوره عميا

ألا هل أرى من جلة القوم شافياً

لشعب مريض لا يموت ولا يحيا

محنته عوادى الدهر إلا بقية

من الدين والدنيا لمن يؤثر البقيا

ولقد عاش محرم أحداث فلسطين الأولى، وعرف أنها قضية العرب جميعاً ولن يرد بنى صهيون عن فلسطين إلا اتحاد العرب وإجماعهم على الجهاد تحت راية القرآن، وأن يخوضوها معركة حامية حتى يصونوا الحرمات الإسلامية، ويردوا الظلم عن البلاد، فيقول فى قصيدة له سنة ١٩٣٨م:

خلق العروبة أن تجد وتداب

وسجية الإسلام أن يتغلبا

لا تلك تخفض من جناحيها، ولا

هذا يريد سوى التفوق مطلبا

رفع النفوس عن الصغار وصانها

عن أن تخاف عدوه أو ترهبها

دين الفتوة والمروءة: ما طقت

لجج الحوادث حوله فتهيبا

المؤمنون على الحوادث أخوة

لا يعرفون سوى الكتاب لهم أيا

بأ آل يعرب: من يربنى خالدا

يزجى الخميس، ويستحث المقلب

من شاء منكم فليكنه ولا يقل

ذهب القديم، فإنه لن يدهيا

السرباق، والزمان مجدد

والسيف ما فقد المضاء ولا نبا

ردوا المظالم عن محارم أمة

من كان يطمع أن تباع وتوهبا

ثم بعد ذلك نجد محرماً قد ضرب بهمم وافر في السبق إلى تصوير الدعوة الإسلامية في كل أطوارها على يدي رسولنا محمد ﷺ ويتتبع خطواتها المباركة، وهي بكر في حياتها الأولى، ويصع ذلك شعراً في ديوانه محد الإسلام الذي يتضمن ما يقرب من مائة وتسع وستين قصيدة تربو على خمسة آلاف وستمائة بيت، وهذا نموذج لبعض ما تضمنه ذلك الديوان، فيقول في قصيدة طويلة عن فتح مكة نكتفي منها بهذه الأبيات:

ديار مكة هذا خالد دلفا

فما احتياك في الطود الذي رجفا؟

طود من الشرك خانته جوائبه

لما مشى نحوه الطود الذي زحفا

إن الجبال التي في الأرض لو كفرت

لدها جبل الإسلام أو نسفا

لما دعاه بسيف الله سيده

زاد السيوف به في عزها شرفا

وعلى هذا الدرب واصل محرم تصويره لأحداث تلك الحقبة الميمونة من حياة الدعوة، فجزاه الله عن صنيعه هذا بقدر ما بذل من أجل دينه.

ومات الشاعر أحمد محرم في يونيو سنة ١٩٤٥م.

عزيز أباطة

١٨٩٨ - ١٩٧٣

- ١ -

ما زلت أذكره: فارغ الطول، أبيض الوجه، مشرباً بجمرة الشباب، على وجهه ابتسامة دائمة، تحمل معنى الاطمئنان والثقة والأمل.

وفي أيام المحن كانت هذه الابتسامة تعلوها مسحة التفكير العميق، والتصدى للأحداث والتحدى للخطوب.

كنت في أسبوط أيام عام ١٩٤٦، وكنا نقعد الندوات الثقافية بجمعية الشبان المسلمين فيها، وكان مدير - محافظ - أسبوط آنذاك هو الشاعر الكبير عزيز أباطة. وكان يحضر بنفسه ندواتنا، ويشارك فيها بالرأى والحوار والتوجيه، وما كان أحد من حكام الأقاليم الكبار يفعل ذلك ولا يتصور حدوث ذلك في يوم من الأيام.

وفي مطبعة مصر، وكان عزيز أباطة (باشا) رئيساً لإدارتها، كنت أزوره في مكتبه فيها، فأشعر بأنه قد خلق شاعراً قبل أن يكون أى شىء آخر .. وفي منزله في الزمالة، وفي فندق عمر الخيام في أول هذه الضاحية الجميلة قابلته مرات ومرات، حيث كنت أجد فيه روح الشاعر الإنسان قبل أن المس منه روح الرجل العظيم، الذى يحمل على كاهله أعباء المجد والشاعرية والشعراء.

ودعونا له ليحضر في رابطة الأدب الحديث، في أمسية من أمسيات الثلاثاء فلبى الدعوة، وحضر وجلس طويلاً، يتحدث ويطلق الحديث .. ويدور الحوار حول المسرح الشعرى بين أمسه وحاضره، وهو لا يمل الجلسة أبداً.

عزيز أباطة الرجل الإنسان، والشاعر المطلق، والأديب الكبير .. شخصية فريدة في تاريخنا الأدبى المعاصر، قل أن وجود يمثلها الزمان ..

بالأمس كنت أقرأ كتاب "أبى عزيز أباطة" تأليف ابنته عفاف عزيز أباطة فراعنى بساطة أسلوبه، وروعة ما احتوى عليه من صدق ودقة في تحليل شخصية الرجل، وعرض سيرته عرضاً جميلاً جذاباً مؤثراً ..

وما أجدر عزيز أباطة بأن تخرج عنه مئات الدراسات، فعبقريه هذا الرجل وشاعريته لا يفى بحققها قلم، ولا بمجد عظمتها إنسان ..

ولد عزيز أباضة في قرية "الربعماية" الشرقية في ١٣ أغسطس عام ١٨٩٨ م وتلقى ثقافته الأولى في القرية، ثم في مدارس الشرقية والقاهرة، وظهرت موهبته في الأدب والشعر منذ صغره، وعكف على كتب التراث يتزود منها بقسط موفور من الثقافة الأدبية ..

وشاهد حركة مصطفى كامل، وثورة ١٩١٩ التي تزعمها سعد زغلول، وشاهد كل الأحداث التي مر بها وطنه في القرن العشرين حتى وفاته ..

وفي عام ١٩٣٦ انتخب عضواً في مجلس النواب، وبعد قليل اختير مديراً للقلوبية، فالمنيا، وبور سعيد، وأسيوط .. ثم لم يلبث أن انتخب مرة أخرى لمجلس النواب، فمجلس الشيخ، ثم اختير رئيساً لإدارة مطبعة مصر، فعضواً في كثير من الشركات والمؤسسات، ومقرراً للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب .. وظل كذلك يجوب البلاد، ويقوم بالرحلات إلى الخارج، حتى استأثرت به رحمة الله في الحادي عشر من شهر يوليو عام ١٩٧٣ م، فخسرت مصر وخسر العالم العربي، وخسرت دولة القريض علماً من أكبر أعلامها، وشاعراً من أعظم الشعراء، الذين دعموا نهضة الشعر والأدب، وأسعدوا للحركة الشعرية المعاصرة كل ما يعتز به من ازدهار وشموخ وجلال.

وروائعه في الوطنية والقومية كثيرة لا تحصى، ومنها قصائد: (وحى الجلاء - حريق القاهرة - من وحى النكسة - أم كلثوم - إلى الشباب - ذكريات المقرن - روما وشوقي - أشواق - ليلة في زحلة - الأميرة تحفة).

ويطول بنا الحديث عن هذه القصائد وأمثالها من قصائد الأباظي العصماوات وأوابده الخالدات.

ولا أنسى شعره الإسلامي في ملحمة الخالدة: "من إشراقات السيرة الدكية"، التي نظم فيها السيرة النبوية شعراً.

وفي قصيدته دنيا القرآن يقول في كتاب الله الحكيم:

أناف على العقول فتيل: شعر

وعز على الفحول. فتيل: سحر

تعالى الله أحكمه كتاباً

فليس لمائل أن ضل عنذر

مطالع حكمة، ومعين هدى
وبحسب معج فيه الدر در
تحدى، وهى من ألف ولام
فواصله، وأعجز وهو نثر
ويقول فى الأزهر، وهو يرى شيخا أزهريا هو "العلامة الشيخ محمد على
التجار عضو المجمع اللغوى":

منبر فى ثرى الكنانة قدسى
تتمنى لو قد حوته الثريا
ما ارتقى المصلحون أعرق منه
شرفا سامقا وعتقا سنيا
إنه الأزهر الشريف أجد الله
به فى صحنه السنا العربيا
فى حمى الأزهر الرحيب وفى أف
سياته الحانسيات عشنا مليا
يا أبا الجامعات فى الشرق والغرب
ب ويا شيخها الوقور الفتيا
كم بنيت الأقداد فكرا وعلما
عبرى منهم يلى عبقريا
وعن الفيلسوف الإسلامى المصلح الشاعر محمد إقبال يقول الأباظى:
فى جلال الهداة من أنبيائه
وسنى الخالدين من شعرائه
حمل الشرق مشعل الفكر فى الدهر
وشع الجمال فى أرجائه
إيه إقبال أنت من لمع الله
به على خلقه، ومن آلائه

ومن حكمه في خواطره "قال صفوان" يقول شاعرنا الكبير:
ليس رأيان في الأمور كراى
واختلاف الآراء ينتجى ويهدى
لست أحجى رأيا من المرسل
المعصوم حتى نقول اقطع وحدى
إنما نسفر الحقائق كالصبح
بأخذ من الحوار ورد
قد سمعنا عن الطغاة وعسف
أوقعوه فلم يقف عند حد
حكم فرد حتى وإن كان عدلا
غير مجد فى ملتى، غير مجدى

وشعر عزيز أباظة بموسيقاه الحلوة التي تأثر فيها بأستاذه أمير الشعراء أحمد
شوقي رحمه الله، وبألفاظه الجميلة، وبأسلوبه البليغ الرائع، وبمضامينه الإنسانية
النبيلة في شتى أغراض الحياة، وبكل خصائص الموهبة والملكة والمقدرة الشعرية،
حرى بالحفاوة، وجدير بالإكبار والتقدير، قمين بأن يرفع صاحبه إلى ذروة المجد،
وقمة الحلود.

خلف عزيز أباظة خمسة دواوين هي:

- ١- أنات حائرة.
 - ٢- من الشرق والغرب.
 - ٣- تسايح قلب.
 - ٤- في موكب الحياة.
 - ٥- في موكب الخالدين.
- وشهرة ديوان أباظة (أنات حائرة) في الشعر الحديث شهرة فائقة فقد وقفه
على رثاء زوجته وابنة عمه التي توفيت في التاسع عشر من يونيو عام ١٩٤٢، وضمه
أحر العواطف وأنبهها وأسمها.

يحل يوم ميلاد الشاعر، فيذكر رفيقة حياته التي ودعت الحياة، ويقول:
أقول والقلب في أضلاعه شرق
بالدمع لا عدت لي يا يوم مولدى
ويقول من قصيدته "من أطيايف الماضى" التي نظمها بعد وفاتها بنحو
شهرين:

طوفت بالبيت الحزين مسلما
فبكى وأوشك أن يرد سلامى
وجعلت أسأله فلو ملك البكا
واسطاعه لبكى بدمع هامى
أعرفتني يا دار أم أنكرتني؟
نهب الأسي والبث والآلام
يا دار قد مال الزمان بأنسا
وهوى بمونق شملنا الملتام
يا أخت آمال الصبا ومراحه
والضاحك النشوان من أحلامى
أن تبعدى فأنا المقيم بلا عجى
ومودتى حتى يحين حمامى
ويقال لي: أصبر، ما لذلك حيلة
والنار بين ترائيبى وعظامى
وقصيدته "ليلة وليلة" لا نظير لها في الشعر العربى، وقد نظمها الشاعر في
الذكرى الأولى لوفاة زوجته، وفيها يقول:
يا ليلة جمعتنا بعد طول نوى
ذكرتك هاجت لنا الأشجان ألوانا
وذكرت ما كان من غرس جلوت به
على أكرام خلق الله إنسانا

بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤثلقا
والبروض متسقا، والبان ريانا
بتنا تضيء ظلام الليل بسمتنا
وتستثير شجون الليل نجوانا
قالت وقلت، فلم تفرغ مقالتنا
إلى الصباح، ولم تهدأ شكوانا
وحولنا الليل يطوى فى غلاله
وتحت أعطافه نشوى ونشوانا
وتحبس الكون عش اثنين يجمعا
والماء صهبا والآنام ألقا
لم نعتنق وذهول العرس يقرنا
وكم تعانق روحانا وقلباننا
ثم انثنينا وما زال الغليل لظى
والوجد محتدما، والشوق ظمآننا

(٣)

وترك الشاعر عزيز أباطة عشر مسرحيات شعرية، وهى:

- ١- قيس ولبنى: وقد نظمها فى المنيا عام ١٩٤٢، وكان شوقى قد كلفه بكتابتها قبل وفاته، وقد قدم لها الأستاذ عباس محمود العقاد.
- ٢- العباسة: وقد قدم لها د. محمد حسين هيكل، ومثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا فى ٣ من نوفمبر عام ١٩٤٥.
- ٣- مسرحية الناصر: وقد قدم لها الأستاذ أحمد حسن الزيات.
- ٤- مسرحية شجرة الدر: وقد مثلت فى مسرح الأوبرا فى أول نوفمبر عام ١٩٤٧.
- ٥- غروب الأندلس: وقد قدم لها د. طه حسين، ومثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا فى القاهرة فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٢.

- ٦- شهربار: وقد قدم لها د. طه حسين، ومثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا في القاهرة في ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٢.
- ٧- أوراق الخريف: كتبها عام ١٩٥٢.
- ٨- قافلة النور: نظمها عام ١٩٥٨.
- ٩- مسرحية قيصر: نظمها عام ١٩٦٣.
- ١٠- مسرحية زهرة: وقد كتبها عام ١٩٦٨.
- ولم تمثل هذه المسرحيات الأربع الأخيرة ..
- وقد درس د. عبد المحسن عاطف سلام المسرح الشعري عند شاعرنا الكبير في كتابه: "مسرحيات عزيز أباظة" ..
- وللشاعر عزيز أباظة ملحمة شعرية رائعة في السيرة النبوية بعنوان: "من إشراقات السيرة الزكية"، وقد نشرت عام ١٩٧١، وقد لها الأستاذ أحمد حسن الباقوري.

(٤)

والمسرح الشعري عند عزيز أباظة مسرح جد غنى بالشاعرية والموهبة والصراع والحوار الشعري الجميل ..

وفي مسرحياته الست الأولى يتناول الشاعر أحداثا تاريخية، وكذلك يتجه إلى التاريخ في مسرحيته: قافلة النور، وقيصر.

أما مسرحياته الأخرى: أوراق الخريف، وزهرة فيتجه فيهما إلى الموضوعات الاجتماعية المعاصرة، وإن كان قد تأثر في مسرحية "زهرة" بمسرحية الشاعر المسرحي الإغريقي القديم يوريبس، كانت بطلتها هي "فيدرا"، التي كتب عنها أيضا الشاعر الروماني الفيلسوف "سكنا" والشاعر الفرنسي "راسين" ..

وفي المسرحيتين الاجتماعيتين بسط شاعرنا الكبير عزيز أباظة لغته حتى صارت أقرب إلى اللغة اليومية، دون أن يتخلى عن فصاحة لغته وجمالها.

والمسرح الشعري عند عزيز أباظة حافل وغنى بالحوار والصراع وبالشخصيات المسرحية .. ويدافع عزيز أباظة عن اتخاذ الشعر لغة للمسرح في العصر الحديث، بينما يعارض الدكتور طه حسين ذلك ..

وحين يرى طه حسين أن التمثيل شب عن طوق الشعر وتحرر على أوزانه وقوافيه (ص ٦٤٢ مسرح الشعر - ج ١ - عزيز أباظة)، يرى الشاعر الأباظي أن الشعر أنسب للغة الحوار على المسرح من النثر (ص ٨١٥ مسرح الشعر - أباظة - المجلد الأول) ..

ولقد كان أرسطو يعتبر المسرحية قسما من أقسام الشعر، ويرى أن المأساة أرقى أنواع التعبير الشعري، فهي أرقى ضروب الشعر جميعها. والمسرحيات الإغريقية والرومانية القديمة كانت كلها شعرا، من مثل مسرحيات: اسخيلوس، وسوفوكليس، يوريبيدس، أروستوفان، مناندر سكتا، بلوتس. وفي عصر النهضة وازدهار الكلاسيكية في العصر الكلاسيكي ظلت المسرحية تكتب شعرا، كما نراها عند أمثال: شكسبير، كورني، راسين .. وأضربهم. وفي تيار الرومانسية، وتيار الواقعية كتب المسرحيون مسرحياتهم نثرا ومخالفين بذلك الأصول الكلاسيكية..

وإن كان بعض الكتاب المسرحيين ظلوا يكتبون مسرحياتهم شعرا، من مثل: البيوت في أمريكا ثم كريستوفر فراي في إنجلترا، واندرسون في أمريكا أيضا، ولوركا في أسبانيا، وبيتس في أيرلندا.

ويقول سومرست موم: إن المسرحية الثرية التي وقفت عليها حياتي كلها سوف تموت عما قريب، وقد بدأ الجمهور المثقف يسعى إلى المسرحية الشعرية ويفتح صدره وذراعيه لها. وقد نقلت مسرحيات الغرب إلى العربية شعرا ونثرا.

والمسرح الشعري العربي بدأه أحمد شوقي أمير الشعراء بمسرحياته الخوالد، من أمثال: كليوباترا، مجنون ليلى، عنترة .. وغيرها.

وقد خلف عزيز أباظة أمير الشعراء أحمد شوقي في إمارة المسرح الشعري، بما قدم من أعمال مسرحية خالدة باقية على امتداد الأيام، وحمل لواء الشعر المسرحي بعده سنوات طوالا تبلغ الأربعين، وفي الشعر سنوات طوالا تبلغ نحو ذلك.

ويقول العقاد عنه:

عزيز أباظة شاعر من شعراء الطبقة الأولى في اللسان العربي، ومؤلف من مؤلفي القصص التمثيلية المعدودين في هذا الزمان .. (ص ٢١ المجلد الأول من مسرح الشعر لعزيز أباظة).

ودواوين أباطة ومسرحياته درة في جبين الشعر المصري، وسوف تظل خالدة على مدى الأقطاب، رمزاً لعبقية الشاعر، وجلال الشعر. وقد أصبح اسم عزيز أباطة اسماً خالداً في تاريخ الشعر العربي الحديث، فلقد جاء بعد شوقي فورث مكانته الشعرية، وعدوبته الرائعة، وموسيقاه الحلوة، وخلفه في فن المسرحية الشعرية، وأسدى إلى الشعر والشعراء، وإلى الأدب ونهضتنا الأدبية، أيادي لم يسدها إليها شاعر آخر من قبله..

(٥)

وهناك عمل فني جليل آخر، من أعظم إبداعات الشاعر عزيز أباطة وهو ملحمة الرائعة في سيرة رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وقد اختار لها عنواناً جميلاً هو: "من إشراقات السيرة الزكية" وتناول جميع جوانب السيرة النبوية الخالدة في قصائد من أعذب الشعر وأجمله وأكثره إمتاعاً وتأثيراً وسحرًا. لقد كانت القصائد النبوية التي نظمها الشعراء على اختلاف العصور، وآخرهم أمير الشعراء أحمد شوقي مقدمة رائعة لكتابة الملحمة الشعرية الحديثة في السيرة النبوية الكريمة، صنع ذلك الشاعر أحمد محرم (١٩٤٥) في ملحمة "الإلياذة الإسلامية" .. وصنع ذلك بعده الشاعر الكبير المرحوم الخالد عزيز أباطة (١٨٩٨ - ١١ يوليو ١٩٧٣) في هذه الملحمة الرائعة التي جادت بها شاعريته المحلقة والمبدعة، والتي قدم لها العالم المصري الأزهرى الجليل، الشيخ أحمد حسن الباقوى. وقال في تقديمه: إن الشاعر عزيز أباطة قد لخص السيرة النبوية في هذه الملحمة الشعرية الرائعة ينتهي من وراء ذلك: أن يلفت حذاء الإنسان من أدبائنا إلى أن لغتنا العربية الشريفة قادرة أبين القدرة على التعبير عن كل ما يختلج في الصدور، ويطيف بالأذهان وتحتاج إليه حقائق الحياة، وأن يدعو القادرين على العمل والقيادة والتوجيه إلى أن يضعوا نصب أعينهم هذه السيرة النبوية الشريفة، يستمدون منها الحرية الشاملة والعدالة الكاملة، والسلام العزيز. ولقد افتتح عزيز هذه الملحمة بقصيدة تعد من عيون شعر المدح النبوى، وعنوانها: "يا رسول الله". ويلى ذلك قصائد كثيرة في السيرة النبوية من بدتها لختامها، وعددها ثلاث وثلاثون قصيدة: الفترة - مكة - زمزم - النذر - أفراح مكة - زواج عبد الله وآمنة -

عام الفيل - المولد الشريف - الاسترضاع في بني سعد - وفاة آمنة وعبد المطلب -
محمد - خديجة والزواج - الإرهاصات - البعثة - عام الحزن - الإسراء والمعراج -
الهجرة - بدر - بعد بدر - افتداء الأسرى - أحد - بعد أحد - الخندق -
حديث الإفك - رسل النبي ويعوله - مؤتة - فتح مكة - المرأة وأمهاة المؤمنين -
حنين - حجة الوداع - في الرفيق الأعلى - روضة الرسول.
وتقع هذه القصائد كلها في أكثر من ثلاثمائة وألف بيت من الشعر، وهي
قصائد حافلة بالإشراق الروحي، والطهر النفسي، وبالجمال الفني والموسيقى الشعرية
العذبة، وتتميز بقوة التأثير وجلال الإبداع.
وهذا العمل الكبير الذي صنعه الشاعر العظيم عزيز أباظة، لعمل خالد على
مر الأيام، لقد صاغ السيرة أو أهم أحداث شعرا رفيقا جميلا عذبا، رافقا، حلوا
الموسيقى والنغم، قوى التأثير والروح والإشراق، جليل السحر والإبداع والمتعة.
صور الأحداث والمواقف والوقائع والمعجزات صورا عجيبة مما يسجل اسم
عزيز أباظة الشاعر على مدى الأجيال في صحائف الخلود.

على الجارم (١٨٨١ - ١٩٤٩)

على الجارم (٢٥ ديسمبر عام ١٨٨١ - ٨ فبراير عام ١٩٤٩) شيخ العربية، وصانعة العرب؛ والشاعر الكبير، الذي احتل قمة الشعر العربي بعد شوقي وحافظ، إلى أن استأثرت به رحمة الله.

هذا الشاعر الكبير، الخالد الذكر، العظيم الأثر في حياة أجيالنا .. لم تزل ذكره تعبق في سماوات الشعر والأدب واللغة، والتراث العربي المجيد، حيث عاش ما عاش سادن اللغة، وفارس الكلمة، والدائد الحامي الدمار المدافع عن حياض الشعر.

ومن حظ العربية أن يكون الجارم وأدبه وشعره موضوع سفر جديد، كتبه أستاذ جليل، وعلم كبير من أعلام العربية الذين أثروا حياتنا، ورحلوا وهم قائمون على أداء الرسالة، دأبسون على إثراء العربية وأدبها وشعرها بكل ما يكتبون ويبدعون، وهو الأديب المتمكن، الخالد الذكر، الذي رحل عن حياتنا، ونحن أشد ما نكون حاجة إلى فكره الواسع، وقلمه الرصين، محمد الغزالي حرب؛ رحمه الله، وأجزل مثوبته، كفاء ما أبلى في الدفاع عن العروبة والإسلام ولغة القرآن.

هذا السفر الثمين "على الجارم باحثاً وأديباً" يرسم المؤلف فيه صورة صادقة واضحة لأدب الجارم وشعره وشاعريته، ومواهبه الخلاقة، التي جعلت منه علماً كبيراً من أعلام اللغة والبيان والشعر في النصف الأول من القرن العشرين. وميزة هذا الكتاب تتجلى بوضوح في عمقه ودقته وشموله واستقصائه، وتناوله للكثير من جوانب حياة وشخصية وأدب الجارم وشعره:

- الجارم باحثاً وأديباً وشاعراً.
- المرحلة الأخيرة من شعره.
- القديم والجديد في شعره.
- الشاعر والحياة العامة.

- النزعة الدينية في شعره.

- الفخر والثناء في شعره.

- مميزات شعر الجارم.

كل هذه البحوث والمجالات التي تتناولها هذه الدراسات تدل دلالة قاطعة على أهمية الكتاب، وأهمية الشاعر موضوع البحث وعلى مكانة الباحث في أدبنا وتراثنا وحضارتنا.

الشاعر الماحي

فى عام ١٩٣٤ ظهر ديوان أنيق للشاعر محمد مصطفى الماحي .. فلقى من الذبوع والشهرة ما يلقاه شعر كبار الشعراء .. رأى الناس فى الديوان صوراً جميلة .. وتجارب عميقة .. ومعانى رائعة .. تكشف عن شاعرية أصيلة موهوبة.

كان الشاعر آنذاك موظفاً كبيراً فى وزارة الأوقاف، وكان للبيئة التى عايشها الشاعر فى هذه الوزارة أثر كبير فى شعره وشاعريته .. وكانت الوزارة تضم لفيفا من كبار الأدباء والنقاد والشعراء. من بينهم: محمد المويلحي صاحب - حديث عيسى ابن هشام - وعبد العزيز البشري .. وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصرى وعباس العقاد.

وقد التحق الشاعر بالوزارة عام ١٩١١ .. وهو فى السادسة عشرة من عمره إذ كان ميلاده فى دمياط فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٨٩٥ .. وكان شوقى وحافظ يتصدران حركة الشعر، وبجوارهما مطران ومحرم .. ثم ظهر مصطفى لطفى المنفلوطى وتصدر حركة النثر الأدبى .. وكانت النظرات والعبرات للمنفلوطى، وحديث عيسى ابن هشام للمويلحي فى الصدارة من كتب النثر الأدبى التى يقرأها شباب الأدباء كما كان لشعر البارودى وشوقى وحافظ أثره فى ازدهار حركة الشعر .. وفى تجديد شكله ومضمونه.

ولم يكن بد للماحي الشاب آنذاك من أن يقرأ لزعماء الأدب فى بدء حياته، ومن أن يقرأ لكبار الشعراء آنذاك، وهو يضع قدميه على عتبة وزارة الأوقاف عام ١٩١١، ومن أن يتصل بالتراث ويعيه وعياً كاملاً، فيعكف على شعر البحرى وأبى تمام والمتنبى والشريف الرضى ومهيار والمعري، يقرأه ويستزيد من قراءته، ويحفظ منه ما واثته ملكاته ووقته .. وفى وزارة الأوقاف اتصل بزملائه الكبار الأدباء والشعراء وقرأ لهم، وعرف عن طريقهم تيارات الأدب ومذاهبه ومدارسه وكل ما يتصل به من ثقافات ومعارف. ولم يكن الماحي الشاعر الذى قدم من دمياط وهو فى السادسة عشرة من عمره بمنأى عن الحركة الشعرية فى القاهرة، آنذاك، فقد قدم من مدينته الجميلة الملهمة وهو يقرأ لكبار الشعراء ويحفظ لهم، وكان لبيئة الأدب فى دمياط ولشعراء المدرسة المتبوية فيها أثر كبير فى زيادة وعيه الأدبى وفى الكشف عن

مواهبه الشعرية، وقد أدرك عصر ازدهار هذه المدرسة، وتأثر بشعرائها، من أمثال: على الغاياني، وعلى العزبي، وعبد اللطيف النشار وسواهم. اتصل الشاعر الماحي كذلك برواد حركة التجديد في الشعر الحديث من أمثال العقاد وزميليه شكري والمازني، وثلاثتهم هم عمدة مدرسة الديوان، التي دعت إلى التجديد في أوسع نطاق، وأكدت الاتجاه الرومانسي في الشعر الذي سبق أن دعا إليه مطران، وشنت حرباً ضارية على شعراء المدرسة المحافظة وشعرها.

ولم يفت الشاعر الماحي أن يؤكد شخصيته في زحمة معارك الشعر والأدب بين المحافظين والمجددين، فاستلمى روح مصر في شعره، واستلهم حضارة مصر وتراثها في كل ما ينظمه من قصيد، وكان لتجاربه في الحياة، وحياته في زحامها، وبين جماهير الشعب، أثر في موهبته وشاعريته، وما أكثر ما عبر الشاعر عن روح مصر في وطنياته، إذ كان وطنه دائماً في خلده وفكره، وكان يردد:

لك يا مصر خاطري وجنانى

إن تمنيت كنت أغلى الأمانى

أنت رمز الخلود في كل عصر

أنت من كنت معقل الشجعان

ومصرية الماحي، أو روحه المصرية، الأصلية هي إحدى خصائص شعره، وقد أشار إلى ذلك كل من كتبوا عنه من أمثال: الشاعر عبد الله عفيفي، ومحمد عبد القادر حمزة، وعمر الدسوقي، وغيرهم .. هذا إلى أصالة طبعه، وصفاء نفسه، وصدق تجاربه، وعدوية ديباجته، التي كان يقيس فيها من تراثنا الشعري كل ما يبعث في صوره ومعانيه القوة والحياة، والتي كان يتجمع فيها طبع البحري، وعدوبة الشريف الرضي، ورقة البهاء، وبلاغة البارودي، وصياغة شوقي وحافظ.

وقد سوه عبد الله عفيفي بما في شعر الماحي من بقعة الشاعرية، وثورة العاطفة.

ورأى الشاعر الكبير عزيز أباظة أن لشعر الماحي خصائصه من حيث طابعه الأصل برونه المشرقة الجذابة، سواء في التعابير التي أبرزها الشاعر من خلال أحاسيسه، أو في البناء الفني الذي أفرغ في إقامته كل ما يملك من مواهب وملكات، إلى شفافية روحه، وصراحة صياغته.

الشاعر محمود غنيم

١٩٠٢ - ١٩٧٢

شاعر كبير يحتل منزلة عالية في مدرسة الأحياء والبعث، ويعدُّ علمًا من أعلامها وإبداعه الشعري يتميز بالبلاغة والموسيقية وجمال الآراء والصور. صدر له عدة دواوين:

- ١- صرخة في واق.
 - ٢- في ظلال الثورة.
 - ٣- النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع.
 - ٤- غرام يزيد.
- ومن دراساته الأدبية كُتبه النثرية، التي يعد من أهمها:
- ١- كتاب حفنى ناهض.
 - ٢- الجاه المستعار.
 - ٣- تحقق الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغاني .. بالاشتراك.
 - ٤- دراسة عن أحمد الكاشف (في كتاب خمسة من شعراء الوطنية - إصدار الهيئة العامة للكتاب).
- وشعره وشاعريته ملء الآذان، والدراسات عنه كثيرة ومن بينها دراسة واسعة في كتابي "الأدب العربي ومدارسه - الجزء الأول"

أحمد الزين

١٨٩٨ - ١٩٤٣

شاعر مجيد موهوب رفيع الصياغة - كف بصره بعد مولده، ووهبه الله حافظه قوية حتى سمي الشاعر الراوية لكثرة ما يحفظ.
حفظ القرآن الكريم وهو في التاسعة من عمره، وتلقى تعليمه في الأزهر. وبعد تخرجه اشتغل بالمحاماة، ثم تفرغ للأدب والشعر والنقد.. كتب في مجلتي الرسالة والثقافة. وأصدر ديوانه الأول قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وديوانه الثاني وهو في العشرين - حصل على وظيفة في القسم الأدبي بدار الكتب المصرية صدر له من الدواوين:

= ديوانه القطوف التراثية ١٩١٧.

= وديوانه الأخلاق والأراجيز ١٩١٨، الذي سماه "قلائد الحكمة"

= وصدر بعد وفاته ديوانه ديوان الزين عام ١٩٥٢ بتقديم أحد أصدقائه الشعراء.

وله من الدراسات الأدبية:

تحقيق العقد الغريبة بالاشتراك مع أحمد أمين.

تحقيق ديوان حافظ وصبري.

تحقيق الاجتماع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.

تحقيق نهاية الأرب.

تحقيق ديوان الهزلية.

ومن أشهر قصائده قصيدته "العود" التي تقول في مطلعها.

لامست في النفس أوتار هواها

غادة بالسحر تغزون من غزاها

لحنها يبعث في ميت المني

نضرة العمر ومعلوم صباها

خفقات تخفق لتلهبها

هي أنات فؤادي أو صداها

وحنين طار من رفته
أن يذيب اللحن في العود مياها
أصدر عنه د. إبراهيم عبد الرحمن خليل كتاب بعنوان "المجتمع في شعر
أحمد الزين".
والنقاد يشهدون للزين بالجمال الفني والموهبة والطلاقة الفنية وروح
التراث.

محمد الأسمر
١٩٥٦ - ١٩٠٠

شاعر كبير بليغ الأداء؛ أسر الصياغة ساحر الموسيقى - تلقى تعليمه في الأزهر ووظف أميناً لمكتبة الأزهر الشريف كتبت عنه دراسات مطولة في العديد من كتيبي.

تغريدات الصباح
ديوان الأسمر
بين الأعاصير

وله كتاب نثره جميل يحكي بلاغة كتاب "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي وسماه "مع المجتمع" - كتبت عنه دراسات مطولة في كتابي "الأدب العربي الحديث ومدارسه الجزء الأول" .. ومن روائع شعره قصيدته "يا مصر" التي يقول فيها:

هل بات يغنى أن يقال لهما اسلمي
إن صح ذلك فاسلمي ثم اسلمي
يا مصر إن الله جل جلاله
لا يستجيب إلى دعاء النوم
اليوم ألسنة المدافع وحدها
مقبولة الدعوات طاهرة الضم

عليه الجعار ١٩٣٥ - ٢٠٠٣

شاعرة صوفية إسلامية مجيدة صدر لها في حياتها الدواوين الآتية:

١٩٦٨	إني أحب
١٩٧٧	أتحدّى بهواك الدنيا
١٩٨٣	غريب أنت يا قلبي
١٩٨٦	أنا ابنة الإسلام
١٩٩٢	على أعتاب الرضا
٢٠٠٠	مهاجر حق بلا أنصار

وقد كتبت قصائدها الجميلة في الإسلام والقرآن والرسول وفي أمجاد الإسلام وانتصاراته كما كتبت في الوطنيات والاجتماعيات والإسلاميات ويمتاز شعرها بعاطفة قوية، ومشاعر صادقة وعميقة، وإيمان غامر يملأ القلب هيأةً وأشواقاً روحية صادقة. ومواقفها في الأحداث العربية والإسلامية مواقف مشهورة. وتد توفيت الشاعرة في ١٧ أبريل عام ٢٠٠٣ بعد معاناة طويلة مع المرض وشعرها وشاعريتها موضع التقدير والاحترام من النقاد والشعراء وتمتاز قصائدها بموسيقية حالمة، وبنبرة روحية صوفية حزينة حادة، وكانت من أشهر الشاعرات الذين تغنوا بمجد الإسلام في أمسه، وبحاجة المسلمين في حاضره إلى التمسك بعروة الإسلام الوثقى .. رحمها الله،

وجدان الشاعر

النقاد يختلفون في الشعر: أهو موسيقى أم صورة شعرية، وهل هو تجربة شعرية أو صياغة أو معنى، والأمر في ذلك يطول، وقد يكون الشعر هو مجموع ذلك كله.

ولكنني قرأت ديوان شاعر عرفنا عنه ولعه بالصورة وبالموسيقى معا إلى ولعه بالنظم في شتى المناسبات الإسلامية، أو هكذا كان شعره، والشاعر هو عبد الحميد فارس، والديوان هو "وجدان شاعر"، وعلى الرغم من صغر مجموعته الشعرية، هذه إلا أنها حافلة بشتى ألوان الموهبة، وفنون الإبداع، فالصورة بجانبها الموسيقى، والتجربة يؤازرها المعنى والصياغة، والأداء الشعري يسير في مجال الطبع والإلهام والفن الخالص.

في الديوان نجد: صديقتي الياسمينه - في محراب الحقل - وادي النيل - من وحى البوسنة - الله أكبر (في نصر أكتوبر) - واحة الحب - غار ثور - إلى جنة الأحلام - الذكرى: وغيرها من القصائد الرفافة الموشاة بروح الشعر وأحماله وعدوبته وبشتى الصور الشعرية الدقيقة، وبالموسيقى المؤثرة والمشجبة .. في "الذكرى" يقول الشاعر:

تطير إليك أشعاري
تسوق بنات أفكاري
تطير بدون أجنحة
وطائرة وطيار
تطير كأنها برق
يسابق لمح أبصار
فما تعبت ولا وجلت
ومن سفر لأسفار
تسائل عنك ريح الورد
في روض وأزهار

تسائل عنك كل الطير
فى أحضان أشجار
تسائل عنك موج البحر
والمجذاف والسارى
تسائل عنك مزهرا يحنو
على أنثى أوتار
تسائل عنك لون الحب
يحكى حمرة النار
تسائل صاوح الإتهام
فى وجدان زممار
تسائل فى الندى قطرا
على أكماس أزهار
فياويحى من الذكرى
وويح بنات أفكارى
فجنت إليك يا قلمى
أزف دموع أشعارى

القصيدة تتركب من صور جزئية عديدة، تعطينا الصورة العامة أو الكلية
لشجى الذكرى وتمتزج فيها الموسيقى الداخلية والخارجية بالصياغة، وبالصورة،
وبالتجربة، وبالمعنى فى تألف بديع، واتساق عجيب.
إنها الذكرى حقًا، وماذا وراء الذكرى إلا الحيرة والدموع والتنقل فى صور
الكون وأفانين الحياة.
رومانسية تمثل رومانسية الشعراء الرواد، الذين غنّوا للحب، وهاموا بالطبيعة
وقاسوا آلام الاغتراب وهموم الشجن والألم والعذاب.
وفى "إلى جنة الأحلام" يردد الشاعر:

حنانك ليلى مازج الشعر بالهوى
فصارا سلافا فى كؤوس مشاعر
وآمال هيمان يغرد طيرها
بستان أحلام من الشوق عاطر

ألا يا هتافى وشدوى وعبرنى
ترانيم ولهان وألحان شاعر
وأودعها روحاً عزيزاً قيادها
لها الله من أمسى وأتى وحاضرى
من الألم الرامى يواكب مخدعى
ويسكب من أنغامه فى مزاهرى
ونحن لا نجد صوراً تماثل هذه الصور، ولا خيالا يخلق مع هذا الخيال إلا
فى القليل، وعند القليل من الشعراء إلى الموسيقى الآسرة الهامة.
وفى قصيدته "غار ثور" يقول:
وانزاح ليل الشرىك بعد ظهوره
فإذا الليالى كلها نهار
وبهذا الطبع الشعرى والصياغة الشعرية المتألقة تسير القصيدة، مع حرص
شديد على اختيار الأوزان والقوافى ونوع الحروف.
ويقول شاعرنا فارس فى قصيدته "واحة الحب":
يا مصر يا واحة للحب تؤوينا
مدى ذراعك يا أماء ضميننا
لما نيلك من عالى الجنان أتى
كأنه كوثر الفردوس يروينا
وأخت يوشع تحدونا إذا طلعت
وبدر ليلك إن شابت ينجينا
حقولك الخضر لا تنفك تسحرنا
نوارها لوحة طافت بواديننا
إلى آخر هذه القصيدة، التى لا نجد مجالاً للاقتباس الكثير منها.
وفى قصيدته "فى محراب الحقل" صورة من شعر الطبيعة الموشى بالجمال
والإبداع:
الطير تسبحاته فى الكون لله السميع
صلواته ألحانه فيها التبتل والخشوع
وبعد فماذا نستطيع أن نقول فى شعر الدين والوطنية والطبيعة والوجدان
فى الديوان.
إنه حقاً ينبى عن شاعر موهوب،

الباب الثانى

مدرسة شعراء المهجر

مدرسة شعراء المهجر

(١)

"مدرسة شعراء المهجر" إحدى المدارس الشعرية في حركة الشعر في العصر الحديث، وهي مدرسة لها سماتها وخصائصها المميزة، ولها مذهبها في فهم الشعر وخطوات التجديد فيه، وقد سبقتها في الظهور مدرسة البارودي وشوقي والزهاوي والرصافي، ثم ظهرت مدرسة شعراء الديوان: شكري والعقاد والمازني، التي حملت راية التجديد ودعت إليه بقوة وحرارة، كما دعا إليه من قبل مطران في هدوء وسلام، وجاء كتاب الديوان (١٩٢١م) ثورة عاصفة على مدرسة المحافظين في الشعر وفي الأدب، من مثل شوقي وحافظ والمتنطوطي، ومن حيث كان المذهب الكلاسيكي الاتباعي هو السائد عند المحافظين (أو ما نسميهم شعراء البعث)، كان المذهب الرومانسي الابتداعي هو السائد في شعر شعراء مدرسة الديوان، ومنذ ذلك الحين اشتهرت مدرسة شعراء المهجر، وذاع شعرها، وصيت شعرائها، في كل مكان، وكان بدؤها في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين، ولكن صوتها آنذاك كان خافتاً ضئيلاً لا يحس به أحد، ومنذ أوائل العقد الثالث طارت شهرتها، وذاع صيتها في أنحاء العالم الجديد، وفي كل مكان من الوطن العربي الكبير، وخاصة بعد قيام الرابطة القلمية في نيويورك في أبريل / نيسان عام ١٩٢٠م. وصدر "الغريال" لميخائيل نعيمة أحد أعمدة الرابطة القلمية عام ١٩٢٣م، وكتب العقاد مقدمته، منوها فيها بالكتاب ومؤلفه وبالرابطة القلمية ودعوتها التجديدية في الشعر العربي الحديث، التي تتلاقى مع دعوة مدرسة شعراء الديوان إلى حد كبير، وفي مقدمة العقاد للغريال يقول: "لو لم يكتب قلم النعيمي هذه الآراء، لوجب أن أكتبها أنا"، وهو تأييد كبير لخطى التجديد المشتركة بين مدرستي الديوان والمهجر. وتلا هذه المدرسة، وبعد فترة قصيرة، مدرسة شعراء أبولو التي قامت في سبتمبر / أيلول عام ١٩٣٢، حيث أعلن الدكتور أبو شادي قيامها، وظهور مجلتها المشهورة: "مجلة أبولو".

وهكذا شهد الثلث الأول من القرن العشرين قيام مدارس أدبية عديدة، لكل مدرسة اتجاهها وخصائصها، وكانت مدرسة شعراء المهجر من المدارس البارزة بين هذه المدارس المختلفة.

ويرجع قيام هذه المدرسة الشعرية المهاجرة إلى هجرة أفواج كبيرة من أبناء البلاد العربية، وبخاصة من سورية ولبنان، إلى العالم الجديد، في أواخر القرن التاسع عشر، وفي أوائل القرن العشرين، حيث نزلوا في كندا والولايات المتحدة وفي دول أميركا الجنوبية، وبخاصة: البرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا والمكسيك، ونقلوا اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة، وكان من بين المهاجرين أدباء وشعراء، فأنشأ المهاجرون في تلك الديار النائية أدبا، يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعرا يصورون فيه عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن، ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة، وكان أدبهم هذا هو أدب مدرسة المهجر. وشعرهم هو الشعر المهاجري الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وعنى به الأدباء والنقاد عناية كبيرة. وقد ولد هذا الأدب والشعر مع القرن العشرين، ثم نشأ ونما وترعرع وازدهر، حتى بلغ ما بلغ في الثلاثينات وما بعدها.

وتشبه هجرة الشعر العربي إلى أميركا الشمالية والجنوبية، هجرة الشعر كذلك إلى بلاد الأندلس، في أوائل القرن الثاني الهجري (أوائل السابع الميلادي)، فالشعر المهاجري صنو الشعر الأندلسي، كلاهما عاش في بيئة جديدة، وأحدث أثرا كبيرا ودويا ضخما في الشعر العربي كله، وكان مدرسة تجديدية كبرى شملت شتى مقومات الشعر وعناصره وأصوله، وإن اختلفت الهجرتان: فالهجرة إلى الأندلس كانت في ظلال دولة عربية قوية قامت هناك، والهجرة إلى العالم الجديد كانت في ظلال حياة المهاجرين الغرباء الضعفاء الذين لا يملكون شيئا من أمور المجتمع الذي يعيشون فيه في أرض العالم الجديد، وإن كانت قيمة الشعر المهاجري تكاد تعادل قيمة الشعر الأندلسي: ثراء وشمولا وتجديدا.

ومن أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر نذرة حداد (١٨٨١ - ١٩٥٠ م) وقد وصل إلى نيويورك عام ١٨٨٢ م، وكان من أعلام شعراء الرابطة القلمية فيما بعد، وكان يعد عميد شعراء العربية في أميركا^(١).

وتبعه رشيد أيوب الذي هاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٨ م، ويكثر في شعره من شكوى الزمان، حتى لقب "شاعر الدموع"، و"الشاعر الباكي"، وديوانه "أغاني الدرويش" مشهور، ولقب بالدرويش بديوانه.

ثم هاجر نسيب عريضة عام ١٩٠٥ م إلى نيويورك وتوفي فيها عام ١٩٤٦، وديوانه "الأرواح الحائرة" معروف، وقد أصدر عام ١٩١٣ م في نيويورك مجلته "الفنون".

وتوالى هجرة الشعراء والأدباء إلى المهجر الأمريكي، وفيه عاش أمين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠ م) الذي عرف بصلاته الوثيقة بالمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وكتابه "ملوك العرب"، وكتابه الآخر "تاريخ نجد وملحقاته" مشهوران، وقد شهر بأسلوبه. وهذا الإبداع في الكتابة، وتحري الحقائق فيه، مما لا يستغرب من الأستاذ الريحاني. الذي ينظر إلى الأمور بروحه وعقله وقلبه^(٢).

وكذلك جبران خليل جبران (١٨٨٣ - أبريل، نيسان ١٩٣١ م) الذي صار عميد الرابطة القلمية في نيويورك، ثم عبد المسيح حداد شقيق نذرة حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣ م)، الذي هاجر إلى نيويورك عام ١٩٠٧ م، وأنشأ فيها جريدة السائح عام ١٩١٢ م، واستمر صدورها حتى أغلقت عام ١٩٥٩ م، وكان من أوائل من فكروا في إنشاء الرابطة القلمية ١٩٢٠ م، في نيويورك .. ثم ميخائيل نعيمة (١٨٨٩ م - ١٩٨٨ م) مستشار الرابطة القلمية، وصاحب ديوان "همس الجفون". ثم أبو ماضي (١٨٩٠ - ١٩٥٧ م)، ثم نعمة الله الحاج (١٨٨٩ م) وهاجر إلى أرض المهجر عام (١٩٠٤ م) وقد قدم إليلا أبو ماضي ديوانه الأول.

^(١) يمتاز شعره بنزعة إنسانية، وتمددت موضوعاته: فنظم في الاجتماعات والإخوانيات والوجدانيات والطبيعة والتأملات، وله شعر قصصي، ومن أجمل شعره التأملي قصيدته: الله، ومن شعره الإنساني قصيدته: سر معي، أنا إن مت، ومن شعره الاجتماعي "طابع البريد".

^(٢) كما يقول عبد العزيز آل سعود من رسالة له إليه، وصدرت هذه الرسالة من نجد عام ١٩٢٨ م (راجع مقدمات كتاب تاريخ نجد وملحقاته) لأمين الريحاني - الصادر عن مؤسسة دار الريحاني ببيروت.

ومن الشعراء الذين هاجروا إلى المكسيك محسوب الخورى الشرنوبى (١٨٨٥ - ١٩٣١م)^(٢).

ومن المهجرين في البرازيل الشاعر القروى رشيد سليم الخورى الذى توفى في لبنان عام ١٩٨٤م، وهو من مواليد عام ١٨٨٧م، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣م، وعاد عام ١٩٥٩م من المهجر، وأقام في قرية "بربارا" في لبنان .. وكذلك قيصر سليم الخورى شقيق الشاعر القروى (١٨٩١م)، وشكر الله الجبر الذى هاجر عام ١٩١٩م ثم عاد عام ١٩٦٢م، إلى وطنه، وأخوه فضل الله الجبر (١٨٨٥ - ١٩٤٥م)، والياس فرحات (١٨٩٣ - ١٩٧٧م)، وقد هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠م، وأقام في سان باولو، وكذلك شقيق المعلوف، ورياض المعلوف، وجميل المعلوف، وفوزى المعلوف .. وسواهم.

ومن الشعراء المهجرين في الأرجنتين جورج صيدح (توفى في ١٠ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٨م)، وزكى قنصل، والياس قنصل، .. وسواهم. ومن أعلام الأدباء والشعراء في كندا محمد مسعود^(٣).

(٢)

وقد أنشأ شعراء المهجر الشمالى في نيويورك رابطة أدبية لهم باسم "الرابطة القلمية"، وذلك في ٢٠ من أبريل / نيسان ١٩٢٠م، وكان الذى حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو عبد المسيح حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣م) مؤلف كتاب "حكايات المهجر" .. وكان من الداعين كذلك إليها جبران، وكان من أعلامها: ميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، ونعمة الحاج، وإيليا أبو ماضي، ورشيد أيوب، وندرة حداد، ونعمة أيوب .. وسواهم.

وتولى جبران رئاسة الرابطة القلمية، وكان ميخائيل نعيمة مستشارها. وسجل نعيمة في صدر قانون الرابطة أن "هذه الروح الجديدة التى يرى الخروج بأدبنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى حميل الأساليب والمعاني حرية فى نظرتنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهى أمل اليوم، وركن الغد"

^(٢) راجع في ترجمته ص ٦٨٦ - ٦٨٩ من كتاب أدبنا وأدبنا في المهاجر الأمريكية للشاعر صيدح - طعة ثالثة بيروت

^(٣) المرجع السابق ص ٧١٢ - ٧١٤.

وأصدرت مجموعة أدبية دورية باسمها. أسهم في تحريرها رشيد أيوب^(١).
وقد طبعت مجموعة الرابطة القلمية في نيويورك، ثم في بيروت.

وقد وحدت الرابطة معنى أدباء المهجر الشمالي وشعرائه في سبيل اللغة العربية وآدابها^(٢)، والأدب عندهم يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب هو الذي خص بركة الحس، ودقة الفكر، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير^(٣).

وبعد قيام الرابطة صارت جريدة السائح لسانها الناطق، وصدرت أعداد ممتازة منها عن الحركة الأدبية في المهجر، وعن الرابطة ونشاط أعضائها. ويمثل كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة، الذي ظهر عام ١٩٢٣ م، وقدم له العقاد، أفكار الرابطة تمام التمثيل، من الدعوة إلى التجديد، وتوجيه النقد إلى مقاييس نقدية جديدة، متبعة من حاجات نفسية ثابتة، أحملها نعيمة فيما يلي:

- ١- حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية، من رجاء وبأس، وفوز وفشل، وحب وكره، ولذة وألم، وفرح وحزن، وطمأنينة وخوف.
- ٢- حاجتنا إلى نور نهتدي به في الحياة، وليس من نور نهتدي به غير الحقيقة.
- ٣- حاجتنا إلى الجميل في كل شيء.
- ٤- حاجتنا إلى الموسيقى.

وقد وجه جبران الرابطة وشعراءها نحو الرومانسية المجنحة، وامتد تأثيره إلى الشرق العربي، بشعره الموزون، وبشعره المنشور، وبالشعر المهموس أو شعر المناجاة الذي أوجده في شعرنا الحديث كما يقولون، وإن كان الشعر الصوفي هو الذي سبق به .. وعيب جبران في ثورته على القواعد والتقاليد اللغوية، وكان يقول للمحافظين على اللغة: "لكم منها ما قاله سيبويه وأبو الأسود الدؤلي وابن عقيل، ومن جاء قبلهم وبعدهم، ولي منها ما تقوله الأم لطفلها، والمتميم لسكينة ليلة^(٤)".

^(١) محمد قرة علي: شعر من المهجر، ص ٢٤١.

^(٢) محمد عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص ٤٨.

^(٣) المرجع نفسه نقلاً عن كتاب "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة.

^(٤) محيي رضا: بلاغة العرب في القرن العشرين، ص ٥٣.

ومثلت الرابطة نزعات التجديد في الأدب والشعر، ومن ثم كانت مثارا لحركة نقد شديد في كل مكان، حتى من كثير من المهجريين، وخاصة من شعراء العصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي^(١٠)، وكانت الرابطة أقرب إلى الرومانسية شكلاً. ولكن طول التأمل وعمق التجربة رفع أدبها وشعرها إلى مستوى عال يطل منه على مستويات العلم والفكر العالمي، وقال نعيمة في مقدمة دستور الرابطة: "ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا، ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأدب. فالأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها .. إلخ". ويقول صيدح: في شعر الرابطين على العموم معان حنون، لم تلد المحبة الإنسانية أرقى منها.

(٣)

وكذلك أنشأ قيصر المعلوف في البرازيل في أوائل القرن العشرين ندوة أدبية سماها رواق المعرى.

وفي سان باولو في البرازيل من أرض المهجر الأميركي الجنوبي أسس الشاعر المهجري ميشال معلوف جمعية أدبية جديدة سماها "العصبة الأندلسية" وتولى رئاستها، وكان قيامها في كانون الثاني/ يناير ١٩٣٣م^(١١)، ثم خلفه الشاعر القروي. ثم رأسها من بعده شفيق معلوف ابن أخت ميشال^(١٢)، وهو صاحب ديوان "كل زهرة عبير"، و"ملحمة عبقر"، و"نداء المجاديف"، و"الأحلام"، وهي قصة

^(١٠) راجع: إلياس قنصل: أدب المغتربين، ص ٥٨ - ٦٩، والرابطة القلمية لنادرة سراج.

^(١١) ذكر محمد قرة علي في كتابه: إن قيامها كان عام ١٩٣٣م (شعر من المهجر ١٨٥). ويبدو أن الرقم خطأ مطبعي. وإنه مقلوب ٣٢، وذكر الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ص ٥٠ من كتابه "الشعر العربي في المهجر" إن قيامها عام ١٩٣٥م، وذكر جورج حنون المعلوف أن مجلة العصبة ظهرت عام ١٩٣٥م (مجلة العصبة عدد كانون الأول - ديسمبر ١٩٥٣م)، ومن هنا كان اللبس في جعل قيام الجماعة نفسها عام ١٩٣٥م، وذكر جورج صيدح أن العصبة أسست عام ١٩٣٢م، وإن مجلتها ظهرت في العام التالي أي عام ١٩٣٣م، وذكر الدكتور عيسى الناعوري أنها أسست في كانون - يناير عام ١٩٣٣م. وذكر إلياس قنصل في كتابه أدب المغتربين (ص ٣٨ وما بعدها) أن العصبة ظهرت عام ١٩٣٣م، واتخذت مجلة الأندلس الجديدة لشكر الله البحر لسانها، وفي عام ١٩٣٤م ظهرت مجلة العصبة التي استمرت عشرين عاماً. وكذلك ذكر توفيق شعون في كتابه ذكرى الهجرة (ص ١٩٢ - ١٩٦) إنها قامت عام ١٩٣٢م، وذكر الشاعر المهجري رياض معلوف في مجلته التي كانت تصدر بباريس أن قيام العصبة عام ١٩٣٣م، والتاريخ الصحيح هو ما ذكرناه.

^(١٢) مجلة العصبة عدد كانون الأول - ديسمبر ٨، ٧ عام ١٩٥٣م.

خيالية اجتماعية، ومن أسرتهم الشاعر فوزى المعلوف (١٨٩٩ - ٧ يناير / كانون الثاني ١٩٣١م)، صاحب ملحمة "بساط الريح" التي قدم لها الشاعر الأسباني "فيجاسياسيا" وكذلك رياض المعلوف، وجورج حنون المعلوف، الذي قدم دواوين الياس فرحات وقد مات عام ١٩٦٥م.

وقد اتسمت حركة العصبة الأندلسية الأدبية بالهدوء والالتزان، ويشير اسم "العصبة الأندلسية" إلى مدى تأثير المهجريين بالأدب والشعر الأندلسي. وبخاصة الروح الفنائى والموسيقى والعذوبة الفنية فى الموشحات، التى بلغت نهاية الترف والجمال، وقد تولي رئاسة تحرير مجلة العصبة الأديب المهجرى حبيب مسعود، الذى كان يلقب بابن مقلة العصر، وكان أحد أركانها لشاعر القروى، وفى عام ١٩٤٢م حظر فى البرازيل صدور صحف بغير اللغة البرازيلية فتوقفت "العصبة" ثم عادت عام ١٩٤٧م للصدور وظلت تصدر حتى عام ١٩٥٣م، وبعد توقفها عمل رئيس تحريرها حبيب مسعود رئيس تحرير لجريدة "المراحل" التى كانت تصدر فى سان باولو فى البرازيل.

ويقول شقيق المعلوف يخاطب إخواته فى "العصبة الأندلسية" من قصيدته "الخرساء":

لك الله فى أصقاع (كولمب) عصبة
تناضل عن حوض البيان المهدد
لنا اللغة المثلى متى أنهار سورها
بصرح دعمناه بصرح ممرود
وفى قصيدته التى أهداها إلى إخوانه فى "الرابطة القلمية" يقول:
أناشيدنا تلك التى تكبرونها
بدأتم بها أنتم بأروع مطلع
وإن لسواء نحن قمنا نهزه
خفوقاً على حصن البيان الممنع
لسواء ظفركم أنتم باكتسابه
ونحن ركزناه بأرفع موضع

ولقد فرح حبيب مسعود معنى تسمية جماعتهم هذه بالعصبة الأندلسية فقال:
إنه التيمن بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الأندلس، والإشارة إلى الابتعاد عن
التطرف الذي اتسمت به "الرابطة القلمية"^(١٢).

وقد حدد الأعضاء مبادئ العصبة بتعزيز الأدب العربي، وتأخي الأدباء ورفع
مستوى اللغة العربية، ومكافحة التعصب^(١٣)، وكان نظير زيتون، أمين سر العصبة.

وكتب شقيق معلوف مرفاً بالعصبة وغاياتها فقال: "إن أركانها أجمعوا على
النضال في سبيل الأدب من حيث هو فن وجمال، دون ما ينظر إلى إطار أو مصدر.
فلا اغتراف من معين ينبوع منشود، ولا تمسك بفرع من فروع الشعر محدد، ومن أميز
ما اتسم به أدب العصبة وشعر شعرائها إنهم ترسموا أساليب الفصحى، وتقيدوا
بأحكامها، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، كما أنهم جالوا في مضمار التجديد صامدين
بأدبهم دون فوضى التجديد"، وفي عدد مجلة العرفان الصادر عام ١٩٦٤م ص ١١٢٣
يذكر حبيب مسعود نقلاً عن كتاب "المغتربون" لعبد اللطيف اليونس من المهجريين
في الأرجنتين ظروف قيام العصبة بالتفصيل^(١٤)، وكان من أعضائها آل معلوف، والشاعر
القروي، وحبيب مسعود، ونظير زيتون، والشاعر القروي، وشقيقه قيصر الملقب بالشاعر
المدني، وإلياس فرحات .. وسواهم.

وفي مجال الموازنة بين أدباء العصبة وأدباء الرابطة تجد أدباء العصبة أكثر
تمسكاً بالديباجة المصقولة، والعبارة الجميلة والجرس القوي، أما أدباء الشمال،
أدباء الرابطة، فلم يظهروا اهتمامهم باللغة.

(٤)

ولما هاجر الدكتور أبو شادي إلى نيويورك في أبريل / نيسان عام ١٩٤٦م،
واستقر به المقام فيها أنشأ عام ١٩٤٨م، رابطة أدبية سماها "رابطة منيرفا"، كما قامت
عام ١٩٤٩م في عاصمة الأرجنتينية رابطة باسم "الرابطة الأدبية"، ولكنها اختفت بعد

^(١٢) أدبنا وأدياننا في المهاجر الأمريكية ص ٣٨٢.

^(١٣) المرجع السابق ص ٣٨٤.

^(١٤) ومن أرفى ما كتب عن قيام العصبة الأندلسية مقال بقلم عمر الدقاق نشر في مجلة المعرفة السورية (عدد
أكتوبر - تشرين الأول ١٩٦٨م)، وكذلك كتب العقاد عن العصبة في مجلة قافلة الزيت مقالاً نشر فيها عام
١٩٦٤م.

عامين، وكان الذي أنشأها هو الشاعر المهجري جورج صوايا. وفي سان باولو في البرازيل قامت أيضًا "جامعة القلم".

(٥)

ولقد تأثر الشعراء المهجريون بالآداب العربية القديمة والحديثة، وبمختلف المدارس الشعرية الجديدة، خاصة مدرسة شعراء الديوان، والعقاد هو الذي قدم كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة إلى القراء، وفي هذا التقديم ثناء من العقاد على أدياء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد.

وكذلك تأثر المهجريون بشعراء "مدرسة أبولو"، وأنثروا فيها أيضًا، وكذلك بشعراء مدرسة البعث، وفي مقدمتهم شوقي وحافظ ومحمود الزهاوي والرفاعي، وكان للمتنبي والمعري والخيام أثر كبير في شاعريتهم وفي شعرهم، وقد نزع بعض المهجرين إلى تقليد قصائد الشعراء القدماء والمحدثين ومعارضتها، كما فعل رشيد أيوب في معارضته لدالية الحصري "يا ليل الصب"، وكما فعل وديع عقل في معارضته لقصيدة علي بن زريق البغدادي:

لا تعذليه فإن العدل يولعه

قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

وكما فعل محبوب الشرتوني في قصيدته في وصف الحمى التي عارض بها قصيدة المتنبي المشهورة:

ملا كما يجمل عن الملام

ووقع فعالة فوق الكلام

ويقول فوزي المعلوف:

خل البداوة رمحها وحسامها

والجاهلية نوقها وخيامها

وبعاضه إلياس فرحات بقصيدة^(١٥) يقول منها:

خل البداوة نوقها وحسامها

والجاهلية رمحها وحسامها

^(١٥) ص ٢٥٥ ديوان فرحات - سان باولو بالبرازيل عام ١٩٣٢ م.

حيثك أشباح القديم وسلمت

فمن العدالة أن تورد سلامها

وللمهجرين الشماليين من سعة الأفق، وشدة الانطلاق نحو التجديد، ما لم يعرف لسواهم من المهجرين، من حيث جناح شعراء المهجر الجنوبي إلى المحافظة على عمود الشعر والبلاغة العربية، وأكثرهم موزعون بين البرازيل والأرجنتين. وجمال شعراء الشمال في كل فن، وقالوا في كل غرض، وفاض شعرهم بمختلف النزعات الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والريالية والواقعية وغيرها، وظهر التحرر التعبيري في شعر نسيب عريضة وميخائيل نعيمة وجبران أكثر مما ظهر في شعر غيرهم، وصار شعراء الرابطة القلمية أكثر حرية في اللغة، وتجديدًا في الألفاظ والأساليب.. من حيث وقف شعراء المهجر الجنوبي عند حدود المحافظة على اللغة والأسلوب.

وكان تجديد المهجرين في الأوزان الشعرية واضحًا، فقد كتبوا الشعر على طريقة الشعر المنتور، أو النثر الشعري، واستهوتهم الموشحات الأندلسية بجمالها، فنظموا على منوالها الكثير من قصائدهم، لكثرة أوزانها، وللحرية الكبيرة في تخير قوافيها، وكان جبران يقول: إن تعدد الأصوات يزيد في وقع القصيدة ومداهها، ويسترعى انتباه القارئ، أكثر من الصوت الواحد^(١٦). وقد أكثر عن ألفاظ المهجرين وتراكيبهم، ويرى أنها ليس لها مثيل في الشعر الحديث^(١٧)، ويذكر أن تمنع الشعر المهجري على لغة الشعر التقليدية، وركونه إلى التعبير المباشر القوي، هما من حسانه، لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذي كان لابد للشعر المهجري أن يسلكه لكي يفلت من الصنعة إلى الصدق، ولكن يعود إلى الحياة^(١٨).

وبجمل الدكتور عيسى الناعوري^(١٩) حركة التجديد في الشعر المهجري امتدادًا للانطلاقة الأندلسية الشعرية، التي ظهرت في موشحات الأندلسيين وتمثل هذه الحركة في رأيه مرحلة العمق والبساطة في الشعر العربي وجعل الشعر فنا يعبر

(١٦) جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة - ومن الموشحات المهجرية قصيدة "يا نفس" لجبران.

(١٧) ٥٧، ٥٨ في الميزان الجديد - مندور - طبعة ثانية.

(١٨) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(١٩) عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص ٣٢٧، مطبع دار المعارف في مصر / عام ١٩٥٩ م.

عن خلجات النفس ونوازع الحياة، دون افتعال أو زخرفة لفظية. وقد ساعد على إيجاد هذه الحركة الجو الجديد الذي عاش فيه شعراء المهجر، والآداب الغربية التي اتصلوا بها وبأصحابها، والحرية الواسعة التي امتلأت بها نفوسهم. وبواسطة اطلاعهم على الشعر العالمي في مختلف اللغات استطاعوا أن يجمعوا بين قوة المعاني وصدق التعبير، وبراعة الصورة، وبساطة الصياغة، وموسيقيتها، وإلى جانب الشعر الكلاسيكي المحافظ الذي أغنوه بجمال المعاني الجديدة، جاءوا بشعر جديد آخر جميل، غنى بالموسيقى والألوان والصور الحية البديعة، وقد أشار د. / الناعوري إلى صنع شعراء المهجر في أوزان الشعر وموسيقاه، وإلى تلاعبهم بالتفعيلات، وإيثار بعضهم بناء القصيدة على تفعيلية واحدة، وإلى تنوع القوافي في قصائدهم، وإلى أثر هذا في موسيقى الشعر، ويرى أن صنعهم هذا حفظ للشعر العربي موسيقته الفنية. ويجعل "صيدح" الموهبة الفطرية هي مفتاح السر في تفوق أدب المهجر وشعره، مع الجهد والاجتهاد والتأمل العميق.

وقد استلهم المهجريون روح الشرق في شعرهم استلهاماً عجباً، يقول أبو ماضي:

أنا في نيويورك بالجسم وبالأثر
وح في الشرق على تلك الهضاب
أنا في القوسلة زهر وندي
أنا في لبنان نجوى وتصابي

ومع ما بين الشماليين والجنوبيين من فوارق، جمعت بينهم الغربة والبيئة الجديدة وقربة الفكر، فالتقوا جميعاً على صعيد الإنسانية الفسيحة، ومثلها العالية، إخواناً متحابين.

ويقول محمد عبد الفتى حسن: إن المهجريين استطاعوا أن يحتفظوا بشخصيتهم العربية التي تعبر عنها لغتهم أصدق تعبير، واستطاعوا أن يبنوا لغة عدنان كيانا قائما في المهجر، على الرغم مما أدخلوه عليها من غرائب العرب في الاستعارات والمجازات والتشبيهات والكنائيات وغريب الخيال^(٢٠).

(٢٠) مقدمة الشعر العربي في المهجر.

ويرى الشاعر الكبير عريز أباظة^(٢٢) أن المهجريين لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود إليها إخوانهم في لبنان.

وقد يدافع عنهم بعض النقاد بأنهم مع اقتناعهم في توليد المعاني الطريفة وإلباسها ثوباً من الأرخلة الجميلة في المجازات والتسبيحات والاستعارات والكنائيات - قد نظموا القصة الشعرية، والكثير من الأساطير والخرافات والحكايات الإنسانية التي احتدوا فيها حدو لافونتين وأبسون، وكثرت في شعرهم الرحلات الخيالية إلى السماء والعالم الآخر، كما نجد في ملحمة "على ساط الریح" لفوزي المعلوف، وملحمة "عقر" لشفيق معلوف، مما تأثروا فيه ولا ريب بالمعري في "رسالة الغفران" وبدانتى في "الكوميديا الإلهية"، و"شاطئ الأعراف" للهمشري، و"ترجمة الشيطان" للعقاد، و"لورة الجحيم" للزهاوي، وبالقصص الشعرى الذي أكثر من النظم فيه شوقي وحافظ والرصافي وأبو شبكة، ومطران، وشبلي الملائكة، وخليل شبيب، وبشارة الخوري، وخير الدين الزركلي، وإبراهيم ناجي، وعلى محمود طه، .. وسواهم.

ومن المعاني الجديدة قول فرحات:

كل من راقب الظلام ملياً
ظن عينيه كوكبين تالهيين

ويقول شفيق معلوف في وصف عين الشيطان:

كأنما محجرها كوة يطل منها الزمن الغابر
ويقول أبو ماضي:

فلذا رأيت ذو الغباوة دونه
فكما يرى في الماء ظل الكوكب^(٢٣)

وأحاط المهجريون كذلك بالكثير من ثقافات العرب، وأمريكا، وألمانيا - مع العربية - باللغتين الإنجليزية والأسبانية. وكان حظ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأميركي غير قليل.

^(٢٢) المرجع السابق ص ١٨.

^(٢٣) راجع: الشعر العربي في المهجر، ص ٦١.

وقد وقفوا بين روح الشرق وروح الغرب موقف المؤمن بالتراث، والمستفيد من كل جديد، فكثرت في شعرهم معاني الحرية والدعوة إلى الإخاء والمساواة. ووقف بعض المهجريين من القديم والجديد موقفا وسطا، أخذوا من القديم وأخذوا من الجديد، وتوسطوا في الأمر بين التجديد والتقليد، فلهم كلاسيكية حافظ وشوقي وأحمد محرم وبشارة الخوري، ولهم رومانسية حالمة مجددة، ورمزية، وسيرالية كذلك، ينزعون نحو المذاهب الغربية في الأدب والشعر والفن. ولقد كان شعراء "الرابطة القلمية" أكثر إصرارا في التجديد والدعوة إليه، وتوزعت آراء الشعراء المهجريين في الجنوب بين التجديد والتقليد، وهكذا مثلت "العصبة الأندلسية" موقف المحافظ المعتدل المتطلع ببصره تارة نحو القديم، وأخرى نحو الجديد، ويمثل الرأي المحافظ في العصبة أمثال: الشاعر القروي وإلياس فرحات، بينما يمثل رأي الداعين للجديد والمتمردين على القديم أمثال فوزي المعلوف في البرازيل، وجورج صوابيا في الأرجنتين؛ وكذلك نعمة قازان الذي يقول:

فقلتم: يقول النحاة، فقلت
لقد كان ذلك في البصرة
مضت بالنحاة حدود الزمان
ومر خيالي وعقليتي؟
لقد حددها لأفكارهم
فضاقت، وزمت على فكرتي
فقلتم: يقول الكسائي، فقلت
وجبران قال على صحة
وعندما يأخذون معاني القدماء يصوغونها بلباقة. يقول أبو العتاهية:
وكانت في حياتك لي عظام
وأنت اليوم أوغظ منك حيا
فيقول أبو ماضي:
يعظ النابغ الخلائق حيا
إنما موته أجل عظامه

ويقول زكى قنصل^(١٣٦):

أفهم الشعر حراً من كل قيد ترايى، نظيفاً من كل درن ورائى، أفهمه قبشارة
مختلفة الأوتار، متعددة الأصوات، تتماوج بالبحان السماء وأهازيج الحياة . لكنه
يعود ويستدرك على ذلك فى قصيدته التى صدر بها الديوان، وعنوانها "رجعى"^(١٣٥)،
وفيه يقول:

أنا يا قوم رجعى
أحب الفن للفن
أنا فى الأنس جنى
وأنى مع الجن
أقول الشعر تفرججا
لما فى النفس من ألم
كنت قدمى فلم أحزن
وأحزن إن كبا قلمى
ويقول فى قصيدته "شوقى"^(١٣٥):
يا هازلين بشوقى لا ألومكم
ما قيمة الشمس فى رأى الخفافيش
جناح شوقى مرأى النجم مسبحه
فكيف يدركه ديك بلا ريش
شوهتمو صفحة الفصحى ولم تدعوا
فى الشعر قاعدة من غير تشويش
ولقد نظم المهجريون فى الحرية، وفى الفخر بالشرق والعرب، وفى الابتهاال
إلى الله وتقديس أنبيائه، وفى الكفاح فى سبيل الحياة، وفى وصف الطبيعة، وفى

^(١٣٦) ص ٨ مقدمة ديوان "الوان والحن"، طبع بيونس آيرس، الأرجنتين عام ١٩٧٨ م.

^(١٣٥) المرجع السابق، ص ١٧.

^(١٣٤) المرجع السابق، ص ١٦٠.

الحريرة، والتساؤل والتأمل، وفي البكاء والألم، ونظموا القصة الشعرية، ونظموا وأبدعوا في الحنين إلى الوطن، وغلب على شعرهم الطوايع الآتية:

١ - الطابع العاطفي الذي يتجلى رقة في العاطفة ما بعدها من رقة، حيث الشوق والحنين إلى الوطن البعيد.

٢ - الطابع الروحي، ويتمثل في مناجاتهم لله، وحبهم للطبيعة، وهيامهم بالجمال.

٣ - الطابع التأملية كما في "الطلاس" لأبي ماضي وغيرها.

٤ - الطابع القومي، مما يترأى لنا في وطنيات أبي شادي.

٥ - الطابع الإنساني، وهو كثير في شعرهم.

ولم يقطع الشعر المهجري صلتَه بالشرق أو بالعروبة أو بالإسلام، فجميعها مؤثرة عليه من جوانب كثيرة، مما يشمل الوطن والسياسة والدين.

وما كتبه القروي من شعر في رسولنا الأمين محمد - ﷺ -، وقصيدة إلياس قنصل عن النبي العربي الكريم، خير مثل لإيمانهم بقدسية الرسالات وجلالها. وقد نوه مندور بما في الشعر المهجري من تلك اللهفة الروحية التي وجهت أجدادنا^(٢٦)، ودافع العقاد عنه لأنه ثمرة أربعين عاما، ولأنه لروعة للغة العربية، ويدافع صيدح عن المهجريين بأن تجديدهم الأهم كان في الفكرة والموضوع، وقد انعكس هذا التجديد على الأساليب والموسيقى الشعرية.

وفي الشكوى من آلام الغربة ومشتقاتها، وفي الحنين إلى الوطن، يبلغ الشاعر المهجري الغاية، التي لا مزيد بعدها لمستزيد.

وإذا أردنا الشواهد على كل ما قلناه فهي كثيرة لا يحجز عنها أحد ولو ذكرت بعضها لأطلت ومللت، وحسبي هنا أن أنقل عن زكي قنصل من قصيدة له^(٢٧):

حسام أخنق شصاتي وانتظر
طال الطريق وأوهى عزمي السفر
جارت على النوى واستنزفت كبدى
فكيف يضحك في قبشارتي وتر؟

^(٢٦) مجلة الثقافة المصرية عدد أبريل (نيسان) ١٩٤٣ م.

^(٢٧) البوان والحنان، ص ٩٧.

يا شام لولا طلاب المجد ما انتشرت
 في الشرق والغرب هذى الأنجم الزهر
 يا شام باسمك كم غنوا وكم هزجوا
 ويعلم الله كم أنسوا وكم زفروا
 لم يهجروك، برغم البعد، ثانية
 شتان شتان من غابوا ومن هجروا
 أو أنقل عن أبي شادى قوله^(٢٨):
 بكى الريح طروباً فى مياحه
 وقد بكيت أنا حبى وأوطانى
 أنا الغريب وروحي شاركت بدنى
 هذا العذاب بأشواقى وأحزانى
 فيم العزاء، ولا قلب الأسود به
 ولا حنان يناجيني كتحنانى
 لى فى ثرى مصر دمع نالغ ودم
 أذيب من مهجتي اللهى ونيرانى
 تركته مثل غرس الحب ما ذبلت
 أزهاره أو أغسالت روح لهفان
 أشمها فى اغترابى حين تلدغنى
 ذكرى الشياى وذكرى عمرى الفانى
 ويقول حلیم دموس فى الغربة والاغتراب:
 هجر الروعى وعاف الثمرة
 وليالى أنسه المزهرة
 كان فى موطنه معرفة
 وهو فى الغربة أمسى تكرة

^(٢٨) راجع: راند الشعر الحديث للحنجى.

ومضى يضرب في آفاقها
ولسان الدهر يروى خبره
بحياتي هاجر مغترب
غالب الدهر ولاقى عبره
وهو في الفجر يناجي شمس
وهو في الليل يناجي قمره
أدر الدفة ياربها
فالحمي حن إلى من هجره

إيليا أبو ماضى

ابن المحدث، تلك القرية الودعة، النائمة في أحضان الجبل الأشم .. إيليا أبو ماضى الشاعر الذى ودع الحياة منذ ثلث قرن من الزمان .. مازلنا نذكره، ونذكر إقامته في عاصمتنا الثانية أحد عشر عاما، امتدت من عام ١٩٠١، حتى عام ١٩١٢ م، أى منذ أن كان في السنة الثانية عشرة من عمره، حتى بلغ الثالثة والعشرين. وموسيقى أبو ماضى، وطبوف القصة وملامحها في شعره وشئى ألوان الجمال التى يصبغ بها شعره، وروح البساطة والصدق التى ترفرف على قصائده، ومضامينه الشعرية المستمدة من الحياة والطبيعة .. كلها من عناصر الشاعرية الملهمة التى عرف بها أبو ماضى، والتى أكسبته المجد والخلود. وهذه الموسيقى الحلوة إنما اكتسبها الشاعر من شعراء الإسكندرية، ومنحته إياها طبيعة هذه المدينة الساحرة، ففي الإسكندرية كان يعيش جماعات من الشعراء، أثروا الشعر ونهضوا به، ووهبوه الرقة والدوبة والجمال، مما ظهر أثره في موسيقى الشعر الإسكندري عمومًا، وشعر أبي ماضى على وجه الخصوص. ومن بين هؤلاء الشعراء: خليل شيبوب (١٨٩٢ - ١٩٥١) وصديق شيبوب (١٨٩٤ - ١٩٦٥)، وعبد الرحمن شكرى (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨)، ومحمد فضل اسماعيل، وعبد اللطيف النشار، وعثمان حلمى، وعلى العزبى. والأقصوصة الشعرية ظهرت كذلك في شعر الإسكندرية، وكانت "مجلة أنيس الجليس" التى تصدر في الإسكندرية ميدانًا خصبًا لقرايح الشعراء الذين كانوا ينظمون الشعر في الثغر. هذا وقد ظلت تصدر في الثغر وقتنا غير قصير، ولقد نظم أبو ماضى في الإسكندرية الكثير من القصص الشعرية، كما نظمها سواه من الشعراء .. مما يظهر لنا من ديوانه "تذكار الماضى" الذى نشره في الإسكندرية عام ١٩١١ م، والإسكندرية على أية حال هى الملهمة له بموسيقاه وبقصصه الشعرية الجميلة .. كان فيها يعمل في التجارة، ويهوى الأدب، ويحضر ندواته ومحالسه، وينظم الشعر، ويشارك الشعراء في تدوقه.

وأصدر أبو ماضي في المهجر "ديوان إيليا أبو ماضي" عام ١٩١٦. وطبعه في نيويورك وبشمل ألواناً من شعره القصصى والتأملي والعاطفي .. ثم نشر عام ١٩٢٧م ديوان الجداول الذي طبع في نيويورك، وقدم له ميخائيل نعيمة، وفي عام ١٩٤٦ نشر ديوان الخمائل .. وكل هذه الدواوين تحمل طابع الإسكندرية وإلهامها وسحرها .. أما ديوانه "نبر وتراب" فقد صدر بعد وفاته.

إن طقل المحيدلة، والثاب الذي عمل في دكان سجائر في الإسكندرية وعشق الأدب والشعر فيها، وشاعر الطلاس والطين ووطن النجوم، مدين لحياته في الإسكندرية، التي أنهمته النبوغ والشاعرية والموسيقى والروعة، مما صار به أبرز شعراء المهجر الأمريكي وأسيرهم شعرا، وأظهرهم في بساطة الأسلوب، وإنسانية الموضوع .. بجانب ما أخذه عن أساطين الرابطة القلمية، من أمثال جبران ورشيد أيوب وميخائيل نعيمة، وسواهم.

ومع ذلك كله فقد استبقى من حياته في الإسكندرية عدة عناصر، من أهمها السهولة الفائقة التي اتسمت بها ديباجته، وهي التي أثرت عن شعراء مدرسة الإسكندرية من مثل خليل شيبوب وصديق شيبوب وعثمان حلمي، ومنها الصناعة الفنية، وقد حرص إيليا أبو ماضي عليها برقتها وعدوبتها، مما تأثر فيها بخليل مطران وبغيره من شعراء الإسكندرية الملهمين.

وحياة أبي ماضي بتفاصيلها في ثغرها الجميل كانت مجهولة لولا الأستاذ عبد العظيم القباني الأديب الإسكندري المعروف، الذي ألف كتاباً سماه "إيليا أبو ماضي - حياته وشعره بالإسكندرية" فأبان المجهول من أسرار هذه الحياة التي لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً، وبفضله نستطيع أن نحيط بكل التفاصيل المجهولة لحياة أبي ماضي الأولى.

ولاشك أن تأثير هذه الحياة في شعر أبي ماضي، وفي نظراته ومذهبه في الحياة .. ظل ملازمًا له .. إلى وفاته في نيويورك في خريف عام ١٩٥٧، بعد أن وضعته مواهبه في صفوف الملهمين الراندين، من الشعراء الخالدين.

ميخائيل نعيمة

مات آخر أعضاء الرابطة القلمية، وأحد أعمدتها، وأديب من أشهر رواد النهضة الأدبية العربية الحديثة، وهو ميخائيل نعيمة صاحب التسعة والتسعين عاما التي عاشها في حقل المعرفة الإنسانية. (١٨٨٩ - ١٩٨٨).

وفي آخر حديث أجراه معه محرر مجلة "فكر وفن" الألمانية (عدد ٤٥ لعام ١٩٨٧ - الطبعة العربية) يقول نعيمة:

"لقد عبرت في ديوان "همس الجفون" عن كثير مما كنت أحب أن أقوله. وإذا كان لي من كلمة أوجهها للشعراء الجدد فهي أن يحافظوا على الوزن، لا بأس بتعدد القافية، ولكن إذا استغنيا عن الوزن لم يبق ما يدعو للتمييز بين الشعر والنثر".

ويأسي نعيمة لأن جائزة نوبل حرم منها مثل طه حسين ومنحت لكاتب يهودي مشعور يستعمل لغة ميتة للتعبير عن طلاسمة، يدعى اسحاق سيجر.

ويقول نعيمة: "عشت جميع مآسي القرن، وأنا من الذين يقولون: إن المأساة تصنع الأمم، ووراء كل بلد عظيم مأساة، لقد صنعت مأساة فلسطين العرب، أخرجتهم من الصحراء ليواجهوا العالم بكلمات قوية".

لقد كتب الشعر والقصة والرواية والمسرحية والسيرة وكان اهتمامه الفكري ينصب على معالجة قضايا الإنسان، وقد انقطع عن الكتابة منذ ثلاث سنوات قبيل احتفاله في تشرين الأول من عام ١٩٨٦ بعيد ميلاده السابع والتسعين.

وفيما بين تشرين الأول ١٨٨٩ والخامس والعشرين من فبراير ١٩٨٨ عاش نعيمة، وأبدع أدبه، وتألق في فكره، ويقول: عندي ثلاثون كتاباً، أهمها (مرداد) لو لم أؤلف سواه لكفى، وعندما أمثل بين أيدي الديان لن أحمل كتيبي معي، بل سأقول: لست أنا الذي ألفتها لأنها قد تمثل شهادات ضدى. ونحن نقرأ فكر نعيمة وأدبه في مثل: زاد المعاد كرم على الدرب مهيب الريح دروب البيادر صوت العالم النور والديجور... المراحل. وفي قصته الطويلة "لقاء"، ومسرحيته "الآباء والبنون". وفي كتابه "مركو" الذي كتبه بالانجليزية وترجم إلى العربية، وفي سيرته الذاتية "سعون" ذات الثلاثة الأجزاء التي كتبها وهو في السبعين من عمره. وفي كتابه

"الغريال" الذي صدر عام ١٩٢٣ في نيويورك بمقدمة بقلم العقاد. وقد وصل الغريال بين الرابطة القلمية ومدرسة الديوان، ويشارك "الديوان" الصادر عام ١٩٢١ في نقد المدرسة المحافظة ووضع مناهج جديدة في الشعر والنقد، وأولى مقالات نعيمة النقدية نشرت في مجلة "الفنون" التي كانت تصدر بالعربية في نيويورك، وكان المقال عن "الأجنحة المتكسرة" لجبران.

وقد عاش نعيمة في المهجر واحداً وعشرين عاماً (١٩١١ - ١٩٣٢)، حيث أقام بعد عودته إلى وطنه في منزله في بسكننا في ضاحية تعرف بالشخروب، حيث أطلق عليه القصاص اللبناني توفيق يوسف عواد في منتصف الثلاثينات لقب ناسك الشخروب، وثار نعيمة على هذا اللقب وقال: أنه ليس ناسكاً معتزلاً للحياة والناس، إنما هو كاتب يستقى تجاربه من حياة الناس والمجتمع.

وكتاب نعيمة عن جبران من أجمل كتب السيرة؛ وهو يقول: جبران رسام أولاً وكاتب ثانياً، وقد صورته في الكتاب كما عرفت تماماً، لا كما ظنه بعض الناس بأنه أسطورة، لقد عشت معه خمسة عشر عاماً، وكنا أصدقاء يتأثر أحدهما بالآخر فلا مجال للقول أننا أكثر تأثراً بالآخر.

كان نعيمة الأديب الوحيد الباقي على قيد الحياة من أعضاء الرابطة القلمية التي قامت في نيويورك عام ١٩٢٠م، وكان جبران عميداً لها ونعيمة أميناً لسرها، وكان من أعضائها: نسيب عريضة، ورشيد أيوب، وأبو ماضي، وعبد المسيح حداد.

وانتهت الرابطة القلمية وجبران وزملاء جبران وبقي نعيمة حتى فاضت روحه، وهو يحمل آثار السنين، وكفاح إنسان عاش عصراً طويلاً، متعبداً في محراب الفكر والأدب والجمال.

زكى قنصل
أحد أعلام شعراء
المدرسة المهجرية المعاصرة

(١)

زكى قنصل من معالم الحركة الشعرية المعاصرة فى المهجر الأمريكى الجنوبى، حيث يقيم فى بيونىس ايريس بالأرجنتين منذ وقت طويل، ويتميز شعر زكى قنصل بالموسيقى وروح العروبة وبالصور الجميلة، والأخيلة الساحرة، وبأنه يمثل تمام التمثيل روح شاعر فنان أصيل موهوب.

ولزكى قنصل دواوين كثيرة، آخرها هو ديوان "ألوان وألحان" الذى صدر عام ١٩٧٨ فى بيونىس ايريس، وذلك بعد دواوينه الأربعة التى أصدرها من قبل، وهى:

شظايا - نور ونار - عطش وجوع - سعاد.

ولدى الشاعر عدة دواوين أخرى مخطوطة لا تزال تحت الطبع.

والشاعر من أخصب شعراء المهجر الأمريكى الجنوبى، وهو وليف من الشعراء المهجرين، يقيمون فى أمريكا الجنوبية، فى البرازيل، والأرجنتين، وشيلي، وغيرها، وقد طارت شهرتهم وذاعت شاعريتهم، واشتهر شعرهم فى كل مكان.

ويمثل زكى قنصل الشاعر تيار الشعر المحافظ الأصيل، تيار الكلاسيكية العمودية، الذى يحترم الأصالة والموهبة والتقاليد الفنية العمودية للقصيدة الشعرية، ويحافظ عليها ويدعو إليها، ويقف فى مواجهة الشعر الجديد، ويعلن رفضه له بكل مناهجه وأشكاله، حتى لقد كتب على الديوان: (شعر تقليدى رجعى فيه كل عيوب الشعر القديم).

والشعر عنده كما يقول:

الشعر وحى وإيمان وعاطفة

فمن يكن عاطلا منهم فليذر

لا خير في القول تهذارا وشعوذة
 شتان بين بريق الآل والمطر
 بل الشعر عنده هو حياته، وأعز ما يحرص عليه:
 كرسى للشعر عمرى لا أخون له
 عهدا، ولا ارتضى فى حبه بدلا
 قل للذين على أقداسه وغلوا
 طريق عبقر مسدود لمن وغلا
 ليهزأ الشعر من رهط إذا نظموا
 عصى البيان هوانا وانطوى خجلا
 ولقد تأثر الشاعر بالشعر العربى القديم، وبشعر المتنبى خاصة. وبالشعر
 الحديث، وبشوقي من بين الشعراء، وبمدرسة المهجريين فى الشمال والجنوب،
 وكان امتدادا نبيلاً لمدرسة المحافظين من الكلاسيكيين الجدد، ذوى الموهبة
 والأصالة والطلاوة والطبع والشاعرية. وشوقي هو أكبر رواد هذه المدرسة التى
 تحافظ على عمودية القصيدة، وتهتم بالتراث الشعرى، وتولى القافية عنايتها، وقد
 تراوح شعره بين القصيدة والموشحة، ويولى الموضوعات الجديدة عنايته، ويهتم
 بالأسلوب والصياغة، ويرجع إلى الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين، ويقيد من
 شاعرينهم ومن تجديداتهم.
 والشاعر يرجع إلى المتنبى طويلاً، يتأثر به ويأخذ عنه، ويرجع إليه، وفى
 الديوان قصيدة - من أطول قصائده - عن المتنبى، يقول فيها مخاطباً المتنبى:
 قبست منك أمائلا غلت ثمننا
 إن كان غيرى لم يعرف لها ثمننا
 ويقول فيها كذلك يصور مدى اهتمامه بديوان المتنبى وقراءته له، وإفادته
 منه:

يا من فتحت على ديوانه بصرى
 ولم أفارقه فى حل وفى سفر
 لكم سهرنا معاً حتى الصباح فلم
 تمل منى ولم أتعب من السهر

أفضى إليك بأشجاني فتؤنسني
بلا ملال ونأسوني بلا هدر
إذا استزدتك لم تبخل علي بما
يرد عني عوادي الشك والحدرد
تحسب بعطفك آمالي وتنقدني
من عثرة الفكر أو عثرة النظر
رسمت في الشعر دريأ فاهتديت بمن
يغنى المسافر عن شمس وعن قمر
زكا بيسانك صهباء وفاكهة
فلست في حاجة للخمر والتمر
الشعر وحى وإيمان وعاطفة
فمن يكن عاطلا منهين فليذر
ذلك يدلنا على أن المتنبي هو المؤثر الأول في شعر وشاعرية الشاعر زكي
قنصل.
وفي الديوان قصيدة برد فيها على الدين ينتقصون من مكانة شوقي
وشاعريته، وفيها يقول:
يا هازنين بشوقي لا ألومكم
ما قيمة الشمس في رأى الخفافيش
جناح شوقي مراقى النجم مسبحه
فكيف يدركه ديك بلا ريش
ويدلنا ذلك على منزلة شوقي في نفس الشاعر وعلى تأثره به وبشعره ومنهجه
في نظم القصيد.
وفي الديوان قصائد عدة قالها الشاعر في زمانه من الشعراء المهجريين في
مختلف المناسبات كثرانه لصيدح وإلياس فرحات وشفيق معلوف، وكقصيدته التي
وجهها تحية للشاعر القروي، وغير ذلك.

وفي مطلع الديوان قصيدة بعنوان (رجعي)، يقول فيها:
 أنا يا قوم رجعي
 وإن أغضبست (لينينا)
 سلوا تجددوا على شكلي
 ملايينا، ملايينا
 أنا يا قوم رجعي
 أحب الفن للفن
 أنا في الإنس جنى
 وأنسى مع الجن
 أقول الشعر فريجا
 لما في النفس من ألم
 كبت قدمي فلم أحزن
 وأحزن أن كما قلمي

وفي آخرها يقول:
 أنا يا قوم رجعي

على عينيك يا تاجر

والشطر الأخير تعبير عامي، يجري على ألسنتنا في مصر، ولم أقرأه لشاعر إلا
 لشاعرنا زكي قنصل، وهو يفيد عدم المبالاة بشيء في إعلان رجعيته. والقصيدة
 مسبوقة للشاعر محمد علي الحوماني عنوانها (أنا رجعي) وهي منشورة في ديوان له.
 وتدل القصيدة أيضاً على محافظة الشاعر على عمودية القصيدة، لا يخالف
 هذه العمودية أبداً، وفي المقدمة التي كتبها الشاعر للديوان أن الشعر لا يستغنى عن
 الوزن والقافية، وأن من الجنابة أن نشعل فيهما النار بحجة أن الموسيقى الداخلية
 تقوم مقامها، ويغنى عنها، فالموسيقى الداخلية أسطورة لا تثبت للامتحان، بل هي
 على طريق الإفلاس إن لم تثبت تكن قد أفلست وانتهى أمرها.
 وفي قصيدته رثاء الياس فرحات يقول الشاعر في أبيات كثيرة أن دعاة
 الشعر الجديد يعيشون في الشعر فساداً، ويحزن الشاعر في قصيدته (أزكي الخمر)

التي نظمها في استقبال الكاتب المهجري الخالد نظير ريتون حين زار الأرجنتين.
لانتهاء العصبة الأندلسية التي قامت في البرازيل برئاسة شفيق معلوف، ويوه بجهاذه
النبل من أجل الأدب الأصيل، ويقول:
أفتى النبيان العذب والقلم الذي

يشدو فيخجل جاحظ وجريـر
حدث وحدث ما استطعت وقل لنا
كيف انطوى عهد هناك منير
ما حل بالروض الأغن وما دهى
أطياره؟ يا وبخه الزرزور
واها عليها (عصبة) ميمونة
واليوم يغمر أفتقا الديجور
سكتوا كأن لم ينشدوا أم اللغى
أحلى وأورع ما تكن صدور
سكتوا كأن لم يحملوا علم الهدى
للمدلجين ويسبحوا ويطنروا

وفي قصيدته عن المتنبي يحزن الشاعر كذلك لانطفاء جذور الشعر
المهجري، وضعف صوت شعرائه، ويتألم لمصير الأدب المهجري عامة في بلاد
المهجر الأمريكي الشمالي والجنوبي ويقول:

كانت لنا دولة زهراء وأرفة
شرقية الروح قحطانية العلم
غرزت بآياتها الفيحاء وافتتحت
شبه الجزيرة، واستولت على الهرم
يا شاعر الدهر غابت شمس دولتنا
ماذا تفيد المعنى آهه الندم؟

(٢)

والديوان يحتوى على أنماط عدة من الشعر فمن شعر الحكمة إلى شعر
الحنين والرثاء، والوصف، والطبيعة، وشعر الحب والوجدان، والشعر الإنسانى،
والاجتماعى والدائى، وسوى ذلك مما ستحدث عنه بقليل من التفصيل.
ويبلغ شعر زكى فنصل فى الحنين إلى الوطن المدى، وغاية الجمال
والروعة، لأنه ينبع من قلب صهرته الآلام، وعصفت به يد الأيام.
يناجى الشاعر الشام فى قصيدته الملهمة (يا شام) التى نظمها عام ١٩٢٤ فى
عيد الجلاء السورى، فيقول:

حيالك مغترب يا شام حبيب
لا تتركه يقاسى ما يقاسيه
عيناك علمناه الشعر فأنطلقت
تأمر المألا الأعلى قوافيه
تقادفته رياح البين وانطفأت
-لولا بقية إيمان - أمانيه
قالوا: تغرب، فأرض الله واسعة
والخير فى الغرب موفور لراجيه
إن لم يكن مضجع الإنسان فى وطن
فأهجر من علة الحرمان يشفيه
ما كان أسخفى لما استجبت لهم
واغتر طرفى بتزوير وتمويه
أيقنت بعد فوات الوقت أن يدى
غاصت على الشوك لا فى الورد تجنيه
ماذا انتفعت ولم أبحر بمغتربي
حنالة الناس فى أنظار أهليه
مهما بنيت قصور العز شامخة
لم ينج عرضى من نهش وتشويه

مالى وللمال لا ينفك يرخصى
عند الأنام ولا أنفك أغليه
ضيعت عمرى فى سعى وفى عمل
فما سؤالك عن حالى وماضيه
وهى ملحمة حافلة بالألم والأنين والحنين والدموع والندم، ويستمر الشاعر
فى بكائه حالما بالعودة إلى وطنه، ويقبر فى ثراه.
ومن قصيدة أخرى له عنوانها (توأم الفرودى)، يقول الشاعر متحدنا عن
غربته وشقائه فيها، فى حنين، وأنين عاصف:
حتام أحنق غصاتي وانتظر
طال الطريق وأوهى عزمى السفر
جارت على التوى واستنزفت كبدى
فكيف يضحك فى قيثارتى وتر
ويح الغريب فكم أغرته بارقة
وكم تنازعه التطواف والسهير
نهاره عرق بالليل متصل
وليله سفر فى أثره سفر
يعفو تهدده الأحلام زاهية
ويستفيق فلا يبقى لها أثر
يا شام لولا طلاب المجد ما انتثرت
فى الشرق والغرب هدى الأنجم الزهر
يا شام باسمك كم غنوا وكم هزجوا
ويعلم الله كم أنوا وكم زفروا
ويحيى فى القصيدة الفيحاء (دمشق) ويقول لها:
أهوى ترابك تبرا لا يقاس به
تبر، وكيف يقاس التبر والصدر

ويتحدث عن بردى ويصفه:

مياهه فضة تجري على ذهب
من زان قاعك بالعقيان يا نهر؟
واها على ربوة بالحسن كاسية
يزهى على كل عشب عشها النضر
واها وماذا تفيد السواد مغتربا
يكاد يفلت من راحاته العمر؟
أخاف والشوق يطوينى وينثرنى
يقضى المشوق ولا يقضى له وطر
وفي قصيدته فى المتنبي يخاطب شاعره الأكبر فيقول:
ناشدك الله حرك ريشى فأنسا
كالمت، بل أنا ميت مزق الكفنا
أحببت أهلى ولكن ضاق بى وطنى
فقلت أجعل دنيا الله لى وطننا
وسامنى زمنى ما لا يطاق فلم
أملأ فمى زبدا أو ألعن الزمننا
حريمة المرء كنز ليس يعدله
ما حاز قارون من مال وما اخترنا

وبعثاده الحنين إلى الوطن فى أكثر قصائده، ففي قصيدة (المتنبي) يقول:
ذكراك هاجت إلى الأوطان أشواقى
هل تنشف الدمة الجرى بآماقى
يا شاعر الدهر هاض البين أجنحتى
فإن شكوت فمن أعماق أعماقى
مصبتى أن قلبى لم يعق يدا
تسدى إليه، ولم يحنث بميثاق

الشوق يزرعني والشوق يحصدني
ويحني أليس لداء الشوق من راق
وأها لو اجتمع الأحباب في بلد
لما توزع قلبي بين آفاق
قضيت عمري أسعى في مناكبها
والحظ يسعى معي لكن بلا ساق
ويذكر حمص مهد طفولته، وأحلام صباه، وهي موطن الكاتب الخالد نظير
زيتون، الذي كانت تربطني به صلات أدبية وثيقة: وذلك في قصيدته (أحب بني
أمي) التي أنشدها في حفل أدبي بالنادي الحمصي في العاصمة الأرجنتينية،
فيقول:

سأقطع ما بيني وبينك من بحر
وأجتاز ما بيني وبينك من بر
وانشق من رباك يا حمص نفحة
تجدد من عزمي وتشرح من صدري
أحب بني أمي وإن هدرُوا دمي
وأمحضهم صفحا وإن جهلوا قدري
لئن أتكروا أني ولدت بمهدهم
فيا رب اجعل في طريقهم قبرى

وهكذا نجد الشاعر يتحدث بوجدانه وعاطفته وحنينه وهيامه عن وطنه
مشوقاً إليه، يود العودة إليه، ويقر له فيه.
وفي هذا الجانب من جوانب الإلهام والشاعرية نجد الشاعر مخلصاً متألقاً
متفوقاً. ومن حبه لمهد طفولته ولوطنه سوريا، أحب أرض الشام وأحب لبنان، وهتف
به في شعره. وقصيدته (أبو النور) في لبنان جميلة. ويقول فيها:
يا أهل لبنان لا تزهوا بجناتكم
لحنى بالروح فرع من أهاليه

نهفو إليه كما نهفو إلى بردى
وترتوى منه، بل بالدمع نرويه
ومن قصيدته (في محراب العروبة) يقول:
مهما تأينا فلن ننسى ملاعبنا
دمى ودمعى لأوطاني وأترابي
إن كان شردنى عن أيكها قدر
ففى عيونى رباها وجلباي
وقصيدته "الجيل الخالد" التى أنشدها فى عيد لبنان عام ١٩٧١، من أجمل
قصائده، فى الحب والحنين إلى الشام، ويقول فيها:
يشهد الحب لم أغب عنك يوما
ليس ينأى عن أيكه الكروان
وطن الشعر والهوى لا تلمنى
إن عصاني فيمن أحب بياني
ومن القصيدة نفسها أيضا:
حان يا قلب أن تعود إليه
حان أن ترتدى على شاطئه
عبثا تشد السعادة إن لم
ينفجر عطاؤها من يديه
عبثا ترقب الصباح إذا لم
يتلألأ سناه من عينيه
ليس هذا البياض ثلجا ولكن
هو تاج العلى على مفرقيه
سوف تفنى الجبال يوما ويبقى
وحده واقفا على قدميه
وللشاعر قصائد عدة فى هذا المضمار، نذكر منها قصيدته (تفاح لبنان). وهو
دائم التذكار للبنان، كلما ذكر وطنه الشام، حتى ليقول:

قالوا، ولبنان هل تنساه؟ قلت لهم
هيهات ينسى ليالي عزه الوتر
لى فيه ألف أخ طابت شمائله
وألف أخت هم الأطياب والزهر
ذكرت ماضيك يا لبنان فالتفت
فى خاطرى صور واستيقظت صور
هذى سرايا العلى من شطك انطلقت
تفزو بإيمانها الدنيا فتنتصر
لم تحمل المهد للأعناق بل حملت
رسالة النور فاستهدى بها البشر
إن فاكروك بـماض من مآثرهم
فأنت مبتدأ فيهم وهم خبر

ويذكر حبيبته (غلاء) فى قصيدته (تفاح لبنان)، فيقول:
يا حلوة الروح والعينين ما برحت
على شفاهى من عينيك آثار
تصرمت بيننا الأسباب وانقطعت
رسائل تحمل السلوى وأخبار
ضاقت بى الدار واعتلت بشاشتها
لولا غيابك ما ضاقت بى الدار
هل تذكركين وراء النهر خلوتنا
طيفين يفحسا بالطيب آبار
نغوص فى الليل يطويها بجيته
كأننا فى صمير الليل أسرار
يا حلوة الروح يا شامية نثرت
فى دربى الغار بمدى نعلك الغار

ألهمتنى من مجانى عبقر دررا
 يكاد يحسدها فى الخلد بشار
 ماذا أزيد على ما قلت قبك وما
 كتمت عنك وما غنته أوتار
 تفاح لبنان من خديك تكهته
 كيف السبيل إلى خديك أشتار
 لدا ند العمر يا غلواء قد ذهبت
 وما تبقى ففصات وأكدار
 ويذكر غلواء كذلك فى قصيدته (ضلال الهوى)، فيقول:
 ما حيلتى بشؤاى كلما ذكرت
 غلواء صفق تحانا لمرآها^(١٩)
 يقضى لياليه فى استجداء صورتها
 فإن تعافى ففى الأحلام يلقاها
 كم ذا أحاوره كم ذا أداوره
 عنها، فيحلف لا يشتاق ألاها
 كأنها بين خلق الله مفردة
 يتيمة من عبير الخلد سواها
 وفى قصيدته (هيكال الجمال) يذكرها، "غلواء" الحبيبة، فيقول:
 ما كنت أعرف قبل رؤيتها
 ما البحر أو ما يفعل البحر
 هام الجمال بها فألبسها
 ثوبا تمنى بعضه الفجر
 والشعر جن بها فضحكها
 شعر، وهز خصرها شعر

(١٩) لو قال: "ذكرها"، فكان أروع.

أقبل الغراب تبيسح بلبسها
غلواء؟ كم فى قولهم هذر
فالورد لولا الشوك يحرسه
ما ضاع من أردانه العطر
وكذلك يحن إليها فى قصيدته (يا قائد الركب) فيقول:
غداً تطير إلى الفيحاء غلواء
هل يلتقى بعدها قيس وليلاء؟
وفى قصيدته (أخت الشمس) يهيم بحلوة الأرز، وينسب بها، ويحن بحبيها،
فيقول:

يا حلوة الأرز، بل يا حلوة العرب
انا سكرنا بلا خمر ولا عنب
من جنة الخلد هذا الصوت يغمرنا
بالشعر بالعطر بالأنداء بالذهب
الفن يجمعنا روحاً وعاطفة
ما الفرق بين رحيق الفن والأدب؟
أقول والأفق قد مالت بشاشته
للشمس غيبى فأخت الشمس لم تغب
تراقص الليل إذ غنيت من فرح
وصفق الفجر من زهر ومن طرب
الفن روض نضير كله عجب
وأنت أعجب ما فى الروض من عجب
وحلوة الأرز هى محبوبه (غلواء) التى تسمى لها الشعر والحب والجمال.
وفى قصيدته (ليلة حب) يناجى "حلوته"، حلوة العيسين، مناجاة الصب المستلهم،
فيقول:

أغمضت حصى فوق بحرك هائنا
وغموت هائنة على قياتسى

آمنت منذ جئت أول قبلة
بالحب، أن الحب جبل نجاتي
وفي قصيدته (تسبيحة للجمال) يتحدث عن الجمال والحب في فلسفة
صوفية عميقة.

وللشاعر في الجانب الإنساني، وفي شعر الإنسانية الكثير من الأبيات
والقصائد.
ففي قصيدته (براعم الفجر) يتحدث إلى أطفال القرن الحادي والعشرين في
إنسانية صافية، فيقول:

إن رفعتهم على الرؤوس لواء
فليكن للأخساء لا للعداء
إن من ينتمى لهي بن بى
مثل من ينتمى لماء السماء
أى فرق بين عبد ومولى
كلنا يا بنى من حواء
يا صغارى لا تنظروا للسوراء
نحن جبل الحضارة الحمراء

وفي قصيدته (الدوحة العارية) يتحدث في إنسانية غامرة عن هذه الشجرة
التي ذهب شبابها، وكذلك يتحدث عن (ساعى البريد)، وعن (منشد الحروف)، وعن
الغائبة الحساء التي زلت بها القدم، وعن يانعة الزهر، وعن البناء، وعن (القصر
المهجور) حديثاً إنسانياً رفاقاً .. وشعر الشاعر ينطق عن إلهام إنسانى وينبع من قلب
صهرته الآلام، حتى لقد أحس بآلام البشر وغير البشر وبهمومهم وأحزانهم، إحساساً
عميقاً.

والشاعر يؤمن بالعتاء من أجل الإنسانية، كما يصوره في قصيدته (العوسجة
الخضراء)، ويؤمن بالمحبة للناس كما في قصيدته (أحب جارى)، التي يقول فيها:

أنا الكثير بإخوانى، وإن ذهبوا
عنى فما أنا فى دنيائى من أحد

الناس نافلة والأرض دارهم
لكن أركى لرى عندى لرى بلدى
ويذكر عطاء الأديب من أجل الإنسانية فى قصيدته (الأديب) التى يقول
فيها:

زوع الحب غداء للورى
وكسا الصحراء زهرا ونسم
عشق الحن ولكن مثلما
تعشق التخله ريحان الألم
هو كالشمس إذا ما طلعت
خطرت بين وهاد وقمم
رقعة العذراء فى بسمة
وإذا نار فقل: هاج الأجم
ألف الهم فلو فارقه
حل فيه لفراق الهم هم

وكذلك نجد هذا العطاء الإنسانى فى مثل قصيدته (هواجس جندى)،
التى يصور فيها أحزان جندى عاد من الحرب إلى قريته فوجدها صففا، لا حياة
فيها ولا حركة.

وهذا الجانب من الشعر كثير فى الديوان، مما تحدث فيه الشاعر عن نفسه
وهوموه وأحزانه وأعماق ذاته، وقد سبق ما يصلح للاستشهاد به وإن ذكر فى مقام
آخر، كقصائده فى الهيام، وفى الحنين، وفى غيرها.

فهو يبكى الشباب فى قصيدته (ذهب الشباب) التى يقول فيها:

شبابا ولكن لم نزل بالروح فى شرح الحياة

ويصف عاطفة الأبوة القوية فى قصيدته إلى ابنه فى فجر طقوله التى يقول

مها:

يبكى فأبكى بلا داع ولا سبب

وإن تضاحك طار القلب من طرب

أرنو إليه بطرف هادئ قلق

كأن قلبي مشدود إلى هديسى

وغير ذلك من شعره الذاتى، وهو كثير فى الديوان.

والجانب الاجتماعى كثير فى الديوان، كما فى قصائده: تارة على علم -
مطالع الأضواء - من كرمها نجنى - طار قلبى - فتى النهرين - خذها قبله - يا صاحب
العيد - رسول الأرز - تحية ودعابة - وسوى ذلك - وكما فى مراثيه لصيدح، ولشفيق
معلوف، ولألباس فرحات، ولغيرهم، ومثل ذلك قصيدته (رسالة الحب) فى ذكرى
جبران.

وفى هذا الجانب نجد الشاعر رجلاً يفيض بالحب قلبه، لكل الناس،
وللأدباء من بينهم خاصة، فالحب ينبع من أعماق قلبه، ولا تبعده المناسبة عن الشعور
القوى العميق بالأحداث والحياة من حوله، وحين تضيق به الحياة، يقول من
قصيدته (رحلة إلى القمر) يتمنى أن يصعد إلى القمر، وأن يعيش فيه:

سئمت دنياى بجنى شهدا بشر

بغير سعى، وبجنى صابها بشر

إنسى لأحسد رواد الفضاء، فهل

يتاح يوماً إلى مغناك لى سفر؟

لا خيب الله آمالى، ولا انطفأت

نار بقلبى ما تنفك تستعر

ترنو إلى نجوم الليل حائرة

عجى، فهل جاءها عن رحلتى خبر؟

خذنى إليك فدربى كله أبر

وهل يطاق طريق كله أبر؟

والديوان فى جملته يقف مع الأصالة والشاعرية، بكل قيمها وموازينها وإن
كان هذا لا يمنع أن نقول: أن للشاعر بعض التجاوزات الفنية واللغوية، كقوله:

أنا يا قوم رجعى

على عينيك يا تاجر

على ما مر ذكره.
وكقوله: لا تركوا البيت في أيدي حرامية. والباء بالتشديد، لا بالتخفيف
كما جاء في البيت. وكقوله:
كنز الأرض لا تسوى
دموع شريدة تكلى

وأخيراً فإن الديوان صورة رائعة لشاعرية موهوبة، وقريحة ذكية، وعقل
خلاق .. وهو من الدواوين التي يجب أن يقرأها الشعراء، وأن يتأثروا بكل ما فيها
من إبداع وخيال وتصوير وصياغة جميلة، وموسيقى عذبة، وفن أصيل.

الباب الثالث

مدرسة شعراء الديوان

مدرسة الديوان

-١-

مدرسة الديوان مدرسة: دعت إلى التجديد في الشعر المعاصر، بكل ما وسعها الجهد والوقت والطاقة، وكانت أولى المدارس التي فتحت النوافذ كلها على الشعر الغربي، وعلى مذاهب الغرب في الأدب والنقد، بل على الثقافة الغربية عامة، وروادها ثلاثة هم: عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني.

وقد أصدرت هذه المجموعة، أو على الأصح النان منها، وهما: العقاد والمازني، عام ١٩٢١ كتاباً نقدياً باسم "الديوان" أصدرها منه جزءين في نقد شعراء وأدباء مدرسة البعث. وفي مقدمتهم شوقي وحافظ والمنفلوطي. وفي نقد زميلهم الثالث عبد الرحمن شكري، الذي كانت الخلافات الشخصية قد باعدت بينه وبين العقاد والمازني، وانتصرا في الديوان للمذهب الرومانسي، ودعوا لأصول هذا المذهب الفنية في الشعر كالوحدة العضوية، والتجربة الشعرية، وما إلى ذلك.

وكانما كان الديوان بياناً بالدعوة للمذهب الرومانسي وتحطيم الكلاسيكية والكلاسيكيين أو العمودية والعموديين في الشعر المعاصر، ولم يكن الرواد الثلاثة يعرفون إن مدرستهم الشعرية الجديدة سيطلق عليها فيما بعد اسم مدرسة "الديوان"، وأن الديوان بدعوته الجديدة إلى أصول الرومانسية سوف يصير علماً على جماعتهم الثائرة، الداعية إلى الجديد كل الجديد، وأن آثارهم ستمتد إلى كل مكان حتى لتقلدهم مدرسة شعراء المهجر الشمالي - الرابطة القلمية - وتحتذي حذوهم، وتسير على صونهم ..

جاءت مدرسة الديوان بعد مدرسة "البعث" وروادها البارودي وشوقي وحافظ ومطران، وتزعمت حركة التجديد في الشعر، وألحت في الدعوة إليه. ولقد قام العقاد وشكري والمازني بدور كبير في خدمة النهضة الشعرية، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث.

لقد أحدث هذا الكتاب الصغير صحة كبيرة في الحو الأدبي والشعري في مصر والعالم العربي، بل كان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي. وغير من نظرية عمود الشعر القديمة، وأخرج ميخائيل نعيمة من أدباء الرابطة القلمية، على ضوئه. كتابه "الغريال" الذي كتب مقدمته العقاد. وشكري يعد رائد هذه المدرسة الأول، وأمامها الذي اقتدت به؛ وكانت ثقافة هؤلاء الثلاثة إنجليزية ووجهتهم هي الأدب الإنجليزي..

وقد كرر العقاد في كتبه ومقالاته في حياته أن مدرسة "الديوان" هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث، ولم يعترف بأثر لمطران في حركة التجديد هذه. وذكر أن شوقيا وحافظًا تأثرا بمدرسة الديوان.

ولقد جمعت الزمالة في "المعلمين العليا" بين المازني وعبد الرحمن شكري عام ١٩٠٩، وربطت بينهما بضلات وثيقة، ثم ألقت الثقافة، وقاربت الأيام، بينهما وبين العقاد منذ عام ١٩٠٩م، وكتب الثلاثة يبشرون بمذهب جديد في الشعر. مهد للدعوة إليه قبلهم مطران، وأزرهم في الكفاح من أجله الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

وأقبل العقاد وشكري والمازني على الأدب الإنجليزي، وبخاصة مجموعة "الكنز الذهبي" التي اختارها فرانسيس بالجريف، أستاذ الشعر في أكسفورد والمنتدب للمعارف المصرية.

وبدأ الثلاثة يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الجديدة، ويكتسبون في وحدة القصيد، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس والأداء. وإلى ظهور شخصية الشاعر الفنية، واستلهم الطبيعة، وتناول شتى الموضوعات الإنسانية، ولجوا في محاربة التقليد والافتعال والزيف والتكلف، وشعر المناسبات الطارئة.

وحدث عن المعارك التي دارت بين شعراء مدرسة البعث، وبين شعراء مدرسة الديوان، ولا حرج.. وظهر عام ١٩١٥ كتاب للمازني في نقد شعر حافظ بعنوان "شعر حافظ".

كما صدر الديوان وهو يشن هجوما قاسيا على شوقي وحافظ، ثم احتدم الخلاف بين المازني وشكري، وأخذ كل منهما ينقد زميله. فكتب المازني في

"الديوان" يهاجم شكري وسماه "صنم الألاعيب"، وكتب شكري يهاجم المازني في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه ..

وأخذ شكري يعيب على المازني انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية، مما دون في مجموعة "الكنز الذهبي" للشعراء الإنجليز الرومانتيكيين، وتبادلا النقد على صفحات جريدة "النظام" ونقد شكري المازني والعقاد على صفحات "عكاظ" عام ١٩١٩ و ١٩٢٠، ونقد المازني شكري في كتاب "الديوان" .. ولم يعد الصفاء بين الشاعرين إلا عام ١٩٣٤.

وإن كان شكري في الحقيقة هو الذي ألهم إحساس المازني الفني، ودله على مناحي التجديد، ولا ينكر المازني ذلك، حتى ليقول من مقالة له نشرت في عدد ٥ أبريل عام ١٩٣٠ من جريدة "السياسة" بعنوان "التجديد في الأدب": "غير زمن كان فيه شكري محور النزاع بين القديم والجديد .. ذلك أنه كان في طليعة المجددين، إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل، فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه الذي صدر عام ١٩٠٩، والذي سماه شكري "ضوء الفجر"، وكذا يومئذ طالبين في المعلمين العليا، وكانت صلتى به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه، ولم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب، ورأى حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه، ومن اللؤم الذي أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي، وسدد خطاى، ودلنى على المحجة الواضحة.

ويقول المازني كذلك: كان الجزء الأول من ديوان شكري، وبوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب، وفاتحو الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما.

وكتب العقاد عام ١٩٥٩ بعد وفاة شكري يقول: عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس وأربعين عاما، فلم أعرف قبله ولا بعده، أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية، وأدب اللغة الإنجليزية، وما يترجم إليهما من اللغات الأخرى.

-٢-

ومن حيث كانت مدرسة البعث تدعو إلى الأصالة وإلى العمودية، وإلى القوالب الفنية الموروثة، وكان مطران ينادى بالشعر الموضوعى، وبالجانب

الوجداني في الوصف .. كان العقاد وزميله يدعون إلى الجانب الداتي أو الفئاني منه، وخرجوا بنظرية جديدة أسموها الوجدان، واتخذ شكرى شعاراً له على الجزء الأول من ديوانه الصادر عام ١٩٠٩، والذي سماه "ضوء الفجر" هذا البيت من الشعر:

أيما طائر الفردو س إن الشعر وجدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة، انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر، وأن يبعد عن المناسبات. وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين، وحب الطبيعة وتصويرها واستلهاها، وأن تسوده وحدة عضوية، وأن يعبر عن تجربة شعرية عميقة، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، وأخذ المازني على شوقي ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم وإغراقهم في شعر المناسبات، وفي التقليد للقدماء .. ودعا المازني كذلك إلى الرومانسية في كتابه "الشعر غاياته ووسائله" الذي صدر عام ١٩١٥.

وصار المضمون الشعري عند هؤلاء الثلاثة لا بد من أن يتخذ في الشعر الفئاني الطابع الوجداني سواء استمدّه الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه. ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد إلى هازليت وماكولي وأرنولد وشاستري. وأغلب آراء العقاد في النقد تعود إلى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، ويشبهه العقاد كثيراً في عنفه النقدي.

ويذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم .." أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزي، وإنها استفادت من النقد الإنجليزي، واتخذت هازليت رائداً لها في النقد، ومرجعها الأول كتاب "الكنز الذهبي" وهو مختارات من الشعر الإنجليزي الرومانسي، من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين ..

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر، وأن الشعر إذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب أن نحتفي به.

وكان وردزروث الشاعر الإنجليزي يقول، وقد سئل عن شعر بعض الشعراء الإنجليز، فقال عنه: أنه ليس من الحتم في شيء، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فإذا أصبح شعره على ألسنة الناس، ولا غنى لهم عنه، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر، وعلى النقاد والناس وإلا فلا. ويتمثل المذهب الجديد عند شكري في ديوانه، الذي طبع الجزء الأول منه عام ١٩٠٩ وأعيد طبعه عام ١٩١٤، وعنوانه "ضوء الفجر"، وصدر الجزء الثاني منه عام ١٩١٣ بعنوان "آلتي الأفكار"، وصدر الجزء الثالث منه عام ١٩١٥ بعنوان "أنشيد الصبا".

وكذلك الجزء الرابع الذي صدر عام ١٩١٥ بعنوان "زهر الربيع"، والخامس الذي صدر عام ١٩١٦، وصدر هذا الجزء الخامس بعنوان "خطرات"، والسادس "الأفنان" عام ١٩١٨ والسابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩. وبعد وفاة شكري طبع الديوان طبعة جديدة، وأضاف إليه شعره منذ عام ١٩١٩ حتى وفاة شكري، وطبع عام ١٩٥٩.

وكان شكري هو أستاذ هذه المدرسة بحق، ولكن لما انفصل عن زميله من عام ١٩١٦ حتى عام ١٩٣٤ تصدرها العقاد، وأصبحت ترمز إليه أولاً فيما ترمز إليه من دلالات ومعان ..

وكان شكري، كما يقول العقاد، من أوائل الدعاة إلى وحدة القصيدة، وإلى تعدد صور القافية، والتجديد في بحور الشعر، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، ولم يحفل بشعر المناسبات، ومن أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي.

وقد سخط العقاد على الشعر الحر وحاربه، وقار على الابتدال والسوقية والعامية، ورأى الشعر فنا يجب أن ترتفع الأذواق إلى مستواه. وقد خلفت مدرسة الديوان وراءها ذكراً طويلاً وصيئاً بعيداً، وشهرة ما بعدها من شهرة لطول خصامها مع مدرسة شعراء البعث، ولدعوتها إلى شعر الوجدان، أو قل إلى الرومانسية، ولاحتفائها بالأصالة قبل كل شيء. وفي العاشر من أغسطس ١٩٤٩ توفى المازني. وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفى شكري.

وفى الحادى عشر من مارس ١٩٦٤ توفى العقاد.
وقد ولد المازنى فى التاسع عشر من أغسطس عام ١٨٩٠م. وولد شكرى فى
الثانى عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦، وولد العقاد فى الثامن والعشرين من يونيو عام
١٩٨٩، وتفاوتت حظوظهم فى الحياة، والحياة دائماً تحمل إلى الناس إرادة القدر
الذى لا مفر منه.
وقد مثل هؤلاء الرواد الثلاثة صورة الشعر المعاصر فى نهضته وتجديده،
وعاصروا شوقيا وحافظا ومطران، وأدركوا عصر البارودى، وعاشوا فى حياة شعرية
صاحبة لم يرها أحد من قبل، وكانت حملتهم على شوقى وحافظ والمنفلوطى حملة
فيها الكثير من الحيف والقسوة.
واليوم نذكرهم، ونذكر جهادهم الأدبى، ونذكر أثرهم فى نهضة الشعر
العربى وتطوره وتجديده، فلا نملك إلا الدعاء بالرحمة وإلا أن نردد:
لقد كانوا عظماء، لأنهم كانوا موهوبين.

رواد مدرسة شعراء الديوان

- ١ -

جمعت زمالة العلم والشباب في مدرسة المعلمين العليا في القاهرة، في أوائل القرن العشرين، بين عبد الرحمن شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى، وكانا من أنبغ الطلاب في هذه المدرسة، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين زميل ثالث لهما هو عباس محمود العقاد ..

وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا إليه، وكتبوا عنه وافاضوا فيه، وداروا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

كان بدء التعارف بين شكرى والمازنى الطالبين في المعلمين العليا، هو مساء الخميس ٢٤ من سبتمبر عام ١٩٠٩ بعد التحاق المازنى بالمدرسة بقليل. وكان المازنى قد بدأ يتردد على جريدة الدستور التى يصدرها المفكر محمد فريد وجدى، حيث رأى محررا نابغة من محرريها هو عباس محمود العقاد، فتعرف إليه، وتردد عليه، وصارت بينهما صداقة ومودة وزمالة في الأدب والشعر ..

وفي مساء يوم الجمعة ٣٠ من أكتوبر عام ١٩٠٩ دخل المازنى على شكرى في مسكنه يزوره، وجلس المازنى بين ترحيب شكرى به وسؤاله عن أخبار الأدب والشعر .. وبادر المازنى صديقه الأكبر الذى لا يتجاوز العشرين ربيعا من العمر، يقول له:

- أى صديقى شكرى: لقد كنت بالأمس في مجمع من الصفوة، من الأدباء والشعراء، وكانت قصيدتك الجديدة "النفقات" موضع حديث الجميع وإعجابهم، وكان من أشد المعجبين بها صديقى الأديب الصحفى عباس محمود العقاد.

- ورد شكرى: وأين هو؟ ولماذا لم يأت معك لزيارتي؟

-وأجابه المازني: إن صديقي الشاعر يجلس في مقهى قريبة فإن أحببت ذهبت.
فأتيت به معي.
-وقال شكرى: أذهب إليه، وادعه باسمي، ولعلك لا تطيل غيابك.
-وأسرع المازني إلى المقهى، ودعا العقاد لزيارة شكرى فلبى الدعوة، ودخلا
على صديقتهما، والمازني يقول: هذا هو عباس محمود العقاد حضر معي ..
ورحب به شكرى ترحيبا حارا، ودار بينهما حوار حول الجزء الأول من
ديوان شكرى، وكان قد صدر منذ أسابيع قليلة، وحول قصيدة "النغمات" بصفة
خاصة، وقرأها العقاد في ديوان شكرى:

إذا تمررت والآذان ظامئسة
خلت الروى على آذاننا اندفعا
لج من النغمات الفر يحمدها
إن النفوس تعاني بينها الفرقا
لو صورت فأقامت غير خافية
كانت أجل الذى يستبعد الحدقا
كأن شيئا من الحب الذى غربت
به الخليفة فى أثالها انثقا
تظل تفعل بالأحزان ما فعلت
أشعة القمر الوضاح بالفلس
تدوب فيها هموم النفس خافية
كما يدوب الندى فى موقع النفس
يسرّو الهيام بقلبي حين أسمعها
لعب الرياح بثوب البانس التعب
كعصفها حين لجت فى تأوبها
كلجة البحر تطفى شعلة القبس
إلى آخر هذه القصيدة الجديدة فى تصويرها ومعانيها وصورها الشعرية..

ولم يمض شهر على ذلك اللقاء حتى أصبح الثلاثة لا يكادون يفترقون، ولا يتركون كتاباً قديماً أو حديثاً يقع لهما إلا ويعكفون على قراءته..

وأخذ المازنى والعقاد يستزيدان من اللغة الإنجليزية على يدى صديقهما شكرى، ويتمقان فى آداب الغرب والشرق، وهما معجبان بعظمة ذلك الدهن للجبار الذى منحه الله لشكرى.

ولم يلبث هؤلاء الثلاثة وبخاصة منذ ١٩١٤ أن أصبحوا مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين، وهم يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزورث، وشيللى، وبيرون، وكيتس، وغيرهم، ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى.

وكانت بأيدي الشباب المصرى آنذاك مجموعة شعرية مشهورة من الشعر الإنجليزى، اسمها "مجموعة الكنتز الذهبى"، كانت تدرس فى مختلف مراحل الدراسة فى المدارس المصرية، التى يوجه الإنجليز فيها سياسة التعليم ومتاهجه الوجهة التى يريدونها. وقد اختارها وجمعها مشرف إنجليزى فى وزارة المعارف المصرية حينئذ، اسمه "بالجريف"، وكان أستاذ الشعر فى أكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكرى والمازنى، وتأثرا بطابعها. وكانت هذه المجموعة مادة شعرية لطيفة فى أيدي أدبائنا الشباب الثلاثة: شكرى والمازنى والعقاد، الذين جمعت بينهم النزعة الأدبية أحباباً وأصدقاء ودعاة إلى الجديد.

وفى عام ١٩١٣ أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه، وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنين. وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء، وأثنى فيها على شاعرية شكرى ثناء حاراً، وعلى موهبته الفياضة، وكتب المازنى أيضاً عدة مقالات فى العام نفسه، نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية، يوازن فيها بين حافظ وشكرى، ويفضل صديقه شكرى على حافظ. ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية..

وفى العام نفسه - عام ١٩١٣ - أصدر المازنى الجزء الأول من ديوانه، فكتب العقاد كذلك مقدمته، يرفع فيها من شأن الديوان، ويرحب بظهوره، وباتجاهه الرومانسى الغالب عليه. وكان هذا الاتجاه - الرومانسى - ذاتاً فى الأدب المصرى

آنذاك بتأثير كتابات المنفلوطي، وديوع أدب لامرئين وهو جو وغيرهما من شعراء الغرب، ومن بينهم شعراء البحيرة الإنجليز، وتأثير مطران وشعره كذلك .. وفي عام ١٩١٦، ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد، الذي سماه في الطبعة الثالثة "يقظة الصباح"، وتميزت قصائده بما كان يسميه العقاد "الوحدة العضوية".

-٢-

وأخذ الثلاثة يدعون إلى مذهبهم الجديد في الأدب والتقد والشعر، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة، ويكتبون في وحدة التصيدة وفي التجربة الشعرية، ويدعون إلى الأصالة والصدق في العاطفة والشعور، وإلى ظهور شخصية الشاعر الفنية، واستلهم الشاعر للطبيعة، وتناولته لشتى المعاني والموضوعات الإنسانية، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين، وشعر الصنعة والمناسبات الطارئة، وخرجوا بنظرية جديدة سموها "شعر الوجدان"، واتخذ شكرى شعاراً له، وضعه على الجزء الأول من ديوانه الذي سماه "ضوء الفجر"، هذا البيت من شعره:
ألا يا طائر الفسردوس إن الشعر وجدان
ومن نظرية الوجدان عند هؤلاء الثلاثة، انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر وشخصيته، وأن يبعد عن المناسبات، وأن يغلب عليه طابع الألم والأثين وحب الطبيعة وتصويرها.

وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، وأخذ المازني على شوقي وشعراء مدرسته تفككت الوحدة الموضوعية في شعرهم، فضلاً عن إغراقهم في شعر المناسبات، وفي تقليدهم للقدماء، وصور ذلك في مقدمة كتابه "شعر حافظ" الذي صدر عام ١٩١٥، ونقد فيه حافظاً نقداً لأدعاً، ودعا إلى الرومانسية في كتابه "الشعر غاياته ووسائله" الذي صدر عام ١٩١٥ أيضاً. ويقول المازني من مقال له نشره في جريدة البلاغ عدد أول سبتمبر ١٩٣٤:
كنا زميلين في المعلمين العليا، وكان شكرى ناضجاً وكنت فجاً، وكان أديباً شاعراً واسع الاطلاع وكنت جاهلاً ضعيف التحصيل قليل العقل، فتناول يدي، وشد عليهما، وأبت مروءته أن يتركني ضالاً حائراً، أنفق العمر سدى، وأبعثر في العيب ما لعله كان في نفسي من الاستعداد، وكنت أقرأ ابن الفارض واليهاء زهيراً. والحماسة والشريف

الرصي. والحترى والمعري وابن المعتز وأبا نواس وغيرهم. وكانت مطالعني في الإنجليزية مقصورة على أمثال ماري كوريللي وغيرها من أضرابها. ففتح عيني على شكسبير وبيرون ووردزورث وشيللي وميلتون وكولبريدج، وهازل، وكارليل، وماكولي، ولي هنر، وجوته، وشيلر، وموليير، وراسين، وروسو، ومئات غيرهم من أعلام الأدب الغربي، وصرفني عن المقلدين في أدب كل أمة، وأغرائني بأصحاب المواهب والابتكار، وصح لي المقاييس، وأقام الموازين الدقيقة وفتح عيني على الدنيا وما فيها، وكنت كالأعمى لا أنظر، وإذا نظرت لا أرى، وكان لفرط أدبه يتوحي معي سلوك الند، ولا يتعالى تعالى الأستاذ على التلميذ.

ويستطرد المازني في مقاله فيقول: ولو أردت أن أتقصي لما فرغت، فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت إليه، أقول ذلك مباهيا شاكرا فضل الله على أن لم يضيعني، وأن كتب لي نعمة الاتصال بشكري، وإنني لأرجع البصر في حياتي، وأنساءل: ماذا عساي كنت أكون لو لاه، فلا أجد عندي لهذا جوابا، وأدير عيني في نفسي وأبحث عن نزعة لم يكن هو غارس بذرتها، إذا لم يكن هو الموحى بها، فلا أهتدي.

وفي ٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٤ كتب العقاد في صحيفة الجهاد يقول: إن صاحبه هما اللذان غيرا منهجهما في القراءة، فالتفتا إلى النقد العلمي والفلسفي، بعد أن كانت قراءتهما في النقد الأدبي المحض على أسلوب ماكولي ومن إليه.

وعاد المازني يكتب ويقول: كان شكري أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي، ودلني على المحجة الواضحة.

وكان الجزء الأول من ديوان شكري، ويوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب، وغاية الصراع بينه وبين المذهب القديم. مذهب شوقي وحافظ وأضربهما، كما يقول المازني.

-٣-

والمضمون الشعري عند هؤلاء الرواد الثلاثة لابد أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الوجداني، سواء استمدّه الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية. والثلاثة يرجعون إلى هازل، وماكولي، وأرنولد، وشاستري في

النقد .. وكانت أغلب آراء العقاد النقدية تعود إلى آراء هازليت ومحاصرته عن الشعراء الإنجليز. وبشبهه العقاد كثيرا في عنفه النقدي، مع إثارة المذهب النفسى فى النقد، وكان شكرى يؤثره كذلك.

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقى وحافظ والمنفلوصى .. ثم عادت الأيام ففرقت بينهم، حيث انفصل شكرى عن زميله عام ١٩١٦، وهاجم المازنى ورماه بالسرقة من الشعراء الإنجليز، وبخاصة شعراء مجموعة "الكنز الذهبى".

وفى عام ٢٠ و١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزءين من كتاب جديد لهما سمي "الديوان" نقدا فيه شوقيا وحافظا وعبد الرحمن شكرى، وباسم الديوان أطلق على هذه المدرسة: "مدرسة شعراء الديوان".

وهكذا لم تلبث الأيام أن فرقّت بين هؤلاء الرواد الثلاثة فأخذ المازنى ينتقد شكرى، وكتب شكرى عام ١٩١٦ فى الجزء الخامس من ديوانه ينتقد المازنى، ويعيب عليه سرقاته الشعرية من الشعر الغربى.

وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام، ونقد شكرى المازنى والعقاد على صفحات عكاظ فى مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و١٩٢٠، ونقد المازنى شكرى فى كتاب الديوان وسماه "صنم الألاعيب"، ورماه بالشعوذة والجنون، ولم يعد الصفاء بين الشاعرين إلا عام ١٩٣٤، حيث كتب المازنى من جديد ينوه بشكرى ويقر بأستاذيته، وظل طول حياته بعد ذلك وفيها له.

وكان العقاد حين اشتدت الخصومة بين شكرى والمازنى يعمل على إنهاؤها، ولكن شكرى واصل حملته على المازنى فى عكاظ الأسبوعية، وقد أقحم شكرى العقاد فى تلك الخصومة لظنه أن المازنى إنما كتب ما كتب على الثقة بأن العقاد من ورائه يؤيده ويعاونه.

وقد هاجم العقاد فى "الديوان" شعر شوقى هجوما شديدا، وعده غير شاعر ويقول: إن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

أولها: أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات.

وثانيها: أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية

وثالثها: أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن و القافية.
وكان شوقي لا ينفك يغرى بالعقاد صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهد
قنديل، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد، أدخل في باب الهجاء منه
في باب النقد الأدبي.

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن
وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه، والشعر عندهم
تغلب عليه النزعة الوجدانية، بينما تغلب عند مطران ومدرسته النزعة الموضوعية،
وأساس الحكم بعظمة شاعر عند شعراء الديوان هو ظهور شخصية الشاعر في شعره،
وصدقه في الإحساس والتعبير.

وكان شكري - كما قال العقاد - من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة،
ونظم من الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وجدد في بحور الشعر، وألف قصة
الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، ولم يحتفل بشعر المناسبات، وكان من أوائل
من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي، وسار على المذهب النفسي
وطبقه في دراساته للشعراء القدامى والمعاصرين.

وفي جريدة السياسة عدد ٥ من أبريل سنة ١٩٣٠ كتب المازني مقالا بعنوان
"التجديد في الأدب" يقول فيه: غير زمن كان فيه شكري محور النزاع بين القديم
والجديد، ذلك أنه كان في طليعة المجددين، إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى
هذا الفضل، فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه وكنا يومئذ طالبين في المعلمين العليا
وكانت صلتى به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه، ولم أكن يومئذ مبتدئا على
حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب، ورأى حاسم فيما ينبغي أن
يكون عليه. ومن اللؤم الذي أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ يبدى،
وسدد خطاى، ودلنى على المحجة الواضحة، وأنه لولا عونه المستمر لكان الأرجح
أن أظل أتخبط أعواما أخرى، ولكان من المحتمل جدا أن أضل الطريق.

ويذكر العقاد عام ١٩٥٩ بعض هذه الذكريات فيقول في مقال له نشر في
"الأخبار": عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس وأربعين سنة، فلم أعرف قبله ولا
بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة

الإنجليزية. وكان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة. نافذ الفطنة حسن التخيل. سريع التمييز بين ألوان الكلام.

وكان في العقاد حدس الشاعر، ورفاهة حسه، وعمق الفيلسوف ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل .. وكان ذهنه اللامع يقطف خلاصة ما عند الشرق والغرب وما في التراث من جديد، ويطلع إلى الفكر العالمي والإنساني بكل حواسه ومشاعره، ويفيد من كل ما وعته بصيرته، واهتزت به قريحته وفطرته.

ويذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيناتهم في الجيل الماضي" أن ثقافة شعراء هذه المدرسة تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزي، وأنهم استفادوا من النقد الإنجليزي، واتخذوا هازليت رائداً لهم، وكان مرجعهم الأول كتاب "الكنز الذهبي" الذي كان يحتوي على مختارات من الشعر الإنجليزي من شكري إلى نهاية القرن العشرين.

وفي عام ١٩٣٤ عاد الصفاء بينهم جميعاً وكتب العقاد والمازني عن شكري الفصول الطويلة.

وفي العاشر من أغسطس سنة ١٩٤٩ توفي المازني، وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفي شكري، وفي الثاني عشر من مارس سنة ١٩٦٤ توفي العقاد .. رحمهم الله جميعاً.

ولا ننسى أن نقول أن الجزء الثالث من ديوان شكري "أناشيد الصبا" ظهر عام ١٩١٥، أما الرابع والخامس فظهرا عام ١٩١٦، والسادس عام ١٩١٨، والسابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩، وجمع ما نشر له من الشعر بعد عام ١٩١٩ في الجزء الثامن.

وقد طبع لشكري من كتبه: الثمرات - حديث إبليس - الاعترافات، وقد ظهرت جميعاً عام ١٩١٦ - ثم صدر له الصحائف، وقصة الحلاق المجنون عام ١٩١٩ بتوقيع ع. ش - وكتب المازني والعقاد كثيرة.

ولقد ترك الثلاثة أثرهم واضحاً في الشعر والأدب والنقد المعاصر. وكتبت عنهم مئات الدراسات والمقالات والبحوث ..

رحمهم الله ..

المدرسة .. وحركة التجديد

- ١ -

مدرسة الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة، وهي المدرسة المجددة الابتداعية - الرومانسية - وقد خلفت مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران المحافظة - الكلاسيكية - وتزعمت حركة التجديد في الشعر، والحث في الدعوة إليه.

أعلامها الثلاثة: عبد الرحمن شكري، وإبراهيم المازني، وعباس العقاد؛ قاموا بدور كبير في خدمة نهضتنا الشعرية، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث. وتسمى "مدرسة شعراء الديوان" نسبة إلى هذا الكتاب النقدي المشهور؛ الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة، وهما: العقاد والمازني، وأصدراه في جزءين، وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطي؛ كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكري؛

وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر والعالم العربي؛ وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة. وعلى الرغم من أن شكري فارق زميله وتركهما وحدهما في الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول، وإمامها الذي اقتدت به، وهؤلاء الثلاثة ثقافتهم إنجليزية، ووجهتهم هو الأدب الإنجليزي.

وقد احتدم الخلاف بين المازني وشكري، وأسرفا في نقد بعضهما لبعض، فكتب المازني في "الديوان" يهاجم عبد الرحمن شكري في مقال نقدي بعنوان "صنم الألاعيب"، وكتب شكري يهاجم في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه زميله القديم المازني؛ كما كتب رمزي مفتاح كتابه المشهور "رسائل النقد" يهاجم فيه العقاد، ويتهمه بالسرقة من شكري.

وقد ذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي" أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية عن طريق الأدب الإنجليزي، وأنها استفادت من النقد الإنجليزي، فوق استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى؛ وأنها اتخذت هازليت إماما لها في النقد، وكان مرجعها الأول هو

مجموعة "الكنز الذهبي"، وهي مختارات من الشعر الإنجليزي من عصر شكسبير إلى نهاية القرن التاسع عشر.

وقد قرر العقاد في كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث، وأنكر فضل مطران على حركات التجديد هذه، وكانت ثقافة مطران فرنسية، وذكر العقاد كثيرا أن شوقيا وحافظا تأثرا به وبمدرسة الديوان، وقد يكون ذلك على وجه المبالغة لا غير.

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة إلى الشعر الموضوعي كانت مدرسة الديوان تدعو إلى الجانب الذاتي أو الفني، ف شعرها هو شعر الوجدان الذي يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير وكتب شكرى على صدر الجزء الأول من ديوانه الذي سماه "ضوء الفجر" هذا البيت من الشعر:

ألا يسا طائر الفسردو^{١٠} س إن الشعر ووجدان
وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، ودافع عنه في ديوانه "بعد الأعاصير".

وقد صدر للعقاد في حياته: الجزء الأول من ديوانه (١٩١٦) الأربعة الأجزاء الأولى من ديوانه (١٩٢٨) - وحى الأربعين - هدية الكروان (١٩٣٣) - عابر سبيل (١٩٣٧) - أعاصير مغرب - بعد الأعاصير (١٩٥٠).

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان: العقاد وشكرى والمازني لواء الشعر بعد شوقي، وأعلنوا الثورة على الشعر الكلاسيكي والشعر القديم، وكتبوا أعنف الفصول النقدية الرائعة، التي عدلت من مسيرة الشعر المعاصر، وأعادت له رونق والديوع والقيمة الفنية الإبداعية.

-٢-

في المعلمين العليا اتصل إبراهيم عبد القادر المازني (١٩ أغسطس ١٨٩٠ - ١٠ أغسطس ١٩٤٩) بزميله السابق عليه "عبد الرحمن شكرى"، ووثقت الزمالة الصلة بينهما. واجتمعا ومعهما العقاد على حب الأدب الإنجليزي، وقرأوا للشعراء الإنجليز وخاصة شعراء مجموعة "الكنز الذهبي" التي اختارها وجمعها "بلجريف" أستاذ الشعر باكسفورد، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة؛ ويكتبون في وحدة القصيدة، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس؛ وفي

التعبير كذلك، إلى ظهور شخصيته الفنية، واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتى الموضوعات الإنشائية، ويحاربون التقليد والزيف والافتعال والتكلف وشعر المناسبات الطارئة.

وصدر الجزء الأول من ديوان شكرى عام ١٩٠٩، والديوان الأول للمازنى عام ١٩١٣، والأول للعقاد عام ١٩١٦، من حيث ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ وديوان أنداء الفجر لأبى شادى عام ١٩٠٩.

وحدثت بين مدرسة شعراء الديوان ومدرسة شوقى وحافظ معارك نقدية، ظهر فيها عام ١٩١٥ كتاب للمازنى فى نقد شعر حافظ، عنوانه "شعر حافظ"، وأعلن شكرى بعد ذلك انفصاله عن زميله، وثارَت الخصومة بين لثلاثهم، وأخذ شكرى يعتب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية، مما دون فى "الكنز الذهبى"، مما حفظ المازنى عليه.

وفى عام ١٩٢١ أصدر المازنى والعقاد كتاب "الديوان" فى جزئين ينقدان فيه أحمد شوقى وحافظ إبراهيم، ونقد المازنى فيه المنفلوطى، كما نقد شكرى بعد أن مدحه فى مقدمة كتاب "شعر حافظ".

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه، والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية، وعند مطران النزعة الموضوعية، وأساس الحكم بظلمة شاعر عند شعراء مدرسة الديوان هو ظهور شخصية الشاعر فى شعره وذاتيته فى الإحساس والتعبير.

وشكرى فى الحقيقة هو الذى ألهم إحساس المازنى الفنى، ودله على مناحى التجديد.

وقد بدأ المازنى حياته الأدبية شاعرا يتأثر بالشعراء الإنجليز والشعراء العرب، وبخاصة ابن الرومى والمتنبي والشرىف ومهيار.

ويأخذ المازنى على شعراء المدرسة المحافظة تفكك الوحدة الموضوعية والمضوية فى قصائدهم، وإغراقهم فى شعر المناسبات وتقليدهم للقدمات، ويصور ذلك فى مقدمة كتابه "شعر حافظ" الصادر عام ١٩١٥، ونقد فيه حافظا. ويدعو إلى

رومانسية الموضوع ورمزية التعبير الشعرى، وإلى الصدق فى الإحساس والأداء فى كتابه "الشعر: غاياته ووسائله" الصادر عام ١٩١٥ أيضا.
وللمازنى من القصص الكثير، وله فى فن المقالة الكثير أيضا، وهو من طليعة الكتاب المحدثين، وأجاد المازنى فى أدب الترجمة إجادة تامة.

- ٣ -

أما عبد الرحمن شكرى (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨) فهو من هو، من رواد المدرسة الحديثة فى الشعر العربى، وهى المدرسة التى خلفت المدرسة القديمة المتمثلة فى شوقى وحافظ وأضرابهما، والتى ورثت بلاغة البارودى ومذبه، والتى بقيت امتداداتها حتى اليوم ممثلة فى شعراء كثيرين لا يؤثرون بالشعر التقليدى المجدد شيئا.

وكان شكرى من أكثر هؤلاء الرواد دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وإيمانا به، ولداته فى الدعوة إلى التجديد والجديد: مطران، وأبو شادى والمازنى والعقاد.

وقد تأثرت مدرسة أبولو بمطران، وعدوه رائد الشعر الجديد وإمامه، وتأثر كثيرون بشكرى وعدوه عميدهم ورائدهم، وفى مقدمة من تأثر به المازنى زميله فى مدرسة المعلمين العليا، والذى كتب الكثير فى أستاذية شكرى وإمامته.

وقد تعرف شكرى والمازنى والعقاد، وجمعت ثلاثتهم روابط الأدب وصلات الشعر، والدعوة إلى المذهب الجديد فيه، وقدم العقاد الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣ منوها بشاعريته وموهبته، وكتب المازنى عام ١٩١٣ مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية يوازن بين شكرى وحافظ، ويفضل شكرى عليه. ثم فرقت الأيام بينهم، فأخذ المازنى ينقد شكرى، وكتب شكرى فى الجزء الخامس من ديوانه عام ١٩١٦ ينقد المازنى ويأخذ عليه سرقاته من الشعراء الإنجليز. وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام، ونقد شكرى المازنى والعقاد على صفحات جريدة عكاظ فى مقالات نشرها عام ١٩١٩ و ١٩٢٠، ونقد المازنى شكرى فى كتاب "الديوان" عام ١٩٢١ وسماه "صنم الألاعيب"، ولم يعد الصفاء بينهما إلا عام ١٩٣٤. حيث عاد المازنى ينوه بشكرى، ويقر بأستاذيته.

ومدرسة أبولو تقدر شاعرية شكرى ومواهبه، وتعدده ينبوعا من ينابيع الشعر الحديث. ويتمثل تجديد شكرى فى الجزء الأول من ديوانه "ضوء الفجر" الذى

صدر عام ١٩٠٩ وأعيد طبعه عام ١٩١٤، وفي الجزء الثاني منه (آلكن الأفكار) الذي صدر عام ١٩١٣، والثالث (أناشيد الصبا عام ١٩١٥)، والرابع (زهر الربيع عام ١٩١٦)، والخامس (خطرات عام ١٩١٦)، والسادس (الأفنان عام ١٩١٨)، والسابع (أزهار الخريف عام ١٩١٩). ثم أعيد طبع الديوان كله عام ١٩٦٠ بعد وفاة شكرى فى مجلد واحد على نفقة عبد العزيز مخيون، وتقديم نقولا يوسف، وأضيف إلى الأجزاء السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩ حتى وفاة الشاعر.

كما يتمثل كذلك فى كتبه المطبوعة: الثمرات - الاعترافات - حديث إبليس - وقد ظهرت عام ١٩١٦. وفى كتبه المخطوطة الباقية والتي نشرت فصولها فى المجلات.

وكان من أوائل ما قرأه شكرى دواوين الشعراء القدماء، وفى القصيدة، ونظم من الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وجدد فى بحور الشعر، وألف قصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية. ولم يحفل بشعر المناسبات، وشعره الغنائى المعبر عن ذات الشاعر وعاطفته صورة لتجديده. وكان شكرى من أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة فى الأدب العربى، وسار على المذهب النفسى وطبقه فى دراساته للشعراء القدماء والمعاصرين.

وكان من أوائل ما قرأه شكرى دواوين الشعراء القدماء، وفى صدرهم ابن الفارض والمتنبي والشريف وابن الرومى، وقرأ للمحدثين وفى مقدمتهم البارودى. كما قرأ لشعراء الغرب وبخاصة شعراء كتاب "الكنتز الذهبى".

لقد كان شكرى أحد الشعراء المعصرين من دعاة مذهب التجديد فى مصر، نبغ فى الشعر صغيراً، ونظم فى الموضوعات الجديدة محتدياً شعراء الإفرنج، وألف كتاباً فى أدب الشعر نم عن اطلاعه الواسع. وهو أحد رواد التجديد الأدبى: العقاد - المازنى - شكرى - مطران. ومن العاملين على نقل الأدب الغربى إلى العربية بالترجمة.

وبعدده مندور شاعر التأملات النفسية والاستيطان الذاتى ..

ويجمع النقاد المحدثون على عبقرته وشخصيته الفنية المبدعة وعلى أثره فى نهضة الشعر المعاصر.

عبد الرحمن شكرى
رائد مدرسة الديوان
(١٢ أكتوبر ١٨٨٦م - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨م)
-١-

عبد الرحمن شكرى، شاعر غنى للحياة، وللإنسان، وللطبيعة، وغنى للحب والأمل، والألم أيضا، أجمل الأغنيات، وأبدع القصائد. ومنذ أكثر من ثلاثين عاما، ودع الشاعر، عبد الرحمن شكرى الحياة، عن اثنين وسبعين عاما، لقي فيها كل صنوف الألم والاضطهاد، والعذاب، ولم ينعم فيها بآماله وأحلامه، التى كان يتطلع إليها فى فجر شبابه، وقضى حياته فى غربة روحية رهيبة.

وكما يقول فى قصيدته "الشاعر البابلى المجهول" التى نظمها نحو عام ١٩٣٥، وهو فى التاسعة والأربعين من عمره، ويعنى بهذا الشاعر المجهول نفسه:

يا غريب الدار عن عيني
ناظرا فى غابر الزمن
هل سمعت اسمى وما نقل
الركب عن شعري وعن فطنى
قد وصفت الحسن أجمعه
لم أدع فى الكون من حن
ويحسب النفس قاطبة
لم يفتننى أيما شجن
سهر الأقوام واختصموا
فى منى راض ومضطنن
استباح الدهر من أدبى
ما استباح الدهر من وطنى

ولترجع إلى الوراء قرناً من الزمان، وهانحن أولاء: الآن في ١٢ أكتوبر عام ١٨٨٦م، في مدينة بور سعيد مع أسرة مصرية من أصل مغربي، هاجرت إلى مصر. وأقامت في بني سويف حيناً، ثم انتقلت إلى بور سعيد، المدينة الصغيرة، الممتلئة على البحر المتوسط والتي لم يكن قد مضى على إنشائها أكثر من ربع قرن .. هذه الأسرة هي أسرة (عياد)، ومنها كان حسن عياد، ثم ابنه أحمد شكرى عياد وكان يشغل وظيفة رئيس قلم المرور بميناء بور سعيد، كان ذا ثقافة عالية يجيد الفرنسية وآدابها إجادة تامة .. وأنجب أحمد شكرى ابنه محمداً، الذي حصل على قسط كبير من التعليم والثقافة، والتحق بوظيفة في الضبطية في المدينة، وكان وطنياً مخلصاً محباً لبلاده، عاصر ثورة عرابي، وأيدها بكل قواه وطاقته، حتى اعتقل بعد هزيمة الثورة، وفصل من وظيفته، وظل في السجن بضع سنين حتى أفرج عنه، وعاد إلى عمله، معاوناً للإدارة في هذا الثغر الجميل الذي ولد فيه ابنه عبد الرحمن شكرى، شاعرنا الرائع، الذي كان ميلاده في الثاني عشر من أكتوبر ١٨٨٦م في بيت صغير في شارع أفريقية.

ووجه محمد شكرى طفله الصغير عبد الرحمن شكرى شطر التعليم، فنال الابتدائية من بور سعيد عام ١٩٠٠م وهو في الرابعة عشرة من عمره. وفي مشوار حياته الطويل تلقى تعليمه الثانوى في مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية، ونال منها شهادة البكالوريا عام ١٩٠٤م بتفوق كبير. وخلال هذه الفترة كان شكرى كثير القراءة في جميع ألوان الثقافة والأدب والشعر، وكان لوالده مكتبة كبيرة حافلة، أفاد منها شكرى إفادة عظيمة، وفي الشعر قرأ للمتنبى وأبى العلاء والشريف الرضى ومهيار وابن الفارض والبهاء زهير والبارودي، والكثير مما وقع في يده من دواوين الشعراء، وقرأ للشعراء الإنجليز، وبخاصة شعراء المدرسة الرومانسية، وفي مقدمتهم بايرون وشيلي، وسواهما، ممن تضمن مختارات من شعرهم كتاب الكنز الذهبى.

واتجه بعد ذلك إلى مدرسة الحقوق فالتحق بها عام ١٩٠٤م وفيها اتصل بالحزب الوطنى، الذى قاده مصطفى كامل، وعاصر الحركة الوطنية آنذاك بكل أحداثها، وفي عام ١٩٠٦م نظم قصيدته الوطنية الشهيرة وهى بعنوان "الثبات"

وألقاها زميله عبد الحميد بدوى - نيابة عنه فى حفل وطنى أقيم فى الأزيكية. وفيها يخاطب الشباب يحثهم على الاستمساك بعرى الوطنية والنضال:

ثباتا فإن العار أصعب محملا

من الدل لا يفضى بنا الدل للعار

سيهزمهم منا أبوة ماجد

وهمة خطار وعزيمة مقدار

فاتهم الاحتلال الشاعر بالتحريض على الثورة، وفصل من مدرسة الحقوق.

بعد عامين من بدء دراسته بها.

وفى كتابه "الاعترافات" الذى طبعه عام ١٩١٦م تصوير لطفولته ومسارح صباه، وهو سيرة ذاتية له حتى سن الثلاثين .. وفيه وصف لأعمال الشباب المصرى وآلامه آنذاك، ولصموده فى معركة التحدى للاستعمار.

ووجهه مصطفى كامل، بعد فصله من الحقوق، إلى إكمال دراسته العالية فى مدرسة المعلمين العليا، فالتحق بها عام ١٩٠٦م وكان مقرها يومئذ بدرب الحماميز، فى مكان المدرسة الخديوية، وكانت مدة الدراسة بها ثلاثة أعوام، وكان من أساتذة اللغة العربية فيها: حسن الطويل - أحمد ضيف - محمد بك دياب - عثمان أبو النصر .. وسواهم.

وقد تخرج شاعرنا شكرى منها عام ١٩٠٩م، وكان من أهم الكتب الدراسية فيها "مجموعة الكنز الذهبى"، وهى مختارات من الشعر الإنجليزى الرومانسى، وقد ألفها أحد أساتذة الشعر الإنجليزى فى كلية اكسفورد، وكان منتدبا إلى المعارف المصرية، ويعمل مشرفا فيها، ولما قرأ شكرى هذه الأشعار الرومانسية الحاملة أعجب بها وأثرت تأثيرا شديدا فى شاعريته.

ونظم شكرى فى هذه الفترة مراثيه فى الإمام محمد عبده وفى مصطفى كامل. وفى قاسم أمين، وفى هذه الفترة أيضا نشر أول دواوويه الشعرية عام ١٩٠٩م وهو ديوان "ضوء الفجر" الذى قال حافظ فيه:

أفى العشرين تعجز كل طوق

وترقصا بأحكام القوافى

شهدت بأن شعرك لا يحارى

وزكيت الشهادة بأعترافى

لقد بايعت قبل الناس شكرى

فمن هذا يكابر بالخلاف؟

وأختير شكرى بعد تخرجه من المعلمين العليا عام ١٩٠٩م فى بعثة دراسية إلى إنجلترا، فسافر إليها، وأقام فيها ثلاث سنوات درس فيها التاريخ الدستورى والتاريخ القديم والحديث والجغرافيا والعلوم السياسية والاقتصادية والآداب الإنجليزية.

وفى هذه المرحلة كتب قصائد جميلة رائعة مثل قصيدة "الشتاء" فى إنجلترا، وقصيدة "شاعر فى الغربة" التى يقول فيها:

كنت مثل الغريد جئ به من

روضه والزمان غير دميم

حيث وجه النهار جدلان بما

م، ووجه الظلام غير دميم

ودواع إلى النساء كئسار

من حبيب وموطن وحميم

عاش يبكى أيامه حيث صفو الـ

عيش سهل الجنب سهل التميم

انقضى عيشه غربا عن الأهـ

ل قليل العزاء جم الهموم

الهوى والحياة واليأس والحز

ن وريب من الزمان خصومى

ونظم كذلك قصيدته "حنين غريب" وفيها يقول:

انشقوني نائم النيل، إنى

لعليل والنيل حاجة نفسى

أنا فى بلدة يمر بها الدهـ

ر حزينا لا يستضىء بشمس

وعاد الشاعر إلى وطنه، فبادر عام ١٩١٣م بطبع الجزء الثاني من ديوانه الذى سماه "آلآىء الأفكار"، وقد صدر بمقدمة بقلم العقاد. وعين الشاعر مدرسا للإنجليزية بمدرسة رأس التين الثانوية التى درس فيها دراسته الثانوية، وكان آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره، ودرس كذلك فى المدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية وكان من تلامذته فى الشعر: على أدهم، ونقولا يوسف، وعبد الحميد السنوسى، وحسن فهمى .. وسواهم من الأدباء والشعراء.

وفى هذه الفترة صدر له:

- ١- ديوانه الثالث "أناشيد الصبا" عام ١٩١٥م.
 - ٢- ديوانه الرابع "زهر الربيع" عام ١٩١٦م.
 - ٣- ديوانه الخامس "الخطرات" فى أعام نفسه.
 - ٤- كتابه "الاعترافات"
 - ٥- كتابه "الثمرات" وهذه كلها صدرت عام ١٩١٦م.
 - ٦- كتابه "حديث إبليس".
 - ٧- ديوانه السادس "الأفنان" عام ١٩١٨م.
 - ٨- كتابه "الصحائف".
 - ٩- ديوانه السابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩م.
- وهو آخر دواوين الشاعر التى صدرت فى حياته.
- ١٠- كتابه "الحلاق المجنون" بتوقيع ع. ش. وقد صدر عام ١٩١٩م.
- ووقف الشاعر بعد ذلك عن طبع شىء من شعره ومن كتبه الأخرى.
- شاهد شكرى عهد الاحتلال، والحرب العالمية الأولى، وحركة الزعيم مصطفى كامل، وثورة ١٩١٩م، وعاش فى الإسكندرية مكبلا بقيود الوظيفة. يلتف حوله كل شعراء الثغر. من أمثال السنوسى وحسن فهمى، وعبد اللطيف النشار وسواهم، وكان يلقونه عصر كل يوم فى حديقة الشلالات فى الثغر.
- ومنذ عام ١٩١٩م انطوى الشاعر على نفسه، لأنه لم يجد من التقدير ما كان يستحقه، وعاش فى نطاق الوظيفة، أستاذًا للغة الإنجليزية، فناظرا للمدرسة الثانوية فى الفيوم، فالزقازيق، فحلوان، فالعباسية الثانوية. ثم مفتشا للغة الإنجليزية.

وفى عام ١٩٣٨م قدم استقالته من الوظيفة وهو فى الثانية والخمسين من عمره، وذلك بعد أن غلبه اليأس، واستولى عليه الحزن، وكما قال فى شعره فى مطلع شبابه من قصيدته "شكوى شاعر" التى ضمنها الجزء الثانى من ديوانه:

قد طال نظمى للأشعار مقتدرا

والقوم فى غفلة عنى وعن شأنى

وقامت الحرب العالمية الثانية، وخلالها وبين الحين والحين كان يرسل نفاثاته براعه إلى الرسالة والمقتطف والهلال فتشرها له.

وترك الشاعر بعد استقالته من وظيفته مدينة الإسكندرية، وعاد إلى بورسعيد ليعيش مع أسرة أخيه، فى شقة متواضعة من منزلهم فى شارع أفريقية، حيث مسرح طفولته، ومهد صباه، وحيث قضى فى مدينته وموطنه الأول سبعة عشر عاما (١٩٣٨م - ١٩٥٥م)، وكان الشاعر أعزب لم يتزوج ولم يتجب.

وفى يناير من عام ١٩٥٢م أصيب بالشلل، وكان فى الطريق إلى منزله يحمل بعض كتب اشتراها من بعض المكتبات، ومع مرض السكر أيضا عاش الشاعر أواخر حياته الحزينة الصامتة.

وفى عام ١٩٥٥ انتقل الشاعر مرة أخرى إلى الإسكندرية حيث قضى بها ثلاث سنوات عجاف، مع بعض أقاربه، وبلغه نبأ احتراق منزل أخيه ببورسعيد فى العدوان الثلاثى على المدينة عام ١٩٥٦م، كما علم بأسر ابنى أخيه الضابطى فى القوات البحرية المصرية، وتكاثر الهموم على الشاعر، حتى لى نداء ربه ظهر يوم الاثنين الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨م.

وفى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة كنا على وشك أن نزور شكرى فى عزلة الرهبة حين بلغنا اشتداد وطأة المرض عليه، وكتبنا فى الصحف آنذاك نلفت نظر الدولة إليه. وحين جدت الدولة فى تكريمه وعلاجه مات الشاعر.

وصدق شكرى فيما قال فى قصيدته "رؤية شاعر" التى نظمها فى سن مبكرة، وضمنها الجزء الثانى فى ديوانه المنشور، عام ١٩٦٣م وفيها يقول:

لئن خائنى الذكر الجميل وملنى

مسمع قومى أو غلبت على أمرى

- سيروي عظامي شاعر بدمانه
وينثر أزهار الربيع على قبرى
فيا ساكننا فى الغيب هدى نبوءتى
فذكر بها القوم الآتى جهلوا قدرى
مات شكرى وترك خمسة كتب لم تر النور بعد، وكان قد نشرها فصولا فيما
بين عامي ١٩١٩م، ١٩٥٢م فى المقتطف والرسالة والثقافة والهلال، وهى:
١- نظرات فى النفس والحياة، نشر مسلسلا بالمقتطف (١٩٤٧م - ١٩٥١م).
٢- الشعر العباسي.
٣- دراسات نفسية.
٤- بين القديم والجديد.
٥- أبحاث ودراسات شتى.

-٢-

ولعلنا لو قرأنا قصيدة شكرى "ظالمى ما أعدلك" (ص ٢٥٦ من الديوان)
لرأينا فيها خصائص مذهبه الشعرى كاملة .. يقول شكرى:

ظالمى ما أعدلك
فأقضى إن الحكم لك
أى ذنب جنته
عن ودادى نقلك
أى أمر طارق
عن دعائى شفك
قد بدا لى يا حبيبى
منك أن لا قلب لك
إن يكن فىك جمال
إن شعرى جملك
ليست لى يا قلب قلبا
طائعا لى بكذلك

مبا أظنن الحبب إلا

بالفنا بسى أجلك

ويتمثل تجديد شكرى فى الجزء الأول من ديوانه "ضوء الفجر" الذى صدر عام ١٩٠٩م، وأعيد طبعه عام ١٩١٤م، وفى الجزء الثانى منه (لآلىء الأفكار) الذى صدر عام ١٩١٣م، والثالث (أنشيد) الصادر عام ١٩١٥م، والرابع (زهور الربيع) عام ١٩١٦م، والسابع (أزهار الخريف) عام ١٩١٩م، ثم أعيد طبع الديوان كله عام ١٩٦٠م، بعد وفاة شكرى فى مجلد واحد على نفقة عبد العزيز مخيون، وقدم له نقولا يوسف، وأضيف إلى الأجزاء السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩م حتى وفاة الشاعر.

كما يتمثل كذلك فى كتبه المطبوعة: الثمرات - الاعترافات - حديث إبليس - وقد ظهرت عام ١٩١٦م، وفى كتبه المخطوطة الباقية والتى نشرت فصولها فى المجلات.

وترجع أهمية شكرى فى الشعر المصرى الحديث إلى أنه هو البدء الحقيقى للمدرسة الحديثة، وللحركة الرومانسية فى الشعر المعاصر، وأنه منذ كان طالباً فى مدرسة المعلمين العليا، كان يدعو إلى القيم الشعرية الرومانسية الأصيلة، من تجربة شعرية، ووحدة عضوية، وحرص على الموسيقى، وعلى أن تكون القصيدة الغنائية ذاتية الطابع، وجدانية المشاعر، ممثلة لشخصية الشاعر الفنية تمام التمثيل، ومن ثم نادى بنظرية جديدة، أسماها "شعر الوجدان" وجعلها شعاراً له، كتبه على الجزء الأول من ديوانه الذى سماه "ضوء الفجر"، ويتمثل هذا الشعار فى بيته المشهور:

أيها الشاعر الفردوس

إن الشعر وجدان

واحتفل شكرى فى شعره، بالقصة الشعرية، وبالطبيعة وبالألم والأنين والحنين، وبكل أدوات الرومانسية، وعناصرها الفنية فى القصيدة الشعرية. وكانت المدرسة الرومانسية هذه هى التى قامت فى وجه مدرسة البعث التى قادها شوقي وحافظ وأضرابهما، ودعتها إلى أن تخفف غلوها فى شعر

النماذج، وأن تبدأ مرحلة شعر الوجدان، لتكون القصيدة تعبيراً عن ذات الشاعر وشخصيته، فيبعد بها عن المناسبات الطارئة، وعن التقليد الضعيف للقدمات. وشخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر عنده، فإذا كان الشاعر يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب أن يحتفى به، يقول شاعرنا: "الشعر ما أشعرك بعظمته وجعلك تحس عواطف النفس إحساساً شديداً".

والمضمون الشعري عنده لابد أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الذاتي، سواء استمدّه الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية. والأصالة، وصدق الشاعر في عاطفته وشعوره، وتناوله لثنى الموضوعات الإنسانية، وهيامه بالطبيعة، وبعده عن الزيف والتقليد، وعن شعر المناسبات، وتلقيح القصيدة بالمعاني والأخيلة والصور الغريبة كل ذلك جزء لا يتجزأ من بناء القصيدة. وأهم البواعث عنده في نظم الشعر هو الحب والطبيعة والبطولة والخواطر والتأملات والشعور بشخصية الفنان وتجربته الشعرية.

ويشرح شكرى مذهبه في الشعر في كلمة كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه، بعنوان "في الشعر ومذاهبه" والتي نادى فيها بطلاقة الأسلوب، وشخصية الشاعر، وتعبيره عن ذاته تعبيراً قوياً مباشراً، كما نادى بوحدة القصيدة .. ونظم الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم.

وبهذا بدأ شكرى دعوته إلى التجديد في الشعر المصرى الحديث، وبدأ بذلك كفاحاً طويلاً في سبيل التحرير الفني للقصيدة، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر ومضمونه وموسيقاه.

وكان شكرى يجمع بين التيار العاطفي الشاكي المتشائم والمتمرد والتيار الفكرى المسترسل الهادئ، فزاوج بين الجانب التأملى وبين التأثيرات العاطفية الوجدانية.

وكان يكرر قوله في الاحتفاء بالوحدة العضوية للقصيدة ينفي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل، لا من حيث هي أبيات مستقلة، ذلك لأن قيمة البيت تأتي من كونه عضواً في جسم القصيدة الكلى.

على أن المذهب الرومانسى الذى دعا إليه شكرى كان له إرغاصات كثيرة ظهرت فى شعر مطران، ونثر المنفلوطى، وفى الشعر الغربى الذى ترجم إلى العربية، وبخاصة شعر لامرتين وهوجو وبايرون .. وسواهم.

-٣-

على أن النقاد جميعا يعترفون لشكرى بمنزلة الزعامة والريادة فى الحركة الشعرية التجديدية والمعاصرة.

يقول العقاد عنه: "إنه من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، وجدد فى موسيقى الشعر، وألف قصة الشعرية والعاطفية والاجتماعية والتاريخية، بل كان شكرى من أوائل من مهدوا للمذاهب النظرية الحديثة فى الأدب المصرى الحديث".

ويقول عنه المازنى: "كان الجزء الأول من ديوان شكرى وبهيات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب - يريد الأدب الرومانسى - كما كان فاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما. ورأى فيه إنه شاعر التأمل النفسى والاستبطان الذاتى.

ومدرسة أبولو تقدر شاعرية شكرى وريادته ومواهبه، وتعد شعره ينبوعا من ينابيع الشعر الحديث، ويقول عنه أبو شادى: إنه شاعر الأصالة والعقيدة الشعرية، ويسمى مدرسة الديوان مدرسة شكرى فيقول: مدرسة شكرى التى انتسب إليها المازنى والعقاد، مدرسة شعرية متحررة متنوعة، ولكن الفرق شاسع بين الأستاذ والتلميذ، فشكرى شاعر سابق لزمه، وزعيم مدرسة مالت لما ابتعدت عن توجيهه ووجهه المباشر، ولكنه بنى مفاخر لن تموت للشعر العربى الحديث.

ونوه به السحرى .. وجميع نقاد مدرسة أبولو يعدون شكرى رائدا لمدرسة الديوان ويعترفون بفضل على المازنى والعقاد.

يقول عنه رمزي مفتاح فى كتابه "رسائل النقد": إنه شاعر عظيم الموهبة، وهو الزعيم الأكبر، ومنشئ المدرسة الحديثة فى الشعر العربى.

ويقول عنه د. مختار الوكيل فى كتابه "رواد الشعر الحديث فى مصر": إن شاعريته تحتضن الحياة جميعها، وتصور الوجود بأسره، لأنه شاعر عبقري، لا يقف دون التعبير عن شعوره خيال الكون كله.

وفي كتاب "قصة الأدب المعاصر": شكرى من رواد المدرسة الحديثة في الشعر العربى، بل هو أشهر الرواد، وأكثرهم دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وإيماننا به. وزملاؤه في الدعوة إلى التجديد: العقاد والمازنى .. وممن لهم في الدعوة التجديدية حظ كبير أيضا مطران وأبو شادى.

وأهم حدث أدبى فى حياة شكرى هو دعوته إلى المذهب الرومانسى الجديد فى الشعر مع زميله العقاد والمازنى.

لقد نشأت من آرائهم مدرسة جديدة فى الشعر المصرى، سميت باسم "مدرسة الديوان" نسبة إلى "كتاب الديوان" الذى أصدره العقاد والمازنى فى جزئين عام ١٩٢١م، وبسطا فيه آراء المدرسة فى الشعر والنقد. وقد تزعمت هذه المدرسة حركة التجديد فى الشعر الحديث، وألحت فى الدعوة إليه، ويؤكد العقاد أن "مدرسة الديوان" هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث.

ويذكر العقاد فى كتابه "شعراء مصر وبيناتهم" إن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية عن طريق الأدب الإنجليزى، وإنها استفادت من النقد الإنجليزى استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى، وأنها اتخذت هازلت إماما لها فى النقد، وكان مرجعها الأول: "مجموعة الكثر الذهبى" وهى مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزى من عصر النهضة إلى نهاية القرن العشرين.

وقد تعرف المازنى بشكرى فى مدرسة المعلمين العليا، وكان شكرى يسبقه فيها، وكتب المازنى فى جريدة السياسة (٥ أبريل ١٩٣٠م) مقالا يقول فيه:

"غير زمن كان فيه شكرى محور النزاع بين القديم والجديد، ذلك أنه كان فى طليعة المجددين، إذاً هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل، فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه وكنا يومئذ طالبين فى المعلمين العليا، وكانت صلتى به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه، ولم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ودلى على المحجة الواضحة".

ثم تعرف المازنى بالعقاد فى جريدة الدستور التى كان يصدرها آنذاك المفكر الكبير محمد فريد وجدى، وكان العقاد أحد محرريها، وقاد المازنى العقاد إلى شكرى، وعرفه به، ومن ثم أصبح هؤلاء الثلاثة أخوة فى المذهب وفى الفكر وفى الحياة، وأخذوا يدعون إلى مذهبهم الشعرى، ولا يكادون يفترون، ولا يكفون عن القراءة والكتابة.

وأخذ المازنى والعقاد يستزidan من اللغة الإنجليزية على يدى صديقهما شكرى، ويتعمقان فى آداب الغرب والشرق، فى إعجاب شديد برائدهما شكرى، وثقافته الواسعة. ولم يلبث هؤلاء الثلاثة أن صاروا مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر. وهم يميلون إلى الرومانسية وشعرائها، ويقراءون للشعراء الرومانسيين الإنجليز، ويتأثرون بهم تأثرا شديدا، وهم يتخذون من مجموعة الكنز الذهبى زادا فنيا لهم فى الشعر.

وصدر الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣م، وفى صدره مقدمة للعقاد أنشأ فيها على شاعرية شكرى وموهبته الفياضة.

وكتب المازنى أيضا عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية وأزن فيها بين حافظ وشكرى وفضل شاعره على حافظ. ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية وذلك مما نشره فى كتابه: "شعر حافظ" الذى صدر عام ١٩١٥م.

وفى عام ١٩١٣م أصدر المازنى الجزء الأول من ديوانه وكتب العقاد مقدمته كذلك، رفع فيها من شأن الديوان، ورحب بظهوره، وباتجاهه نحو الرومانسية. وفى عام ١٩١٦م ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد.

وخاض الثلاثة معركة التجديد، مع شوقى وحافظ والمنفلوطى. ولم تلبث الأيام أن فرقت بينهم فاعتزلهم شكرى، وإن كان يعد دائما الرائد الأول لمدرسة شعراء الديوان، وإمامها الذى اقتدت به.

وهاجم شكرى المازنى ورماه بسرقة شعره من شعراء المدرسة الرومانسية الإنجليزية، وبخاصة شعراء "مجموعة الكنز الذهبى" وذلك فى مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى.

ولما أصدر المازني والعقاد الديوان وهو كتاب نقدي صغير. صدر في جزئين، نقدا فيه أحمد شوقي وحافظا وهاجم العقاد شعر شوقي هجوما شديدا لأنه ليس فيه كما قال شيء من تصوير النزعات الإنسانية، وليس تعبيرا عن ذات الشاعر. وليست القصيدة عنده ذات وحدة عضوية واحدة.

وهاجم المازني شكري في الديوان هجوما شديدا. وهاجم رمزي مفتاح الكتاب والعقاد ورماه بالسرقة من شكري.

وفي عام ١٩٣٠م عاد المازني إلى الكتابة عن شكري، وفضله على شعراء الشعر الحديث، فكتب في جريدة السياسة (عدد ٥ أبريل ١٩٣٠م) يعترف بفضل شكري. كما كتب بعد في جريدة البلاغ عدد أول سبتمبر سنة ١٩٣٤م -- يقول:

كنا زميلين في مدرسة المعلمين العليا، ولكنه كان ناضجا وكنت فجا، وكان أديبا شاعرا واسع الاطلاع، وكنت جاهلا ضعيف التحصيل تناول يدي وشد عليهما، وكنت أقرأ ابن الفارض والبهاء زهيرا ففتح عيني على الثقافة العالمية، وعلى أعلام الأدب الغربي، وصرفتني عن المقلدين، وأغراني بأصحاب المواهب والابتكار، وصح لي المقاييس وأقام الموازين الدقيقة، وفتح عيني على الدنيا وما فيها، فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت إليه.

عبد الرحمن شكرى .. من رواد الشعر

-١-

كان شكرى من رواد المدرسة الحديثة فى الشعر العربى، وهى المدرسة التى خلفت المدرسة الكلاسيكية الممثلة فى شوقى وحافظ وأضرابهما، والتى ورثت بلاغة البارودى ومذهبه، والتى بقيت امتداداتها حتى اليوم ممثلة فى شعراء كثيرين لا يؤثرون بالشعر التقليدى التراثى المجدد شيئا.

وكان شكرى من أشهر هؤلاء الرواد، وأكثرهم دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وولعا به .. ولداته وزملاؤه فى الدعوة إلى التجديد والتجديد: خليل مطران، وأحمد زكى أبو شادى، وعبد القادر المازنى، والعقاد.

وقد تأثر الدكتور أبو شادى ومدرسته، مدرسة الأبوليين، بمطران. وعدوه رائد الشعر الجديد. وتأثر كثيرون بشكرى وعدوه عميدهم ورائدهم. ومن أوائل من تأثر بشعره وشاعريته عبد القادر المازنى زميل شكرى فى مدرسة المعلمين العليا، والذى كتب الكثير فى شتى المناسبات عن استاذية شكرى وريادته، ومما قاله المازنى عنه:

"كان شكرى أول من أخذ يبدى، وسدد خطاى، ودلنى على المحجة الواضحة".

-٢-

عرف المازنى شكرى لى دار المعلمين العليا فى القاهرة، ثم تعرف بالعقاد، وعرف به شكرى. وجمعت ثلاثتهم روابط الأدب، وصلات الشعر، والدعوة إلى المذهب الجديد فيه. وقدم العقاد الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣م، وأثنى على شاعريته وموهبته. وكتب المازنى عام ١٩١٣م عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية بوازن فيها بين شكرى وحافظ، ويفضل شكرى عليه.

وهكذا جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة المعلمين العليا فى القاهرة فى أوائل القرن العشرين بين طالبين صغيرين هما: إبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى، وكانا طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة: وربطت بينهما

هذه الزمالة برباط وثيق، ثم أكدت هذه الصلة الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد. وأصبح هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا، دعوا إليه، وكتبوا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر العربى فى أوائل القرن العشرين. فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين، وهم يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزورث، وشيللى، وبيرون، وكيثس، وغيرهم، ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى، وكانت فى أيدي الشباب فى مصر آنذاك، وفى عهد سطوة الاحتلال الإنجليزي وتشديد قبضته على التعليم إبان ذلك العهد، مجموعة شعرية مشهورة، اسمها "مجموعة الكنز الذهبى"، اختارها وجمعها مشرف إنجليزى فى وزارة المعارف المصرية آنذاك، اسمه "فرانسيس بالجريف" وكان أستاذا للشعر فى جامعة أكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكرى والمازنى وتأثرا بطابعها. وكان العقاد آنذاك صحفيا شابا يكتب مقالاته وقصائده فى جريدة "الدستور" التى كان يصدرها الكاتب المعروف الأستاذ محمد فريد وجدى، وفى غيرها من الصحف. وجمعت النزعة الأدبية بين هؤلاء الثلاثة - شكرى والمازنى - دعاة إلى الجديد والتجديد. وكانوا قد قرأوا التراث، ونزودوا بشعر المتنبى والشريف الرضى وابن الرومى ومهيار والمعري والبارودى وغيرهم من أعلام الشعراء.

- ٣ -

وكان ميلاد شكرى فى مدينة بور سعيد عام ١٨٨٦م، ومن إحدى مدارسها نال الابتدائية عام ١٩٠٠م، ثم عاش فى الإسكندرية بعد ذلك أربع سنوات هى أيام تعليمه الثانوى فى مدرسة رأس التين الثانوية، ثم سافر إلى القاهرة والتحق بمدرسة الحقوق عام ١٩٠٤م وقضى فيها عامين فصل بعدهما عام ١٩٠٦م، لاشتراكه فى بعض المظاهرات الوطنية ونظمه الشعر فى التنديد بالاحتلال الإنجليزى، فاضطر إلى الالتحاق بمدرسة المعلمين العليا بالجماميز بالقاهرة، وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات. ولم يلبث شكرى أن تخرج عام ١٩٠٩م: ثم أوفد فى بعثة دراسية إلى إنجلترا لتفوقه، وسافر إليها، وأقام فيها ثلاث سنوات، فى جامعة شيفلد حتى انتهى

من دراسته وعاد إلى أرض الوطن عام ١٩١٢م، فعين مدرسا في مدرسة رأس التين الثانوية، ثم في المدرسة العباسية.

كتب العقاد عام ١٩٥٩م يقول عن صديقه شكري: عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس وأربعين سنة، فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية، وما يترجم إليهما من اللغات الأخرى، ولا أذكر أنني حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخبر ما فيه، وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها، ولا سيما كتب القصة والتاريخ. وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة، نافذ الفطنة، حسن التخيل، سريع التمييز بين ألوان الكلام. فلا جرم أن تهيأت له ملكة في النقد على أوفائها، لأنه يطلع على الكثير، ويحيد منه ما يستحسنه ولا يأباه، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة والصفحة، يلقي بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره في الجلسات الطوال.

وعادت الأيام تفرق بين هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، بفعل الوشاة والوشاية: وأخذ المازني ينقد صديقه القديم عبد الرحمن شكري، ورد عليه شكري فكتب في الجزء الخامس من ديوانه الصادر عام ١٩١٦م أينقد المازني ويأخذ عليه سرقاته من الشعر الغربي، وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام، ونقد شكري صديقه العقاد والمازني على صفحات عكاظ في مقالات نشرت عام ١٩١٩م وعام ١٩٢٠م. ولما أصدر العقاد والمازني "الديوان" عام ١٩٢١م نقدا فيه عبد الرحمن شكري، وسماه المازني "صنم الألاعيب" ورماه بالشعوذة والجنون.

وقد صدر الديوان آنذاك في جزئين .. وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر والعالم العربي؛ وبه سميت مدرسة العقاد والمازني وشكري مدرسة الديوان، بل كان له تأثيره على شباب الشعراء والأدباء، وعلى شيوخهم كذلك، من مثل المنفلوطي وشوقي؛ وأنا أعد عام صدوره بدء الحركة الحديثة في الشعر فلقد غير من نظرية عمود الشعر القديمة، وعلى الرغم من أن شكري فارق زمليه وتركهما وحدهما في الميدان، إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول.

ومن حيث كان مطران يتزعم حركة الدعوة إلى الشعر الموضوعي. كانت مدرسة شعراء الديوان تدعو إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه: فشعرها هو شعر الوجدان. الذي يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير، وقد اتخذ شكري شعاراً له وضعه على الجزء الأول من ديوانه الصادر عام ١٩٠٩م، والذي سماه "صوء الفجر"، والشعار هو هذا البيت:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان
وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، ودافع عنه في ديوانه "بعد الأعاصير".

-٤-

وإذا كان التقاطع قد هدم الصلات الأخوية التي كانت قائمة بين هؤلاء الثلاثة، فإن حبل الصفاء قد عاد مرة أخرى يربط بين هؤلاء الرواد الثلاثة يرباطه الوثيق، وذلك عام ١٩٣٤م، حيث كتب المازني من جديد ينوه بشكري، ويقر بأستاذيته، مردداً قوله:

حنوت على الود الذي كان بيننا

وإن صد عنه ما جنينا على الود

فياليت أنى قد غفرت جفاءه

ونبوته حتى يصد عنه الصد

وأكتم من آلام نفسي عزة

إذا لم يتح لي ما أزيل به وجدي

وكان شكري في ذلك العام، عام ١٩٣٤م، قد رقى ناظراً بالمدارس الثانوية، وعمل مفتشاً في التعليم الثانوي بعد ذلك ما بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٨م، إلى أن اعتزل الخدمة، وأثر التفرغ لنفسه وللشعر.

وكتب المازني معاوداً اعترافه بأستاذية شكري، يقول:

"كنا طالبين في مدرسة المعلمين العليا، وكانت صلتى به وثيقة. وكان كل ما يخلط صاحبه بنفسه. ولكنني لم أكن يومئذ إلا مبتدئاً. على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب، ورأى حاسم فيما يسعى أن يكون عليه: ومن اللوم الذي اتحافى سمى عنه. أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي.

ودلنى على المحجة الواضحة، وإننى، لولا عونه المستمر، لكان الأرجح أن أظل
أنخط أعواماً أخرى، ولكن من المحتمل جداً أن أضل طريق الهدى^(١).

-٥-

وفى شباب شكرى صدر له سبعة أجزاء من ديوانه:

الجزء الأول صدر عام ١٩٠٩ م بعنوان "ضوء الفجر".

والثانى صدر عام ١٩١٣ م بعنوان "لآلى الأفكار".

والثالث صدر عام ١٩١٥ م بعنوان "أناشيد الصبا".

والرابع صدر عام ١٩١٦ م بعنوان "زهر الربيع".

والخامس صدر عام ١٩١٦ م بعنوان "خطرات".

والسادس صدر عام ١٩١٨ م بعنوان "الأفنان".

والسابع صدر عام ١٩١٩ م بعنوان "أزهار الخريف".

ثم أعيد طبع الديوان فى مجلد واحد عام ١٩٦٠ م، وأضيف إلى الأجزاء
السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩ م، حتى نهاية حياة الشاعر.

وصدر لشكرى كذلك كتبه: الثمرات، والاعتراقات، وحديث إبليس، التى

ظهرت عام ١٩١٦ م، والصحائف الذى صدر عام ١٩١٨ م، والحلاق المجنون الذى

صدر عام ١٩١٩ م.

وعاد شكرى إلى العزلة فى مدينته بور سعيد، حيث أقام فيها سبعة عشر عاماً

ما بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٥٥ م، وكان قد أصيب بالشلل النصفى فى يناير عام ١٩٥٢ م.

وفى عام ١٩٥٥ م انتقل إلى الإسكندرية، ليقضى فيها باقى حياته، فى عزلة

أشد من عزلته الأولى، وذلك بين أسرته وحيث الشاطئ والبحر والجو الجميل.

وخلال إقامته فى بور سعيد كان يبعث بفصوله الأدبية إلى مجلة المقتطف

حيث تنشر فيها مذيلة بتوقيعه بالحروف الأولى لاسمه (ع. ش). ولا تزال كتب أخرى

له مخطوطة، وهى: نظرات فى النفس والحياة، بين القديم والجديد، القعر العباسى،

دراسات نفسية، أبحاث ودراسات شتى.

(١) جريدة السياسة عدد ٥ أبريل ١٩٣٠ من مقالة للمازنى عن التجديد فى الأدب.

وفى ديوانه كثير من القصائد التى تحدث فيها عن شعره وشاعريته، وعن مذهب الجديد فى الشعر. ومن ذلك قصيدته: شكوى شاعر، ونبوءة شاعر، وهما فى الجزء الثانى من ديوانه ومطلع الأولى:

قد طال نظمى للأشعار مقتدرا

والقوم فى غفلة عنى وعن شأنى

وفى الثانية يقول شكرى:

لئن خائننى الذكر الجليل وملئى

مسمع قومى أو غلبت على أمرى

سيروى عظامى شاعر بدموعه

وينثر أزهار الربيع على قبرى

إذا جتنى الليل البهيم أطاف لى

خيالا له يزرى على صفحة البدر

يجئ مجئ النوم من حيث لا أرى

ويسمعنى ما قد فرضت له شعرى

ويشرح شكرى مذهب فى الشعر فى مقدمته الطويلة، التى كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه بعنوان "فى الشعر ومذاهبه"، والتى نادى فيها بوحدة القصيدة، ودعا إلى حرية التعبير، وطلاقة الأسلوب، وتصوير الشعر لنفس الشاعر، وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا، وأعلن خصومته للتقليديين ومذاهبهم فى الشعر، وقد اتسم شعره بنزعة إنسانية عميقة، تتجلى فى مثل قصائده: اليتيم - زناء عصفور - غلام مريض.

وكان أبو شادى وشعراء ونقاد مدرسته، من مثل ناجى والسحرتى ود. مختار الوكيل ووديع فلسطين، من أكثر الناس حبا فى إنصاف هذا الشاعر الذى غبته معاصروه ولم ينصفه زمنه.

ولقد كتب عنه مندور فى كتابه "الشعر المصرى بعد شوقي" كما كتب عنه السحرتى فى كتابه "الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث" وكتب عنه د. مختار

الوكيل في كتابه "رواد الشعر الحديث في مصر" .. وفي كتاب "الأدب العربي الحديث ومدارسه" فصل طويل عنه، ومقدمة ديوانه التي كتبها نقولا يوسف عنه بعد وفاته ذات أهمية في الإلمام بحياة الشاعر والمؤثرات العديدة في شعره، وقد طبع هذا الديوان بعد وفاة شكرى، وذلك عام ١٩٦٠م على نفقة الأستاذ عبد العزيز مخيون، ويشير إلى شكرى كل من كتبوا عن الشعر المعاصر وفي مقدمتهم الدكتور شوقي ضيف في كتابه "الشعر المعاصر"، وكذلك كل من كتبوا عن مدرسة الديوان. على أن حسب شكرى للطبيعة وهيامه بها جزء أصيل من كيانه وشاعريته وشعره، فقد ولد ونشأ وعاش على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في بورسعيد والإسكندرية.

وأخيراً توفي الشاعر في منتصف شهر ديسمبر من عام ١٩٥٨م، بعد أن مل الحياة وملته الحياة، وكما كان يقول:

وقضى عيشه غريباً عن الأهل

قليل العزاء جسم الهموم

إن أكن عائشاً فعيش عليل (م)

النفس يذوى مثل الرجاء العقيم

الهوى والحياة واليأس والحزن

وريب من الحياة خصوصى

شكرى .. والشعر الحديث

مدارس التجديد في الشعر الحديث بدأت دعوتها منذ أوائل القرن العشرين.. وتعد مدرسة أبوللو بمطران ودعوته إلى التجديد في القصيدة، وإلى الوحدة العضوية، والشعر الموضوعي، والجانب الذاتي في الوصف؛ ويرى العقاد في كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث، ويقول المازني: إن الجزء الأول من ديوان شكرى ويوميات العقاد كانا بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب والشعر، وقد قام الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما؛ ولكن أؤكد أن بداية المذهب الجديد في الشعر الجديد كان ظهور كتاب الديوان بجزئيه عام ١٩٢١م.

ومدرسة الديوان - شكرى والعقاد والمازني - بدأت دعوتها بالدعوة إلى الشعر الوجداني أو الذاتي .. وينوه د. أبو شادي رائد مدرسة أبوللو بشكرى، ويعدّه ينبوعاً من ينابيع الشعر الجديد؛ والعقاد كذلك نوه بالمعنية لشكرى، وإن كان لم يعترف بإمامته وريادته لمدرسة الديوان، ولم يجعل نفسه علة على أحد في المذهب الجديد الحديث، ويعد العقاد شكرى زميلاً له في المدرسة، ويقول: أنه من أوائل من دعوا إلى وحدة القصيدة ونظموا القصة الشعرية وجددوا في موسيقى الشعر، ولم يحتفلوا بشعر المناسبات. من حيث يعترف المازني بأستاذية شكرى له، ويعدّه في طليعة المجددين إذاً هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل (السياسة عدد ٥ أبريل ١٩٣٠)، ويقول - من اللؤم أن أكرر أنه أول من أخذ بيدى وسدد خطاي (المرجع نفسه).

ويذكر د. مختار الوكيل في كتابه "رواد الأدب الحديث في مصر" إن شكرى هو الذي كان يوجه زميله العقاد والمازني نحو الأدب الغربي، ويذكر المازني أنه كان يقرأ ابن الفارض والبهاء زهير والبحتري وابن الرومي والشريف الرضي والمعري وأبا نواس وشعراء الحماسة وأن شكرى هو الذي فتح عينيه على شكسبير وبمرون ووردزورث وشيلي وميلتون وهاملت ولي هنس وماكولي وشيلر وجوته ومولير وراسين وروسو وغيرهم، وهو الذي صرفه عن المقلدين وأغراه

بأصحاب المواهب والابتكار "السياسة عدد أول سبتمبر ١٩٣٤"، والعقاد ينكر أن يكون شكري هو صاحب الفضل عليه في توجيهه إلى الأدب الغربي (الجهاد عدد ٤ سبتمبر ١٩٣٤).

ويعتد العقاد بدوق شكري النقدي، ويقول إنه لم يسبقه أحد فيه، وكان يدعو إلى تطبيق البلاغة النفسية المستمدة من أدب المغرب على ما يقرؤه من شعر الفحول في العربية، ويجعله أول من كتب في العربية عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم، وهما ملتسان حتى في موازين بعض النقاد الغربيين (١٨٣ حياة قلم).

وفي مقدمة شكري للجزء الخامس من ديوانه ينادي بطلاقة الأسلوب وتصوير الشعر لنفس الشاعر وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا، ويقول: أنه ينبغي للشاعر أن يتذكر كي يجيء شعره عظيما، لا يكتب للعامة ولا لأمة، وإنما يكتب للعقل البشري، ونفس الإنسان أين كان، وهو لا يكتب لليوم الذي يعيش فيه، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر.

لقد حمل شكري دعوة التجديد في الشعر الحديث رائدا وموجها وداعيا إلى المذهب الجديد بكل قوة طيلة حياته الخاصة الحافلة بالألم والأحزان.

عباس محمود العقاد
(٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١٢ مارس ١٩٦٤م)

(١)

العقاد عبقري موهوب، وأديب مفكر، وناقد زكي، وكاتب عصامي، وإمام من أئمة الأدب والشعر في العالم العربي، وكان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة، وعمق الفكر، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر، من أوائل القرن العشرين، واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية، ونال الصدارة في كل مجال وميدان.

ظهر في سنة ١٩١٣ الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكرى (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨م)، وفيه مقدمة قيمة بقلم الأستاذ العقاد عن الشعر ومزاياه، يقول في مستهلها عن الشعر: "ليس الشعر لغوا تهذى به القرائح فتتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان هذا الشأن في حياة النفس، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ولب الأبواب والجوهر الصميم من كل ما له ظاهري في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها".

وفي عام ١٩١٤م ظهر الجزء الأول من ديوان المازني، وفيه مقدمة رائعة بقلم العقاد عنوانها "الطبع والتقليد" يقول في أولها: "حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على مبدعهم إن أراد أن يكون شاعرا عصريا إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتجدي والمعارضة، فإن كانت العرب تصف الإبل والخيام والبقاع، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار، وإن كانوا يشبهوا في أشعارهم بدعد ولبني والرياب، ذكر أسما من أسماء نساء اليوم، ثم يحور من تشبيهااتهم، ويغير مجازاتهم بما يناسب هذا التجدي، فيقل حينئذ إن الشاعر مبتدع عصري، وليس بمقلد قديم، وهذا حساب خطأ، فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع، والأخلق به أن يسمى الابتداع التقليدي، لأنه ضرب من ضروب التقليد، فلولا أن شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعرضوه".

وفى سنة ١٩١٦م ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذى أسماه فى الطبقات التالية "يقظة الصباح"، وأذكر أنى أدمنت قراءته حتى استظهرت أكثر قصائده، وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما كان يسميه العقاد "الوحدة العضوية" فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه، فى وحدة سلسلة، وترابط يكاد يكون منطقيا، على خلاف ما ألفناه فى الشعر القديم، وفى شعر الشعراء الذين كانوا يتبعون فى نظم قصائدهم طرائق القدماء، وقد أعجبتنى هذه الطريقة فى ديوان شكرى، وديوان المازنى، وديوان العقاد. ولا شك أنهم تأثروا بأدب الغرب فى اتباع هذه الطريقة وبخاصة فى العهد الذى ساد فيه الأدب الرومانسى.

وظهرت الحركة القومية التى قادها المرحوم سعد زغلول، وكان العقاد فى طليعة الكتاب الوفديين المناضلين عن مبادئ الوفد وخطته، حيث ناصره العقاد بقلمه، ووقف بالمرصاد لخصومه، وبرز فى الجدل السياسى والحملات الحزبية، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الأدبية، فظهر فى سنة ١٩٢١م الجزء الأول والثانى من كتاب "الديوان" وقد اشترك معه فى تحريره الأستاذ المازنى، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوما عنيفا، ونقده نقدا مريرا .. لم يكن دائما البادئ بل كان موقفه موقف المدافع الذى يرد الهجوم، وكان شوقى لا ينفك يفرى به صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهمى قنديل، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد أدخل فى باب الهجاء والسباب منه فى باب النقد الأدبى.

-٢-

وكان فى العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظرانه وسعة إحاطته، وكان العقاد يلتزم القصد فى حياته ويتحرى الاعتدال فيعيش فى كتبه ومطالعاته ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيا، ولكن فى غير إسراف، وكان حريصا على حياته وصحته ووقته ولم يكن بخيلا بماله، وكان يعتز ببلغته ودينه وعروبته، ومع ذلك كان واسع الأفق إنسانى النظرة، يكتب عن غاندى ويشيد به كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبى

يكر الصديق. ويعجب بالزعيم الباكستاني جناح. كما يحب بمحمد فريد وسعد زغلول، ويكتب عن عبقرية محمد، كما يكتب عن عبقرية المسيح. وكان يؤمن بالحياة والعظمة والبطولة. ويشك في الدين يستقصون مواقف الأبطال ويسفهن أحلامهم، ويحيطون بواعثهم بالريب أو يردونها إلى التماس المصلحة الشخصية وطلب المجد الذاتي. وكان أدب العقاد وشعره كذلك سواء فيما قدمه من خواطر إنسانية أو فيما جعله صورة كذلك لمجتمعه وبيئته. وقد استغل هذا المضمون في شعره الوطني والاجتماعي، فهو عندما أراد أن يدعو مواطنيه إلى العزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الواعظ، ولكنه وقف موقف الأديب النائر قصور مجتمعه وكأنه متشائم من الأوضاع التي يراها، فالمائعون المتمعون يتولون أسمى الوظائف، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم، وفشت خستهم ودناءتهم، وكثر نفاقهم وتملقهم وجثوا خاضعين تدليل، واللائم قد بلغوا أسمى الدرجات فكانهم القروء، وقد اعتادوا التسلق. فهو الذي يقول في قصيدة جعل عنوانها "زماننا"^(١):

فشت الجهالة واستفاض المنكر
فالحق يهمل والضلالة تبهر
إننا لفسى زمن كأن كباره
بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذي وجه لو أن صفاته
تندى لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان لقد حسبت هواءه
دنسا وأن بحاره لا تطهر

-٣-

كان العقاد مولعا بالتجديد والإبداع والابتكار. وقد دفعه هذا الولع إلى الإسهام في إنشاء مدرسة شعرية سميت "مدرسة شعراء الديوان" وتعد أساسا للأدب الرومانسي في الأدب العربي.

^(١) الجزء الأول من ديوانه، ص ١١١

وأهم البواعث عند هذه المدرسة في نظم الشعر، الحب والصدق والعاطفة وجمال الطبيعة وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليد مظاهر البطولة وإبراز الخواطر والتأملات، فهي قد حررت الشاعر من رقة العبودية وأبعدته عن التملق والتكسب.

وكان العقاد يتناول الأغراض الشعرية المتنوعة، ولكنه كان يبدع في الوصف وفي إبراز عواطف الحب الكامنة في نفسه، وفي إبداء خواطره الفلسفية التي اقتبسها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التي روضت فكره على التعميق في البحث والإمعان في الملاحظات.

فقد تحدث في شعره عن الإنسان، وعن سر وجوده، وعن عجزه عن معرفة سر الكون الغامض، وعن حاجته إلى الإيمان، كما عبر عن كثير من خواجه وتأملاته وارتساماته التي كانت مرآة لآرائه في الحياة، ومن ذلك قوله:

ما وجدنا من البرية إلا
خلقاً زائفاً وجهاً مبيناً
حشرات لا تعرف الخير والشر
سر وفيها الهلاك للعارفين^(١)

وقوله:

أنصفت مظلوماً فأنصف ظالماً
في ذلة المظلوم عذر الظالم^(٢)

وقوله:

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها
تنام إذا طال الصباح على النهيم
وقهر الفتى آلامه فيه لذة
وفي طاعة اللذات شيء من الألم^(٣)

(١) عن الديوان الأول، ص ٣٦.

(٢) عن ديوانه: وحى الأربعين.

(٣) عن الديوان الأول، ص ٢٧.

والذى يتتبع شعر العقاد يجد فيه طابع التبرم والشكوى. ويظهر ذلك فى حل الأغراض التى نظم فيها، ولقد كان يحاول أن يخفف بالشعر عن نفسه من حين لآخر. لكنه لم يزدده الورد إلا عطشا فهو الذى يقول^(١):

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا

عذاب المدام ولا الأنداء تروينى

حيران حيران لا نجم السماء ولا

معالم الأرض فى الغماء تهدينى

يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا

نينى ولا سمر السمار يلهينى

وهاته القصيدة تعد من غرر قصائد العقاد. فهى نفثة من نفثاته، وعصارة حبة ومرتأة وضاعة لنفسه الرقيقة الحزينة القلقة.

إنه ظمآن حيران يقظان، إنه غصان أسوان حزين، يستعمل الشعر للتخفيف عن آلامه وأحزانه، ولكن الشعر لا يطفى أواره، كما تطفى الدموع أحزان المحبين. إنه يعيش وحيدا فى هذه الحياة لا يجد قلبا يسعده ولا خلا يأسوه، أنه يتمنى أن تنتهى حياته وأن يمحوه الموت من الوجود لتفنى حشرات وأناته، وهكذا نجد العقاد يصور خوالجه، وفيها من رنات الأحزان ما يسترى القلوب ويستجلب المدامع. ولعل هذا القلق من الحياة هو الذى دفعه إلى الحذر منها وإلى التفكير فى مصير الطارئين عليها. إنها مادامت حياة آلام وأحزان فلماذا يعمل من جديد على إيجاد أبنائه فيها؟ لهذا أثر حياة الوحدة، فهو من هذا الجانب شبيه بالمعري الذى كان يقول:

وإذا أردتم بسالبنين كرامة

فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

وقد كتب العقاد قصيدة رائعة جعلها حوارا بين المعري وابنه، الابن يريد أن يخرج إلى الوجود، أن يستمتع بالحياة، فقد ضاق بالعدم، وأحب أن يرى مفاتن الطبيعة وأن يستلذ بمحاسنها، إنه يتوق إلى رؤية الوجوه الحسان. ويود أن يرى

^(١) الجزء الثانى من ديوان العقاد، ص ١٩٤.

الورود والأزهار والفلاة والبحار، ولكن الألب يشرح لابنه أسباب إعراضه، فيقول عن الحياة:

شبرها يا بنى شر ثقیل خیرها يا بنى خیر قليل
أهلها يا بنى أهل حقود
زعموها إلى الخلود تؤدي ما رأينا سوى فناء ولحد
قف بباب الحياة لا تدخلها واعتصم يا بنى ما استطعت منها
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد^(١)

وكان العقاد جعل هذه القصيدة تعبيراً عما يحس به، لذلك قدمها بتعليق وجيز قال فيه عن المعري: أنه والد رؤوف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم، فيألفها من رحمة لا يعرفها له أبناءه.

وكان العقاد يقصد من تشاؤمه أن يستغله لإثارة غريزة الخير في الإنسان، فهو إذا صور الرذيلة وإنما يريد بذلك أن ينفر الإنسان منها، وإذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فإنما يريد بذلك أن يخفف من سورة الظلم في النفوس الطاغية عساها أن تشعر بالشر الذي تركبه فترق أخلاقها وتعمل للمصلحة الإنسانية عامة، وقد حقق بعض الباحثين أن الأدب كلما كان هادفاً إلى إصلاح المجتمعات فهو أدب إيجابي، وإن قدم في صورة تشاؤمية.

وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر، وثار على الابتدال والعامية والسوقية، ورأى الشعر فناً يجب أن ترتفع الأذواق إلى مستواه، لا أن ينزل هو إلى مستوى الناس، وكتب في "مجلة الهلال" يقول:

"ليس في وسع المتحررين أن يحاربوا الشعر القديم، بتحريه كما يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار في طبيعة الشعب كما ترى من أوزان الأجزاء والمواويل وتراويل الفرح والنواح في كل بيئة من بيئات الحضر والريف .. وبعض هؤلاء المتحررين يجهل أو يتجاهل معنى العروض، فيقول: إنه يزن الشعر بالتفعيلة وهي كلمة لا فرق بينها وبين أوف الكلمات

(١) الديوان الثاني، ص ١٨٤.

(٢) عدد فبراير سنة ١٩٦٢.

فى الأوزان العروضىة، إذ لى فى اللغة كلمة تتجرد من أوزان التفاعيل، بين فعل وفاعل وفعلولن، وفاعلان ومستفعلن ومفاعيلن وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال، وإنما يأتى الوزن من جميع التفعيلات معا ويختلف بين بحر وبحر باختلاف التركيب واختلاف حركات الحروف. ومن قال أن التفعيلة هى "نصميم" المنزل أو الحجرة أو الشافذة أو الباب، ولن يقوم بناء فوق وجه الأرض على مثل هذا التصميم؟ وقد عجزت هذه الدعوات قديما وحديثا - عن المساس بتركيب الأغاني الشعبية التى يمكن أن يقال إنها تستغنى بأنغام الآلات عن الأوزان العروضىة، وعجزت عن المساس بتركيب الزجل وهى مقياس للشعر الذى يمكن أن يشيع فى اللغة العامية، فإذا عجز هذا الشعر المتحرر - كما يقولون - من الشبوع فى الكلام الدارج فهو أعجز من الشبوع فى اللغة الفصحى، وهو على هذا أعجز من أن يتهم بالتأثير فى هبوط الشعر الحديث، ولنا نبرئ الأسباب الأخرى جميعا، من هذا التأثير إلا أننا نستبعد أن نجرد الطبيعة الإنسانية من حاسة الشعر فى فترة من الزمن، لأن التجرد من هذه الحاسة هو عبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة .. وقد تقوى هذه البواعث أو تضعف، قد تصح أو تفسد، وقد تحسن أو تقبح ولكنها لا تموت كل الموت فى وقت من الأوقات.

وقد خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الإسلام وتحليل عبقرياته، وكتابه "ابن الرومى" مشهور ومن أوائل كتبه: مراجعات، ومطالعات، وسواهما.

وقد حارب بعض الشباب العقاد فى حياته، وكتب العقاد يقول^(١):

"إنه يكتب للخاصة، ولا يسوءه أن يقرأه العامة".

وكان العقاد يعجب بتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، ونجيب محفوظ، وصوفى عبد الله، وجاذبية صدقى، فى القصة .. وأكد العقاد أن الشعر الحديث كافة لى شعرا على الإطلاق إذ تنقصه الموسيقى والوزن، والشعر وزن قبل كل شىء، وقال: إن الأدباء وشبابهم يعيشون فى عصرى أنا، عصر العقاد.

(١) عدد المء الأسبوعى، نوفمبر عام ١٩٦٢.

(٢)

وللعقاد مع شكرى والمازنى قصة طويلة، فقد جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة "المعلمين العليا" فى القاهرة فى أوائل القرن العشرين بين إبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى، وكانا طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة، ثم ألقت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد، وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا إليه، وكتبوا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين، يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزورث، وشلى، وبيرون، وكيتس .. وغيرهم، ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى، وكانت بأيدى الشباب فى مصر آنذاك، وفى عهد سطوة الاحتلال الإنجليزى وتشديده قبضته على التعليم، آنذاك، مجموعة شعرية مشهورة، اسمها مجموعة "الكثر الذهبى" اختارها وجمعها مشرف إنجليزى فى وزارة المعارف المصرية حينئذ اسمه "فرانيس بالجريف"، وكان أستاذ الشعر فى جامعة أكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكرى والمازنى، وتأثرا بطابعها، وكان العقاد آنذاك صحافيا صغيرا يكتب مقالاته وقصائده فى جريدة الدستور التى كان يصدرها الكاتب المعروف محمد فريد وجدى، وفى غيرها من الصحف، وجمعت النزعة الأدبية بين العقاد وشكرى والمازنى أحياء وأصدقاء ودعاة إلى الجديد.

ولما أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه، كان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات، وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء (الثانى) وأثنى على شاعرية صديقه شكرى وعلى موهبته، وكتب المازنى فى العام نفسه عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية المصرية، وأزن فيها بين حافظ وشكرى، وفضل صديقه شكرى على حافظ، ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى الجزء الأول من ديوانه، فكتب العقاد مقدمته، يرحب فيه بالديوان ويرفع من شأن المازنى الشاعر، واتجاهه الرومانسى الغالب على شعره على ما أسلفنا.

وكان الاتجاه الرومانسي ذاتا في الأدب المصري آنذاك بتأثير المنفلوطي وكتابات، وتأثير ديوع أدب لامارتين، وهوجو، وغيرهم من الشعراء الغربيين في محيط الأدباء المصريين آنذاك، وتأثير مطران وكتابات كذلك.

وأكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة إلى مذهبهم الجديد في الشعر والنقد، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة، ويكتبون في وحدة القصيدة، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس والتعبير، وظهور شخصيته الفنية، واستلهم الشاعر للطبيعة، وتناولته لشتى الموضوعات الإنسانية، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين وشعر المناسبات الطارئة.

ومن حيث كان مطران ينادى بالشعر الموضوعي، والجانب الوجداني في الوصف، كان العقاد وزميله يدعون إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه، وخرجوا بنظرية جديدة أسموها "شعر الوجدان" واتخذ شكري شعارا له على الجزء الأول من ديوانه، الذي سماه "ضوء الفجر". هذا البيت من شعره:

ألا يا طائر الفجر
س إن الشعر وجدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته، وأن يبعد عن المناسبات، وأن يغلب عليه طابع الألم والأنيب وحب الطبيعة وتصويرها، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، وأخذ المازني على شعر شوقي ومدرسته، تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم وإغراقهم في شعر المناسبات، وفي التقليد للقدماء، وصور ذلك في مقدمة كتابه "شعر حافظ" الذي صدر عام ١٩١٥ ونقد فيه حافظا نقدا لادعا، ودعا المازني لذلك إلى الرومانسية في كتابه "الشعر: غاياته ووسائله"، الذي صدر في عام (١٩١٥) كذلك.

ويقول المازني: كان شكري أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي، ودلني على المحجة الواضحة. وكان الجزء الأول من ديوان شكري وبوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم، ومذهب شوقي وحافظ وأضربهما كما يقول المازني .. وعندما يقول وردزورث إن الشعر انفعال يسترجه الشاعر في هدوء، كان المازني يعود به إلى منبعه الأول، وهو

العاطفة والوجدان. وكان شكرى كما يقول العقاد من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، وجدد في موسيقى الشعر، وألف قصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، بل كان شكرى من أوائل من مهدوا للمذاهب النقدية الحديثة في الأدب المصرى الحديث .. ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل فى كتابه "رواد الشعر الحديث فى مصر" ص٤٦: "إن شاعريته تحتضن الحياة جميعها وتصور الوجود بأسره" .. وفى عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الأول من ديوانه وسماه فى الطبعة التالية "بقلة الصباح"، وقصائده فيه تحتفى بالوحدة العضوية للقصيدة احتفاءً ظاهراً، والعقاد حريص كل الحرص فى شعره على نظرية "الوجدان الشعرى". وهكذا صار المضمون الشعرى عند هؤلاء الثلاثة لا بد أن يتخذ فى الشعر الغنائى الطابع الوجدانى سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أو من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية.

(٣)

ويرجع هؤلاء الثلاثة فى النقد إلى هازليث وماكولى وأرنولد وشاسترى، وأغلب آراء العقاد فى النقد تعود إلى آراء وليام هازليث ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، ويشبهه العقاد كثيراً فى عنفه النقدى مع إشار للمذهب النفسى فى النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك.

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقي وحافظ والمنفلوطى، ولكن الأيام عادت ففرقت بينهم، ففي عام ١٩١٦ انفصل شكرى عن زميله بعد أن استفحلت الوشائات بينهم، وثارت أثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم، فأخذ شكرى يعيب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية بعامة ومما دون فى "الكنز الذهبى" بخاصة، وكتب فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية، وتبادلا النقد على صفحات جريدة "النظام"، وكتب شكرى يهاجم المازنى والعقاد- الذى انتصر لصديقه المازنى - معاً على صفحات "عكاظ" فى مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و١٩٢٠.

وفى عام ١٩٢٠ و١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزءين من كتاب جديد سماه "الديوان" نقد فيه العقاد شوقيا والمنفلوطى، ونقد المازنى فيه حافظاً وعبد الرحمن شكرى، الذى سماه "صنم الألاعيب" ورماه بالعمودى والجنون.

وأطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم من أن مؤلفي الكتاب العقاد والمازني فقط، وعلى الرغم من أنه يحمل هجوما على زميليهما شكرى.

وقد أحدث كتاب "الديوان" ضجة كبيرة في العالم العربي، وكان حافزا لظهور كتاب الغريال للشاعر المهجرى نعيمة، الذى كتب العقاد مقدمته. وبوازع من شوقى وشكرى، كتب رمزي مفتاح كتابه "رسائل النقد" بهاجم فيه العقاد ويتهمة بالسرقة من شكرى.

ويذكر العقاد فى كتابه "شعراء مصر وبيناتهم فى الجيل الماضى"، الذى كان ينشر مقالات فى صحيفة "الجهاد" القديمة التى كان يصدرها الصحفى المصرى محمد توفيق دياب:

"إن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزى، وإنها استفادت من النقد الإنجليزى، واتخذت هازليت راندا لها فى النقد، وكان عرجها الأول كتاب "الكثر الذهبى" الذى كان يحتوى على مختارات من الشعر الإنجليزى من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين.

ويقول العقاد: إن مدرسة الديوان هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث متجاهلا مطران ودعوته التجديدية قبل مدرسة الديوان وإن كان صوت مطران فى الدعوة إلى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهورى.

وفى رأى هؤلاء الشعراء الثلاثة، أصحاب مدرسة الديوان، إن شخصية الشاعر هى كل شىء فى الشعر، وأن الشعر إذا كان يشعرك بعظمته وقوته، فهو النموذج الذى يجب أن نحقق به، وكان وردزورث الشاعر الإنجليزى يقول، وقد سئل عن شعر شاعر: "إنه ليس من الحتم فى شىء"، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فإذا أصبح شعره على لسان الناس، ولا غنى لهم عنه، ويتمثلون به فى مختلف جوانب حياتهم العامة، فهو شعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس.

ولا ريب أن هؤلاء الشعراء الثلاثة، على اختلافنا معهم فى كثير من آرائهم فى النقد، وأحكامهم على الشعر والشعراء، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم، وفرضوا شخصيتهم على الأدب الحديث والشعر المعاصر فرضا.

ويشاء الله أن يعود الصفاء بينهم فيحل محل العداء والجفاء، وكان ذلك عام ١٩٣٤، فيتصافون ويمد بعضهم يديه إلى البعض الآخر. ويكتب العقاد والمازني الفصول الطويلة عن شكرى، اعترافاً بفضلته، وأقر المازني بأستاذية شكرى له، ونظم شكرى قصيدته الطويلة بعد الإخاء والعداء، ونشرها في مجلة الرسالة وقال فيها:

حنوت على الود الذى كان بيننا
وإن صد عته ما جئنا على الود

(٤)

هؤلاء الشعراء الثلاثة هم رواد مدرسة شعراء الديوان المعروفة فى أدبنا الحديث، ومدرسة الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة، وهى المدرسة المجددة الابتدائية - الرومانسية - فقد ظهرت بعد مدرسة البارودى وشوقي وحافظ ومطران المحافظة - الكلاسيكية - وتزعمت حركة التجديد فى الشعر، وألحت فى الدعوة إليه.

أعلامها الثلاثة: عبد الرحمن شكرى، وإبراهيم المازني، وعباس العقاد، قاموا بدور كبير فى خدمة نهضتنا الشعرية، وفى نشر حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث. وتسمى "مدرسة شعراء الديوان" نسبة إلى هذا الكتاب النقدى المشهور الذى ألفه اثنان من هذه المدرسة وهما: العقاد والمازني، وأصدراه فى جزءين وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطى، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكرى، وقد أحدث هذا الكاتب الصغير ضجة كبيرة فى الجوى الأدبى والشعرى فى مصر والعالم العربى، وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطى، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة. وعلى الرغم من أن شكرى فارق زميله وتركهما وحدهما فى الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأولى، وإمامها الذى اقتدى به زميلاه.

وقد صدر للعقاد فى حياته:

- الجزء الأول من ديوانه (١٩١٦).

- الأربعة الأجزاء الأولى من ديوانه (١٩٣٨).

- وحى الأربعين (١٩٣٣).

-هدية الكروان (١٩٣٣).

-عابر سبيل (١٩٣٧).

-أعاصير مغرب (١٩٥٠).

-بعد الأعاصير (١٩٥٠).

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان: العقاد وشكري والمازني لواء الشعر بعد شوقي، وأعلنوا الثورة على الشعر القديم (الكلاسيكي)، وكتبوا أعنف الفصول النقدية التي غيرت مسار الشعر العربي المعاصر.

(٥)

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد إلى هازليت وماكولي وأرنولد وشاستري، وأغلب آراء العقاد في النقد تعود إلى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، وبشبهه العقاد كثيرا في عتفه النقدي مع إشار المذهب النفسى فى النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك.

وقد تحدث الشاعر عبد الرحمن شكري في الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٣م فى قصيدة (نبوءة شاعر) ثائرا ناقدا لمذاهب التقليديين فى شعرهم، ولعله كان يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من أمثال شوقي وحافظ وأضرابهم .. ويوضح شكري مذهبه فى الشعر فى قصيدته (شكوى شاعر) التى نشرها فى الجزء الثانى من ديوانه أيضا حيث يقول:

قد طال نظمى للأشعار مقتدرا

والقوم فى غفلة عنى وعن شأنى

قد أولعوا بكبير السن أو رجل

يبنى له الحاه ما يفلو به البانى

ولو سئلت فقلت الشعر فى خبر

من السياسة فى زور وبهتان

ولو سئلت فقلت الشعر مبتدلا

فى وصف مخترع أو دم أزمان

لقبل نعم لعمرى أنت من رجل
جم المحاسن من صدق وتبيان
وانما الشعر تصوير وتذكرة
ومتعة وخيال غير خوان
وانما الشعر مرآة لفانية
هى الحياة فمن سوء وإحسان
وانما الشعر إحسان بما خفقت
له القلوب كأقدار وحدثان
قالوا أتيت بشعر كله بدع
فقلت نعم لعمرى قوله الثانى
من كل معنى يروع الفهم طائله
معنى من أحيان فى لفظ من أحيان

ويشرح شكرى مذهبه فى الشعر فى مقدمته الطويلة التى كتبها مقدمة للجزء
الخامس من ديوانه بعنوان (فى الشعر ومذاهبه)، التى نادى فيها بوحدة القصيدة
ودعا إلى حرية التعبير، وطلاقة الأسلوب، وتصوير الشعر لنفس الشاعر، وتعبيره عن
وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم .. وبهذا بدا
شكرى دعوته إلى التجديد فى الشعر المصرى الحديث الذى كان معطرا ننادى به
ويدعو إليه .. وبدأ شكرى بعد ذلك كفاح مدرسة شعر الديوان فى سبيل التحرر
الفنى للقصيدة، وحرية الشاعر فى تعبيره، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر وأفكاره
وموضوعاته، وقد اتم شكرى فى شعره بنزعة إنسانية عميقة تتجلى فى مثل قصائده:
اليتيم، وغلام مريض، ورثاء عصفور، وليتنى كنت إليها، التى نادى فيها بإنسانية الحياة
والتفكير والعمل .. ويسود شعر شكرى النزعة التصويرية العميقة، التى تتجلى فى
عمق حبه للطبيعة وروعة تصويره لها، ولنقرأ قصيدة شكرى القصيرة "سحر الطبيعة"
التي يقول فيها الشاعر:

كؤوس من النور هذى الزهو
رأم هى أخيلة الشاعر؟

وليسك بحلم ولكنكها
أجل من الحلم الباهر
وماء الحياة ونبع الخلو
د في مانها السليل المائر
وعشب قشيب وظل ظليل
أدنيا أرى أم منى الساحر؟
ومما يزيد وراء الزهور
أذى العيش والقدر الجائر
لقد خفت أن تطوى مثلما
ينزل الخيال عن الناظر
فأسلمت نفسي لسحر الخيال
لأخلد في حننها الزاهر

وحب شكرى للطبيعة جزء أصيل من كيانه، فقد ولد ونشأ على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، في بور سعيد في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦م، وعاش فيها أيام عزلته سبعة عشر عاماً من سنة ١٩٣٨م حتى عام ١٩٥٥م، وأصيب فيها بالشلل النصفى في أواخر ١٩٥٣م، ثم ودعها في أكتوبر عام ١٩٥٥م ليعيش مع أسرته في الإسكندرية، حيث الشاطئ والبحر الجميل إلى أن قضى حياته. ولفظ أنفاسه الأخيرة في منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨م.

وشكرى مع النزعات الإنسانية النبيلة، يعد من بين شعراء الديوان شاعر الحب والخير والجمال، الحب الذي يقول فيه شكرى من قصيدته "ليتني كنت إلهاً":

أنا والحب خالداً كلانا

دو خيال ونشوة وجنون

ومن أجل الإنسانية والحب اللذين نظم فيهما شكرى الكثير من شعره ترك شكرى زميله في مدرسة الديوان، ثم اعتزل الحياة. وبين الحين والحين كان يرسل نثبات بارعة إلى مجلتي الرسالة والمقتطف، وكنا منذ قامت رابطة الأدب الحديث

نريد أن نزو شكرى فى عزلته لنعرب له عن إعجاب الجيل المعاصر به وبشعره، ولتكبر جهاده فى سبيل أمته وشعبه، وفى سبيل الأدب الذى أعزه، والشعر الذى آمن به .. ولكننا كنا كمن يبحث عن السراب، لم نعرف عنوان شكرى لنذهب إليه، ثم ودع الحياة الوداع الأخير ..

وكتب نقولا يوسف فى جريدة المساء عن شكرى .. يقول:
كانت وصيته الأخيرة .. المكتوبة بيده اليسرى غير المشلولة: "لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن، ولكن فى قبر بهال عليه التراب" .. والحق أنه لم يحب القيود .. فكان متحرر النفس من الرذائل .. متحرر العقل من الخرافات .. متحرر الشعر من أغلال الشكل والموضوع .. متطلق الخيال فى رحب القضاء .. معتزلاً قيود الوظائف مطالباً فى عهود الاحتلال والإقطاع بتحرير بلاده من رقة الاستعمار والاستغلال .. أما السجن المادى فقد جنى على أبيه وعلى أسرته من قبل يوم اعتقل أعوان الخديوى، والده - محمد شكرى عياد - لمناصرته الثورة العرابية، وصداقته لعبد الله النديم .. فنتج، عن هذا السجن، وهذا التعطل، وعما كابده من الضيق والإرهاق، أن خرج أبناؤه غير أشداء العود .. كما جنى أعوان المحتلين على الشاعر فى حركة مصطفى كامل عام ١٩٠٦م، لما وقف زميل الشاعر عبد الحميد بدوى "القاضى بمحكمة العدل الدولية بعد ذلك"، وألقى على الجماهير قصيدة عبد الرحمن شكرى الوطنية:

ثباتاً فإن العار أصعب محملاً

من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة وفصلوه من مدرسة الحقوق بعد أن قضى بها عامين. و يلتحق الشاعر بمدرسة المعلمين بالقاهرة، ويتخرج منها عام ١٩٠٩م، ليرسل فى بعثة إلى جامعة شيفيلد، ويعود فى خريف ١٩١٢م، ليشغل بالتعليم مدرسا فناظرا فمفتشا بالتعليم الثانوى، ولكنه يظل ينظم الشعر، وينشر الأبحاث الأدبية والنقدية فى الصحف والمجلات.

وكان ديوانه الأول: "ضوء الفجر" قد ظهر عام ١٩٠٩م، والشاعر فى الثالثة والعشرين .. يقف على عتبة الحياة، ولم يفتح بعد ساحات مشاكلها وتجاربها، ومع

ذلك فإن الروح الشائر المجرد الذى سطع فى تلك الباكورة كان باهرا، فانبرى صديقه المازنى يقرظه فى الصحف.

وفى ١٩١٥م يظهر الجزء الثالث "أناشيد الصبا" ويتلوه كل من الرابع والخامس عام ١٩١٦م فالسادس عام ١٩١٨م، فالسابع: "أزهار الخريف عام ١٩١٩م، ثم تشغله هموم المهنة التعليمية والتنقل فى البلاد عن جمع أشعاره فى دواوين أخرى بعد هذا التاريخ، فيكتفى بنشر شعره وأبحاثه فى عديد من الصحف والمجلات مرردا:

ألقى بشعرى فى حلق الزمان ولا

أبيت منه على هم وبسال

وقد أمكن جمع ما نشره من الشعر بعد عام ١٩١٩م فى الجزء الثامن. وأما كتبه النثرية التى تضم فصوله وأبحاثه فى الأدب والنقد والدراسات النفسية والفلسفية، فقد طبع منها فى حياته خمسة كتب وهى: "الثمرات" و "حديث إبليس" و "الاعترافات" وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦م .. ثم "الصحائف" عام ١٩١٨م، وقصة "الحلاق المجنون" عام ١٩١٩م (بتوقيع ع. ش)، ولم يطبع منها بعد خمسة أخرى كان قد نشر فصولها فيما بين ١٩١٩م و ١٩٥٢م فى مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال وغيرها .. وهى: كتابه "نظرات فى النفس والحياة" وقد نشر مسلسلا بمجلة المقتطف فيما بين ١٩٤٢م - ١٩٥١م ، و "الشعر العباسى" و "دراسات نفسية" و "بين القديم والجديد" و "أبحاث ودراسات شتى"، ولم يضع الشاعر أسماء لهذه الكتب الأربعة الأخيرة التى تفرقت فصولها فى عدد من الصحف والمجلات .. وهكذا لم ينقطع الشاعر عن نظم الشعر وكتابة الأبحاث حتى عام ١٩٥٢م يوم أرغمه الشلل الذى أفلج نصفه الأيمن ولازمه إلى نهاية حياته على الكف عن الإنتاج الأدبى، وإن كان لم ينقطع عن كتابة الرسائل الخاصة بيده اليسرى إلى أهله وأصدقائه وتلاميذه حتى نهاية حياته.

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعميم عام ١٩٣٨م بعد أن مارس التعليم نحو ربع قرن حتى رغب فى دأب أن يوفر على النقد بعض الجهد، فأخذ ينشر فصول كتابه "الاعترافات" فى الصحف ثم طبعها عام ١٩١٦م فى كتاب، كما نشر بعض الذكريات عن نشأته وعن التعليم .. وراح يصحح بعض الأخطاء التى وقع فيها

ناقده في مقدمات دواوينه وفي مقالاته التي لم تجمع أو رسائله التي لم تنشر ..
ويشرح رأيه في الشعر ومذهبه ، و الشعراء وحقيقتهم ، كما عرض لهم الشاعر نظما،
وتوالت الأنبياء عن سوء صحة الشاعر، وحين جدت الدولة في تكريمه مات الشاعر
العظيم، وكأنما كان يتمثل ما قاله في صدر شبابه وهو في الغربة:

كنت مثل الغريد جىء به من
روضة كالولهان غير ذميم
حيث وجه النهار جدلان بسام ،
م ووجه الظلام غير بهيم
ودواع إلى الفناء كئثار
من حبيب وموطن وحميم
أنزلوه في منزل مثل بطن الأ
رض جهنم السماء جهنم الأديم

نظرية الشعر عند العقاد

عباس محمود العقاد ..

هذا الرائد الكبير ..

هذا المفكر الخالد ..

هذا الأديب الشاعر الناقد العالمي ..

كان أكبر شعراء مدرسة الديوان أثرًا في أجيال متعاقبة من أدباء النهضة منذ أوائل القرن العشرين، وسيظل يؤثر في أجيال قادمة، بعظمة فكره، وجمال شعره، وعمق أدبه، وجليل توجيهه للنجماهير في شتى ميادين المعرفة والثقافة والأدب.

حمل هو وشكري والمازني رسالة التجديد في الشعر وحاور أحمد شوقي وزعماء الأدب المحافظين طويلاً دفاعاً عن الإبداع بالمنظور الشعري، وطعم شعره هو وزملاؤه في مدرسة الديوان بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة، وكتبوا في وحدة القصيدة، ودعوا إلى الذاتية والأصالة وظهور شخصية الشاعر واستلهاهم الطبيعة بالأساطير، وتناولوا شتى الموضوعات الإنسانية، وحاربوا التقليد والتكلف والافتعال وشعر المناسبات الطارئة، ودعوا إلى شعر الوجدان، وبهذا بدأ المسار إلى نظرية جديدة للشعر، كان العقاد أكثر زملائه دعوة إليها، ودفاعاً عنها، واعتداداً بها. ومن ثم اعتد به كثير من النقاد رأساً للمدرسة الجديدة في الشعر الحديث.

حمل العقاد على شعراء المعارضة والتقليد للقدماء، ودعا إلى أن يكون الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر وشخصيته، وإلى أن يبعد عن المناسبات، وأن يحمل طابعاً وجدانياً متميزاً، يعبر الشاعر به عن تجربة عميقة، وتسود القصيدة وحدة عضوية متنامية، وفي رأيه أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر. وأن الشعر ما أشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الأمثل.

ويؤكد العقاد أن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

*** أولها:**

أنه قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى لغة من اللغات.

*** وثانيها:**

إن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع، وليس ذا شخصية فنية.

*** وثالثها:**

إن القصيدة بنية حية، وليست أجزاء متناثرة، يجمعها الوزن والقافية^(١). ورأى العقاد أن المحك الذي لا يخطيء في نقد الشعر، هو إرجاعه إلى مصدره، فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس، فذلك هو شعر القشور والطلاء، وإن كنت تلمح وراء الحواس، شعورا حيا، ووجدانا تعود إليه المحسوسات، كما تعود الأغذية إلى الدم، وتفتح الزهور إلى عنصر العطر، فذلك هو شعر الطبع القوى، والحقيقة الجوهرية، وهنا ما هو أدنى من شعر القشور والطلاء، وهو شعر الحواس الضالة، والمدارك الزائفة^(٢).

ودعا العقاد إلى التجديد في المضمون، وليس ذلك باختيار الموضوع الجديد بل بالمضمون الجديد^(٣)، ولم يبال بالشكل، وإن اعتد فيه بالقدرة اللغوية، والموسيقى الشعرية.

ورأى أن عصريّة الشاعر ليس المعول فيها على وصفه للاختراعات العصرية، بل المعول فيها على كيفية الوصف، ووجهة النظر^(٤)، وإن يترجم الشاعر عن زمنه^(٥). والشعر إذا أشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب أن يحتفى به.

^(١) النقد العربي الحديث ومذاهبه، تكتب هذا البحث، ص ٨٨.

^(٢) الديوان، ٤٠ فصل من النقد عند العقاد.

^(٣) النقد والتقاد المعاصرون، لمتنور، ص ١٣٩.

^(٤) فصول من النقد عند العقاد، ص ٢٣٠.

^(٥) مطالعات للعقاد، ص ٢٩٨.

والتزم العقاد الوزن في القصيدة الغنائية^(١)، وأجاز تغيير البحر من فصل إلى فصل في الملاحم والقصائد المطولة^(٢)، وفي كتابه "اللغة الشاعرة" دفاع عن الشعر العربي وأوزانه وموسيقاه، ومقابلة بينه وبين العروض والوزن في اللغات الأوروبية. والعقاد في هذا الكتاب يشيد كل الإشادة بأصالة الوزن في الشعر العربي، ويؤكد على الحقيقة التي انتهى إليها، وهي أنه من الخطأ الترخي في قواعده، على نحو ما يهدف إليه أصحاب الشعر الحر بالفائهم للقافية، وإغفالهم لنظام البيت. الشاعر عند العقاد هو المتحرر من أسار التقليد، وهو الذي يدرك الدنيا كلها في صورة تختلف عن سائر الصور، وهذا هو ما يعنيه بفلسفة المشاعر. والشاعر في رأيه ليس هو من يأتي برائع المجازات، إنما هو من تتوفر فيه مزية الطبيعة الفنية، التي تجعل فن الشاعر جزءاً من حياته^(٣). وفي رأيه أن شوقي ارتفع شعر الصنعة، وهبط شعر الشخصية، ويعتبر شعره خلواً من الملامح الشخصية. الشعر هو الحياة، والحياة هي الشعر في أجمل مفهومه، فهو صوت الحياة وأغنيها الكبرى:

الحب والشعر ديني والحياة معاً
دين لممرك لا تنفيه أديان
والشعر ألسنة تفضي الحياة بها
إلى الحياة بما يطويه كتمان
ما دام في الكون ركن للحياة يرى
ففي صحافته لا شك ديوان^(٤)

(١) مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٦٣ من مقال للعقاد، راجع نقد العقاد لملاحم شوقي.

(٢) دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية للعقاد.

(٣) ابن الرومي للعقاد، ص ٤ و ٥.

(٤) ديوان العقاد، ص ٤٣.

طاهر الجبلاوى وجماعة الديوان

طاهر الجبلاوى ١٨٩٨ - ١٩٧٩ هذا الأديب الشاعر الدمياطى الخفيف الظل، الحلو الحديث، المهذب فى سمره وفكاهته .. لا يمكن أن ينسى أبداً. بدأت قصته مع الشعر وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وفى عام ١٩٢٢ جمع قصائده فى ديوان باسم "ديوان الجبلاوى" قرظه وقدمه خليل مطران، وقرظه شوقى وحافظ بأبيات رقيقة، وكان فى هذا الديوان معنياً بتحرى الدباجة والقوالب المتينة .. واتصل بالعقاد فوجهه وجهة جديدة، وشرح له مذهبه فى الشعر، والمعانى الشعرية، قال له: إن الشعر وجدان وعاطفة وصور خالصة وموسيقى حلوة، ووحدة عضوية مناسبة فى القصيدة كلها، وأرشده العقاد إلى قراءات فى الشعر الإنجليزى، وفى النقد على منهج النقاد الرومانسيين، وهى باللغة الإنجليزية، فعكف على قراءتها وهو مقيم فى بلدته دمياط، ولم يلبث أن عاد إلى القاهرة عام ١٩٢٥م، ومع ديوان جديد باسم "ملتقى العبرات"، وحمله إلى أستاذه وصديقه العقاد، فقدم له بأبيات متألفة، ثم نشر طاهر بعد ذلك ديوان "هوائف وأحلام" فقدم له العقاد بكلمة طيبة، ونظم مسرحيته "ديك الجن الحمصى" من ثلاثة فصول أضاف إليها فصلاً بعد طبعها نشر فى ديوانه "هوائف وأحلام" وديوانه "من بقايا الكأس".

شهد الجبلاوى ميلاد جماعة الديوان، وصدر كتاب الديوان للعقاد والمازنى عام ١٩٢١م ومعارك الجماعة مع مدرسة شوقى وحافظ، ثم مع مدرسة أبوللو، وخاض غمار الحياة والأدب فى قوة وإصرار.

صحب العقاد طيلة حياته، يلازمه فى الغدوات والروحاحات منذ عام ١٩١٥ حتى وفاته عام ١٩٦٤، يقول: "كنا نلتقى صباح كل يوم ومساء كل يوم، نتبادل الحديث فى شتى الشئون، فعرفت الكثير عن حياته. وسجل كل ذلك فى كتابه "ذكرياتى مع عباس العقاد" الذى صدر هذه الأيام فى طبعة أنيقة أشرف على إعدادها وإصدارها ابنه الأديب المعروف عباس طاهر الجبلاوى فى نحو خمسمائة صفحة، وهذا الكتاب من أوثق المصادر فى دراسة العقاد وأدبه، والكتاب يضم بين دفتيه كتاب الجبلاوى "العقاد فى سبحات الحب والجمال".

"الذكريات" و"سبحات" في ٢٦٠ صفحة ألحق بها الأديب الأستاذ عباس
صوراً من رسائل العقاد إلى أبيه تقع في نحو خمسين صفحة، وديوان والده "الجزء
الثاني - أحلى الأشعار" في أكثر من مائة صفحة.
كان العقاد يطلق على شعر مدرسة البعث شعر النماذج وكان يحمل على
شعر المحاكاة والقوالب الموضوعية، ويدعو إلى التعبير الصادق الذي لا زيف فيه،
وجعل حد الشاعر الكبير في رأيه أن تتجلى في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها
وجلالها وعلاقتها وسرها، وأن يرشد شعره إلى فلسفة للحياة ومذهب من حقائقها
وفرونها.

الباب الرابع

مدرسة شعراء أبوللو

مدرسة أبوللو

-١-

في عام ١٩٣٢ أعلن الدكتور أحمد زكي أبو شادي ميلاد مدرسة أدبية جديدة، أطلق عليها اسم جماعة (أبوللو)، وقال عنها في مجلته التي أصدرها باسم (مجلة أبوللو) أنها مدرسة جديدة من مدارسنا الأدبية.

وبينما لم يطلق العقاد وشكري والمازني اسمًا على مدرستهم الأدبية، وإنما أطلق عليها النقاد اسم (مدرسة شعراء الديوان) باسم الكتاب النقدي الذي أصدره .. نجد أن أبا شادي قد سمى المدرسة التي كونها باسم مميز لها، عرفت به من أول قيامها، وصار علما عليها، وتردد على ألسنة كل الناس هذا الاسم.

وكان أبو شادي يقصد من إنشاء هذه الجماعة أن تكون خاصة بالشعر وللشعر، ويقصد من وراء قيامها النهوض بهذا الفن الأدبي الرفيع، ورعاية الشعراء ماديًا وأدبيًا، وكانت أغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هي:

١- السمو بالشعر العربي، وتوجيه جهود الشعراء توجيهًا شريفًا.

٢- مناصرة النهضة الفنية في عالم الشعر.

٣- ترقية مستوى الشعراء ماديًا وأدبيًا واجتماعيًا، والدفاع عن كرامتهم.

ومركز الجماعة القاهرة، وعضويتها مفتوحة في مصر والعالم العربي، للشعراء خاصة، ولالأدباء ومحبي الأدب عامة، ممن يهمهم تقدم أغراض الجمعية.

وجمعت هذه الجماعة طائفة من أعلام الأدباء والشعراء والنقاد. وجماعات

من شعراء الشباب وأدبانهم، ومن بين أعضائها الكبار:

-أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ - ١٩٥٥).

-أحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٤٥).

-إبراهيم ناجي (١٨٩٨ - ١٩٥٣).

-علي محمود طه (١٩٤٩).

-كامل كيلاني (١٩٥٩).

-د. أحمد ضيف (١٩٤٢).

-د. علي العناني.
-د. أحمد الشايب.
-محمود أبو الوفا.
-حسن كامل الصيرفي.
ثم انضم إليهم:
-مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٩٠٣ - ١٩٨٣).
-صالح جودت (١٩٧٦).
-د. عبد العزيز عتيق.
-د. مختار الوكيل.
-محمود حسن اسماعيل .. وغيرهم.
وتولى أبو شادي أمانة سر هذه الجماعة الأدبية بصفة دائمة، واختير أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) رئيساً لها. وكان حافظ قد توفي قبل ذلك بعدة شهور.
وفي يوم الاثنين العاشر من أكتوبر عام ١٩٣٢ عقدت الجلسة الأولى لها برئاسة شوقي في داره "كرمة ابن هاني" بالجيزة لوضع الأسس العامة لنظامها الإداري والأدبي، ولم يعيش شوقي بعد ذلك إلا أياماً معدودة، إذ توفي فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٣٢م.
وبعد أسبوع كامل من الحزن، اجتمع الأعضاء في يوم السبت الثاني والعشرين من أكتوبر عام ١٩٣٢ في مقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة، واختاروا الشاعر خليل مطران (١٨٧٣ - ١٩٤٩) رئيساً لها.
ومنذ ميلاد هذه الجماعة وهي تصدر مجلة تحمل اسمها، وتنشر أديها، وهي مجلة (أبوللو)، وهي أول مجلة خصصت للشعر ونقده في العالم العربي.
وفي افتتاحية العدد الأول من أعداد المجلة. كتب أبو شادي يقول: إن الشعر من أجل مظاهر الفن، ولم نتردد في أن نخص بهذه المجلة. التي هي الأول من نوعها في العالم العربي، كما لم نتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هي (جمعية أبوللو)، حبا في إحلاله مكانته السامقة الرفيعة وتحقيقاً للتآخي والتعاون بين الشعراء.
وفي صدر العدد شوقية في تحية ميلاد الجماعة والمجلة. ومطلعها:

أبوللو، مرجحاً بك يا أبوللو
فإنك من شعاع الشمس ظل

-٢-

ويختلف الأدباء: هل أبوللو جماعة أو مدرسة، وفي صدر عدد أبريل عام ١٩٣٣ من المجلة، كتب أبو شادي يقول: إن مدرسة أبوللو مدرسة تعاون وإنصاف وإصلاح وتجديد.

وفي عدد فبراير عام ١٩٣٣ يعلن أبو شادي للسر في اختيار اسم إغريقي لهذه الجماعة، بأنه الرغبة في أن تحمل اسماً عالمياً فنياً يلائم صيغتها .. إن أبوللو مدرسة أدبية حقيقية ذات أهداف واضحة، ومضمون متميز.

ولقد كانت هذه المدرسة في تعاون مع (مدرسة البعث)، وفي شبه خصام مع (مدرسة الديوان)، وكان اتجاهها رومانسياً خالصاً، مع التعاون مع المذاهب الأدبية الأخرى بقدر الإمكان.

وأبو شادي مؤسسها ذو ثقافة عالمية واسعة، ويجيد فهم الشعر ومقاييسه فهماً جيداً، وهو أديب وشاعر وناقد، وقد درس الطب في إنجلترا عشر سنين (١٩١٢ - ١٩٢٢).

ومات أبو شادي عن نحو ٩٠ كتاباً، منها ستة وعشرون ديواناً شعرياً وعشر مسرحيات شعرية.

ومن أشهر دواوينه المطبوعة:

-الشفق الباكي (١٩٢٤).

-الشفقة (١٩٣١).

-أشعة وظلال (١٩٣١).

-النبوع (١٩٣٣).

-أطياف الربيع (١٩٣٣).

-عودة الراعي (١٩٤٢).

وله أربعة دواوين مخطوطة هي:

-الإنسان الجديد.

-النبروز الحر.

- أناشيدى.

- إيزيس.

وقد طبع الأولان أخيراً بمعاونة الأستاذ وديع فلسطين.
وله كذلك أربعة دواوين مطبوعة بالإنجليزية، وهى:

- أغاني العدم.

- أغاني السرور والحزن.

- أغاني الحب.

- كيفما تتفق.

ومنذ عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٥، هاجر الشاعر إلى أمريكا، وأقام فى نيويورك حيناً، ثم فى واشنطن حيناً آخر، حتى توفى فى الثانى عشر من أبريل عام ١٩٥٥، ودفن فى مقابر المسلمين فى واشنطن.

- ٣ -

دعا أبو شادى وجماعة (أبوللو) فى الشعر لصدق العاطفة، ووحدة القصيدة، ولذاتية تجربة الشاعر وعمقها.

ودعت (أبوللو) إلى البساطة والصدق وترك التكلف، وإلى الإخاء فى الأدب وإلى أن يكون الأدب تعبيراً عن الذات، وإلى احترام المذاهب والمدارس الأدبية وتعاونها، مع جنوح إلى الرومانسية وميل إليها، وقد كررت الدعوة إلى الطلاقة والأصالة والموهبة، وإلى أن يكون الأسلوب ممثلاً لخصائص صاحبه، كما دعت إلى ظهور الشخصية الأدبية وإلى الحرية الفنية.

وجاء أدب (الأبوللين) ممثلاً لمذهبهم الأدبي تمثيلاً تاماً.

فوجدنا عند إبراهيم ناجى شعر العاطفة الحادة المتقدمة.

وعند على محمود طه شعر الخيال والصور الشعرية الأنيقة.

وعند صالح جودت شعر الروح المصرية بكل تراثها ومقوماتها وأصالتها.

ووجدنا عند الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرى سعة الثقافة وعمقها.

ووضوح الرؤية الشعرية، وتمثل المذهب تمثلاً صحيحاً.

ووجدنا عند حسن كامل الصيرفى روح الحزن والألم. وعندما يقول أنفريد

دى موسيه: الحزن السامى يجعلنا نقدر اللذة، أو عندما يقول أديب فرنسى آخر: إن

الدموع ضرورة للعبقرية، يقول الشاعر حسن كامل الصيرفى:

دموعى كنت آمالاً تمد القلب بالشر

وكانت هذه الأمـ ل كالأنعام فسـ الفجر
وتمثل التيار العاطفي في شعر ناجي وصالح جودت والشابي والتيجاني
بشير .. وسواهم.

ويقال الشعراء الأبولليون في حب الطبيعة، حتى لتصبح عندهم الملاذ
الذي يجدون السكينة في جوارحه، بعيدين عن زيف المدنية وصخبها، وهم لا يقبلون
عليها وأصفين، ولا يصفونها مادحين، إنما يندمجون في روحها، ويمانقونها عناق
الأحباب.

وهذا أبو شادي يفر من عالم الناس إلى دنيا الطبيعة، فيقول من ديوانه
"عودة الراعي":

ورجعت الماء المعربد مستزيدا ما حكاها
ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أساه
وتركت كون الناس في يأس إلى كون سواه
ويقول محمود غنيم:

نبهوني لى السحر .. نبهوني
وضعوني على النهر .. ودعوني
أنسا والماء والشجر .. فى سكون
أمالا السمع والنظر .. بالفتون
ثم أفضى إلى القمر .. بشجوني

وقد تأثر شعراء كثيرون في الشعوب العربية بنزعة أبوللو الرومانسية، وفي
مقدمتهم: الشابي، والتيجاني يوسف بشير. ونقرأ العودة للشاعر ناجي، فتجدها روحا
عذبة عدوية "صلوات في هيكल الحب" للشابي .. وهكذا عرف الأبولليون الشعر.
وقد جدد صالح جودت ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي في الشعر
وموسيقاه تجديدا كبيرا.

والصيرفي شاعر أبوللى كبير، صدر له من أبوللو ديوان "الألحان الضائعة"
عام ١٩٣٤م.

يقول عنه أبو شادي: إنه شاعر مبتدع، جيد الخيال، رومانتيكى النزعة غالبا،
رمرى أحيانا، يمتاز بموسيقته العذبة.
ويوه السحرتي بمعانيه الأصلية في الطبيعة، ويصفه بأنه شاعر سابع في
الخيال.

أبو شادى وديوان النبروز الحر^(١)

- ١ -

النبروز الحر هو الديوان الثانى من مجموعة الأشعار المهجرية الكاملة للشاعر والطبيب الدكتور أبوشادى رالد حركة التجديد الشعرية ومؤسس مدرسة أبولو ومجلتها. وقد قام بتحقيقه ومراجعته والتعليق عليه والإشراف على طبعه، أديب كبير متمكن، كان ولا يزال من مدرسة الشاعر، وله إلمام واسع بكل تراث أبى شادى. وهو الأديب والصحفى المشهور الأستاذ وديع فلسطين.

وقد جمع الشاعر بنفسه قبل وفاته فى واشنطن عام ١٩٥٥ م قصائد هذا الديوان ورتبها ووضع هوامشها واختار للقصائد عنوان "النبروز الحر" بنفسه، وهو عنوان إحدى قصائد الديوان (ص ١٦٤) التى نظمها فى سبتمبر عام ١٩٥٢ فى بدايات الثورة المصرية .. وهذا الديوان فى مجمله يجمع القصائد التى نظمها الشاعر منذ منتصف مارس عام ١٩٥٢ إلى آخر العام نفسه، وهو مقيم فى نيويورك، حيث كان فى السنة السادسة من حياته فى المهجر الأمريكى بعد خروجه من القاهرة عام ١٩٤٦، وهجرته إلى الولايات المتحدة فى العام نفسه.

وقد أصدر أبوشادى فى المهجر ديوانه "من السماء" الذى طبع فى نيويورك عام ١٩٤٩، وكتب عدة دواوين شعرية لم تطبع فى حياته، وصدر منها عام ١٩٨٥ عن ناشر هذا الديوان الذى بين أيدينا "ديوان الإنسان الجديد"، ثم صدر الديوان الثانى من أشعاره المهجرية هذا العام، وهو "النبروز الحر". ويبقى ديوانان من شعر أبى شادى المهجرى، هما: "إيزيس وأناشيدى" وهما مخطوطان، والأمل كبير فى طبعهما فى القريب بفضل الناشرين الكرميين لهذا الديوان، ويجهود الأستاذ الكبير وديع فلسطين، وجهود ابنة الشاعر الأستاذة صفية أبو شادى.

^(١) صدر عام ١٩٨٨ م فى القاهرة فى ٢٨٨ صفحة عن د. "المستقبل".

- أما المرحلة التي كتب فيها الشاعر قصائد هذا الديوان فهي مرحلة حرجة في تاريخ مصر السياسي والوطني، ففي عام ١٩٥٢:
- أحرقت القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢.
 - وقامت الثورة المصرية في يوليو ١٩٥٢.
 - وطرد الملك فاروق من مصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.
 - وحدثت تحولات جذرية في تاريخ مصر السياسي والقومي والاجتماعي.
- وتحمل قصائد هذا الديوان روح تلك الفترة الحاسمة والحرجة في تاريخ وطننا العظيم.
- وقصائد هذا الديوان تنوع إلى قصائد وطنية وقومية واجتماعية وذاتية ووجدانية وإنسانية وإلى شعر تمثيلي وقصصي، وإلى قصائد في الشكوى والحنين إلى الوطن ووصف الطبيعة، وما إلى ذلك كله.
- وتبلغ جملة قصائد الديوان سبعا وسبعين قصيدة ..
- وتختلف موسيقاها الشعرية حسب التجربة التي يتحدث عنها الشاعر والموضوع الذي ينظم فيه، وهي على هذا التنوع:
- ثلاث وعشرون قصيدة من الكامل.
 - اثنتا عشرة قصيدة من كل من بحر البسيط وبحر الخفيف.
 - ست قصائد من مجزوء الكامل.
 - خمس قصائد من بحر الرمل.
 - ثلاث قصائد من كل من مخلع البسيط وبحر الوافر وبحر الرجز.
 - قصيدتان من كل من بحر المتقارب وبحر المجتث.
 - قصيدة من كل مجزوء الرمل وبحر الطويل.
- وهي في جملتها بحور لها غنائيتها وموسيقاها الحلوة.
- ومن قصائد الديوان من الشعر القومي:
- مراكش الدامية.
 - تونس النائرة.

ومن قصائده الوطنية:

-خلع الفاروق.

-إلى أبطال الثورة المصرية.

-أيها الشعب.

-قالت الأحداث.

-التيورور الحر.

ومن القصائد الوجدانية:

-الحسن والفن.

-تصف الحسن.

-الشباب الدائم.

-ماذا تمتحين.

ومن قصائد الديوان: قصيدة بعد ستة أعوام التي رثى فيها زوجته بعد مضي

ستة أعوام على وفاتها (في العام ١٩٤٦).

وهكذا تمضي قصائد الديوان تحمل الأمل والبشر حياء، واليأس والألم

والشكوى حياء آخر، من مثل قصائد: غنى، نفيان، دموعي.

الشعر عند الشاعر معنى قبل أن يكون لفظاً، وفكراً قبل أن يكون أسلوباً،

تجارب الشاعر كثيرة، وأناشيده التي تعبر عن تجاربه عديدة، وآماله وطموحه وصور

حياته لا يمكن حصرها أو استيعابها.

الأسلوب عند الشاعر هو أداء للفكرة أو التجربة. وهو بقدر المعنى لا يريد

عنه ولا ينقص.

ولاكتنار فكر الشاعر بالمعاني الجديدة ربما جاء أسلوبه في بعض الأحيان

عمسراً في أداء ما يريد أداءه من معان ومن أفكار عميقة وجديدة معاً.

(٣)

لعمراً للدكتور أبي شادي في "التيورور الحر من قصيدته "بعد ستة أعوام"

حيث يذكر بكل وفاء روحه التي لمبت أحلها عام ١٩٤٦م:

لو كان يرجم ما فقدت نكائي

لرجعت لي بحمالك الوضاء

غيبست عني والحياة كلها
ظماً يطول ولا يبيل ظمائي
لم يبق لي في وحدتي غير الأسى
والياس من أهلي ومن خلصائي
ماذا أقول في هذه القصيدة الإنسانية الرائعة في "رثاء الزوجة" منذ ستة
أعوام من وفاتها، وكان الشاعر قد رثاها بقصيدة مماثلة من أروع شعر المرثي للزوجة،
وهي إحدى قصائد ديوانه "من السماء".
القصيدة تبلغ أربعة وأربعين بيتاً وهي تحمل أجمل قيم الوفاء للزوجة
راحلة، ولن يلمس جمال هذه القصيدة إلا شاعر تكب بوفاة زوجته - وقد عانيت ولا
زلت أعاني هذه التجربة المريرة، وفي قصيدة لي كتبتها بعد وفاة زوجتي ستة شهور
لا بستة أعوام أقول:

نصف عام مضى، مضى يا حبيبي
أنا فيه في وحدتي كالغريب
نصف عام أو نصف قرن سواء
الأسى فيه والشجا من نصيبي
كنت لي مؤثماً، وكنت ضياء
لظلامتي، وإلف عشي الجديب
أي شيء لي يا حياتي يبقى
بعدكم غير عبرتي ونحيبي
ليس لي في الدنيا سوى الألم الدا
مي سوى الذكرى ثم عشي الكتيب
كنت سلواي في هجير حياتي
وأنا أسعى للمنى في الدروب
مضت الأيام الجميلة وأهـا
لندي، وأهـا للزمان الرهيب

يا فؤادى الحلم الحميل انتهى والد
أمل الدانى صار غير قريب
لست أدري ماذا الصنيع وقلبي
يشكى من لفح اللظى واللهيب
غابت الحلوة الرفيقة غابت
ونهايات شمسنا للمغيب
كان حلمًا قد ضاع منى وذكرًا
ه تنادينى فى الضحى والغروب
وبيومى وفى غدى سوف أحيا
فى رؤى أمسى، فى صداه الحبيب
وكانما كان القدر يضع مشابهاً كبيرة بين أحداث متشابهة فى حياتى وفى
حياة أبى شادى.

(٤)

ولنعد إلى قصيدة "النيروز الحر" التى سمى الديوان باسمها:
نظم الشاعر فى مهجره بالعالم الجديد هذه القصيدة، التى تشع بالفرحة
وبالحنين إلى وطنه الأول "مصر"، كما تشع بأطيب الأمنيات لها فى عهدها الجديد،
وفيهما بث الشاعر طائفة من خواطره الوطنية، ومن أحلامه، والقصيدة من بحر
الكمال. وتبلغ أربعة عشر بيتًا، يقول الشاعر منها:
بوركت يا وطنى العزيز محرراً
سمخاً، وفى كل القلوب حيناً
لو أستطيع بعثت من ضحك الضحى
كزاً، ومن لهف الغروب سينا
لو أستطيع بذلت أضعاف الذى
حملت فى إشارى التعديس
لو أستطيع غسلت راحة دوركم
بمدامعى، ورشتها تطيبها

لو أستطيع هربت من شيخوختي
ورجعت أرفل في الشباب قشيبًا
لو أستطيع سبكت للنيروز من
شغفي ضياء طاهرا ولهيبًا
ويختمها بقوله:
لو أستطيع لطرت فوق خواطري
حتى أقبل ماهرًا ونجيًا
والقصيدة نغم جميل، ووطنية دافقة، وحنين دافق إلى الوطن الأم .. إنها
قصة إنسانية جديرة بأن يسمى باسمها الديوان.

(٥)

أذكر هنا قصيدته الجميلة "إلى أبطال الثورة المصرية" أم نذكر قصيدته
"أيها الشعب"؟ أم نذكر عشرات القصائد الجميلة، الفريدة في شعرنا المعاصر، التي
تمثل فكرا رومانسيًا مستغرقًا في النشوة والخيال والنغم واللحن والصورة والتجربة
والحنين والأنين.
والتي تمثل تجديد الرومانسيين الحالمين، المستغرقين في نشوتهم مع
الحب والجمال والطبيعة والكون الفسيح، ومع الشعور بالغربة والحرب الخفية
والمعلنة، ومع القلق والهموم والأحزان، ومع التفاؤل والبسمة والأمل يطيف بالشاعر
على الرغم من آلامه وأشجانه.
إن هذا الشعر العمودي في جملته، الجديد في فكره ومضمونه، الناثر في
روحه ونغمه، المتقد باللهب في ثورته وغنقه وعشقه للحرية ورفضه للقيود، هذا الشعر
يصور أبا شاذي في حياته في المهجر وهو في الستين من عمره، يجاهد ويكافح من
أجل وطنه وشعبه، وهذا الشعر يعلن عن نفسه في كبرياء، ويلج في ثورته على كل
صور الأحداث والظلمة القاسية النكراء .. ليقول للجيل بلغة شاعر أصيل:
كونوا للوطن المنقذ والحامي، والبانى، والمجدد نهضته ولحضارته
ولسيادته، ولتاريخه المجيد العريق، تكن له الحياة، ويكن لكم المجد والخلود.

ناجى .. والشعر الغنائى

أهم خصائص الشاعر الغنائى - كما يقول النقاد - أن يعبر لنا فى تجربته الفنية عن لحظة حادة من اللحظات، أو يعبر عن شىء مرئى فى غير تفصيل ولا تعليق، يقيد اللحظة الهاربة ويثبتها ويعرب عن لمحات شروده وعجبه ودهشة نفسه، فى موسيقية سابقة متماوجة.

فاصول الفن الغنائى هى: التجربة العميقة الموحية، والذاتية المعبرة الملهمة، والموسيقى الشعرية المتدفقة بالحياة والحركة والتصوير، يضاف إلى ذلك: شعور الشاعر بشخصيته المائلة فى ذهن القارئ والسامع، والأسلوب الشعرى الذى يصور فيه الغنائى، بما يشتمل عليه هذا الأسلوب من خيال وتناسب وتخير فنى للألفاظ والتعبير ووحدة واضحة فى القصيد.

والتجربة الشعرية فى فن ناجى الغنائى قوية عالية، وإنه ليلغ فى أحيان كثيرة غاية التوفيق فى التعابير عن مشاعره وعواطفه، تعبيراً حياً صادقاً، ولعله كان يشير إلى ذلك فى قوله عن الشعر:

إنما الشعر مزهر

قد حكى قصة الأمم

وبأوتار المنى

تنلأق وتزدحم

هو ناي مرجع

لشجى وما كتم

هو أنشودة الحيا

ة، وفيض من النغم

هو آهات شاعر

عرف الحبيب والألم

ويقول ناجي في مقدمة ديوانه "ليالي القاهرة": "الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة، وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد، هو الهواء الذي أتفسه، وهو البلم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة". ومما أعان على وضوح التجربة الفنية في شعره أنه كان لا يعرف الزيف في الشعور، ولا التقليد في العاطفة، فلم يستمد إحساسه بالجمال من إحساس شاعر سواه. وانظر كيف يجيد ناجي في غزله المواءمة بين تجربته وصياغته، وكيف ينقل تجربته إلى الأذهان نقلاً حياً خصباً مؤثراً، حتى ليخلق هذه التجربة في عقولنا، فنرى ما يراه، وتتأثر بما تأثر به، ونبكي معه حين يبكي لأنه ليس شاعراً وصافاً فحسب. استمع إليه وهو يقول من "ملحمة الأطلال":

أعطني حريتي، اطلق يدي
إنني أعطيت ما استيقيت شي
آه من قيدك أدمى معصمي
لم أبقيه؟ وما أبقى على
ما احتفاظي بعهود لم تصنها
وآلام الأسر والدنيا لدى!
ها أنا جفت دموعي فاعف عنها
إنها قبلتك لم تبذل لحبي
وهب الطائر عن عشك طاراً
جفت الفدران والثلج أغاراً
هذه الدنيا قلوب حمدت
خبث الشعلة والجمر تواري
وإذا ما قبس القلب شدا
من رماد لا تسله كيف صار!
لا تسل واذكر عذاب المصطفى
وهو يدكه فلا يقس ناراً

يا حبيبي كل شيء بقضاء
ما بأيدنا خلقنا تعاء
ربما نجمعنا أقدارنا
ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خلقه
وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته
لا تقل شئنا، وقل: الحظ شاء

فهنا تجد شتى عناصر الفن الغنائي كاملة قوية جياشة بالروح والحياة.
وإذا ما تميزت القصيدة الغنائية أو الوجدانية بالموسيقى المنفعلة المؤثرة؛
فإننا نلمح أثر ذلك في فن ناجي الغنائي، كما في قصيدة العود وسواها، حيث
نجد أصواتاً من الموسيقى الحادة، تتميز بالتنوع حيناً وبالوحدة حيناً آخر، والقاد
يرون توحيد النغم الموسيقي في القصيدة خيراً من لوعه. ولكن لا ضير على الشاعر
عند الكثيرين من اختلاف نغم موسيقاه في القبض والسرعة، ومدى الارتفاع
والانفعال كما فعل ناجي في "العودة" التي تعد من آيات عبقريته وموهبته الخلاقة.
وتذكرنا موسيقى ناجي الغنائية البديعة بموسيقى قديمة لشاعرين من أشهر
شعراء العربية في القديم: مهيار والشريف الرضي. فإذا ما قرأنا شعرهما صعدنا إلى جو
شبه بالجو الذي عشنا فيه مع شاعرنا إبراهيم ناجي، مما تشعر معه بمقدرة الشاعر
العربي على تنعيم الألفاظ، وتلحين الأساليب، واتخاذ مادة شعره من الغناء
والموسيقى، وإن كانت هذه المقدرة وفقاً على قليل من أعلام الشعر العربي في
القديم والحديث، وقد تأثر بموسيقى ناجي كثير من الشعراء العرب، ومن بينهم
الشاعر الحجازي أحمد عبد الغفور عطار في ديوانه: "الهوى والشباب".
ومن وراء هذين العنصرين القويين في فن ناجي الغنائي: "التجربة
الشعرية: والموسيقى المنفعلة، نلمح شخصيته القوية المائلة وذاتية المعبرة
المستلهمة في وضوح وجلاء .. اسمع إليه وهو يقول:
ذهب العمر هباءً فإلهي
لم يكن وعيدك إلا شبحاً

صفحة قد ذهب الدهر بها
أثبت الحب عليها ومحا
انظري ضحكي ورقصى فرحا
وأنا أحمل قلبا ذبحا
كنت تمثال خيالي فهو
المقادير أراذلي لا يدي
ويحها لم تدر ماذا حطمت
حطمت تاجي، وهدت معبد

والقارئ يحس عندما يقرأ تاجي أنه يرسم صورة الشعرية بوضوح شديد حتى
لنرى ما يرسمه مرأى العيان، فكل كلمة في القصيدة تمثل صورة أو تكمليها. والكلمة
عنده لا تؤدي معنى، وإنما ترسم صورة متحركة أخاذة، وكأنك في دار للسينما
تشاهد هذه الصورة المتحركة وتراها، وتسمع أصواتها وضجيج حركتها، أقرأ لتاجي
قصيدته المرفقة: "رسائل مختربة" التي يقول فيها:

ذوت الصابرة وانطوت
وفرغت من آلامها
لكنني ألقى المنى
يا من بقايا جامها
عادت إلى الذكرى
ت بحثها وزحامها
في ليلة ليلاء أر
قنى عصيب ظلامها
هدأت رسائل حبها
كالطفل في أحلامها
أشعلت فيها النار تر
على في عزيز حطامها
تفتال قصة حبنا
من بدنها لختامها

أحرقتنها ورميت قلبى

جسى فى صميم صراىها

فسوف تعرف الشاعر فى وضوح، وسترى شخصيته ماثلة للعيان ممثلة فى الأذهان .. وتطالعنا شخصية الشاعر كذلك بوضوح فى غير قصائد الغزل. استمع إليه وهو يقول:

قد ينام التراث جيلا فجيلا

غافيا فى مجاهل خرساء

وتنام الروح العريقة فى المجـ

د لتبدو فى طلعة سمراء

فتراها مصرية السمـ والقو

ة والعزم والحجـ والمضاء

قسما قد غفا الجلال ليصحو

من جديد فى وجهك الوضاء

فسوف تدرك كيف أحسنا بالشاعر نفسه، وكيف نقف أمام شخصيته القوية المهيمنة، متأملين متعجبين، ومن قصيدة له أنشدها فى فبراير ١٩٤٧ حين وقف الشاعر فى مدينة الزقازيق ينشد قصيدة له فى مهرجان نظمته جامعة أدباء العروبة يقول:

يا أمة نبئت فيها البطولات

لا مصـ هانت ولا الأبطال قد ماتوا

ما يبرح المجد يدعونا فنتبعه

كما تطير إلى السار الفراشات

أين الغزاة الألىء مروا بنا زمرا

وأيسن بالله تيجان ودولات

طافوا البقاع فلما حل رحلهمو

بمصر لم يصبحوا فيها كما باتوا

كأن صخرة أقدار تحطمهم
وما من القدر المحتوم إفلات
مروا ومصر على التاريخ باقية
كصفحة حولها للنور هالات
ثم يذكر حظ مصر العائر في معركة التل الكبير، وجهاد أبطالها: عرابي
ورفاقه الأحرار، ممجداً مكرما، حتى يقول:
يا قلة أخفقت لكنها طلعت
كأنها في جبين النيل مشكاة
النيل جبل ونحن العقد متصلا
جباته، كيف تدرى منه جبات
الشرق سحر وأرواح معطرة
كأنها من جنان الخلد نفحات
إن العروبة ظل الله فانتلقوا
تظلكم بالغايات السموات
هذا هو ناجي في صوره وفي شعره، وقد كان يعرف الشعر بأنه موسيقى
وصور وإقناع وخيال، ولا يعنى ناجي من الخيال إيراد التشبيه والمجاز والاستعارة
والكناية وما إليها، وإن كانت هذه هي أهم أدوات الخيال، وإنما كان يريد للشاعر
حين يتخيل، أن يطلق نفسه للتصورات العالية في شتى مرائي الحياة، ومن صور
الخيال في شعره قوله:
يا من أحب وافتدى
ويلذي فيسه الأثم
لك حسن أنوار الخميم
لك طلل صباحا فابتسم
لك نظرة الفجر الجميم
لك على الروابي والقمم

وقوله كذلك:

لا القوم راحوا بأخبار ولا جاءوا
ولا لقلبك عن ليلاك أيباء
جفا الريح ليالينا وغادرها
وأقفر الروض لا ظل ولا ماء

وقوله:

نمشى وقد طال الطريق بنا
ونود لو نمشى إلى الأمد
ونود لو خلت الحياة لنا
كطريقنا وغدت بلا أحد
ومن صورته الخيالية الطريفة قوله:
مر يومى كأمسه، وأتى ليل
بهيج ترف فيه السماء
قد جلت فيه عرسها، كل نجم
قدح يستحم فيه الضياء

ولنه ليبلغ فن الشاعر الغنائى منزلة عالية من الجودة فى ملحمة الأطلال،
التي اختار لها وزنا غنائيا، هو بحر الرمل الذي اختاره كذلك لتصيدته "العودة"، وأما
ملحمته "ليالى القاهرة" فهي متعددة الأوزان والقوافي، وأروع ما فيها الليلة
السادسة، التي يقص فيها الشاعر قصة لقاء، فى ظلام ليالى القاهرة، أبان الحرب
العالمية الثانية.

ونؤكد هنا أن إبراهيم ناجى يتفوق فى فنه الغنائى على شعرائنا المعاصرين
اليوم تفوقا ظاهرا، وهو فى موسيقاه يتفوق كذلك تفوقا ملموسا على إيليا أبى ماضى
وغيره، إنه يمثل الشخصية المصرية الشاعرة، والروح الغنائية الفريدة فى شعب مصر
تمام التمثيل.

صالح جودت
(٧ ديسمبر ١٩١٢ - ٢٣ يونيو ١٩٧٦)

(١)

عاش صالح جودت في رحاب الشعر قريبا من نصف قرن، وعرف منذ مطلع حياته الشعرية بأنه شاعر رومانسي النزعة، وجداني التجربة، له غنائته الجميلة، وموسيقاه الحلوة، وحواره العذب، ولغته الشاعرة الأنيقة، التي تمثل في بساطتها وعدوتها لغة الشعب العالية.

ولقد كان واحدا من أعلام مدرسة أبوللو الشعرية، وكان مولده في الزقازيق في ٧ ديسمبر ١٩١٢، وفي مرحلة تعليمه الثانوي بمدرسة المنصورة الثانوية تعرف بزملائه: الهمشري، ومختار الوكيل (الدكتور)، وبالشاعرين ناجي، وعلى محمود طه، وبدأت شاعريته ومواهبه في الشعر التي غداها قراءاته الواسعة، وانتماؤه إلى أبوللو، والتقاؤه في رحابها بأعلام الشعر.

وكانت رحلته الأولى في الحياة بعد تخرجه من كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٣٧م، هي عمله في الصحافة وفي الإذاعة وشارك فيما بعد في كل مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر التي عقدت في القاهرة وفي مختلف العواصم العربية، كما شارك في مؤتمرات إسلامية وثقافية كثيرة. ومثل مصر في مهرجان لبنان لذكرى مطران، وفي حفل تكريم الأخطل الصغير في بيروت (١٩٦١م). وفي حفل إزاحة الستار عن تمثال العالم اللغوي عيسى إسكندر المعلوف، وقام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب سجلها في كتابه "قلم طائر".

ونال جائزة شوقي وجائزة الدولة في الشعر عام ١٩٥٨ عن ديوانه "ليالي الهرم". ورشح قبل وفاته بقليل للجائزة التقديرية. ومنذ سبتمبر ١٩٧٣ صار مقرا للجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب، فحل محل العقاد وعزيز أباظة. وصار ثالث مقرر لها على امتداد أيامها.

وشغل عضوية كثير من الجمعيات الأدبية والفنية:

-نادى القصة - جمعية الأدباء - مجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب - مجلس إدارة صندوق معاشات الفنانين والأدباء - لجنة الرقابة على المصنفات الفنية - لجنة النصوص بالإذاعة - وشغل نائب رئيس مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين مع صديقه محمد عبد الوهاب.

كما شغل منصب:

مراقب البرامج الثقافية في الإذاعة، ومدير إذاعة صوت العرب، ورئيس تحرير مجلة الإذاعة، ومدير لتحرير المصور، ورئيس تحرير له، ولمجلة الهلال، ونائب رئيس مجلس الإدارة بدار الهلال.

ويقص صالح قصته في أندية الأدب الليلية في القاهرة، وقصة رفقائه فيها ممن صاروا أشهر أبناء المدرسة الحديثة، في الأدب يومئذ: محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، وأحمد رامى، وإبراهيم المصرى، ود. حسين فوزى، وعلى أدهم، ومحمود طاهر لاشين، وسواهم. كما يذكر انتماءه إلى مدرسة أبوللو الشعرية منذ قيامها عام ١٩٣٢م وكان معه فيها: على محمود طه، وزكى مبارك، وحسن كامل الصيرفى، ومحمد الهمشرى، ومحمود أبو الوفا، وغيرهم^(١). وكانت أبوللو كثيرة الخصومات^(٢)، ويرجح جودت أن يطلق على أبوللو جماعة لا مدرسة^(٣)، ويستدل على ذلك برأى للدكتور محمد مندور^(٤)، وفي الحق أنها كانت مدرسة متكاملة البناء الأدبى، فلها مذهبها ونظرياتها وأفكارها واتجاهاتها الخاصة^(٥)، ويؤيد ذلك الناقد مصطفى السحرى^(٦)، كما قرره أبو شادى في مجلته أبوللو أيضا.

^(١) ص ٦٤ ناجى، ص ١٢ بلال.

^(٢) ص ٧٧ ناجى.

^(٣) ص ١٣٩ ناجى.

^(٤) ص ١٤٠ نفس المرجع..

^(٥) وقد أيدت ذلك فى أكثر من موضع، راجع ص ١٠٠ "مدرسة أبوللو الشعرية".

^(٦) ٨ و ١٣ مدرسة أبوللو الشعرية.

وتأثر جودت فوق ذلك كله هو وناجى بالمدارس الأدبية الجديدة في
الأدب الغربي^(١).

وثلاثية صالح جودت الجليلة المقدسة التي تشمل:

١- في رحاب الكعبة.

٢- في رحاب المدينة المنورة.

٣- في رحاب القدس.

فيها كل خصائص موسيقى صالح جودت بما يجلبها من خيال وعاطفة
وتجربة عميقة .. وهذه الثلاثية في صدر ديوان "الله والنيل .. والحب" وهي من
أوزان متعددة: فالنشد الأول من المتقارب، والثاني من الرمل، والثالث من السريع.
والثلاثية مشهورة، وقد غنتها أم كلثوم، وتمتاز بأعذب نغم موسيقى عرف في قصيدة
معاصرة، وقد أفرغ فيها الشاعر كل رؤاه الشعرية وغنائينه الحلوة في ألحان من الشعر
والسحر معا.

وقصيدة صالح "على النيل" من ديوان "الله والنيل والحب" .. معجزة فنية
أخرى. يقول فيها الشاعر:

وجاءت "ضحى" لأبى تشتكى
فقلت: فتاك طويل اليدى
رأى على النيل عند الغروب
فمر ولم يفرح لى حرمين
دموع الأنوثة ظمآنه
وذلل العواطف حتى اكتوبن
فمرت إليه فناديته
فأغلق دون الهوى المسمعين
فأدر كتبه فتجنسى على
وذوب قلبى فى نظرتين
ولكن نهدي همسا به
فمهما فغدا بين بين

^(١) ص ١٤٦ ناجى.

فأمكنك شكري بكلنا يدي
فطالعك ذهب في لجين
وملئت عليه فأغريته
فتجنسى .. فقبلته مرتين
فما نكني فتنيت الشفاه
فبادلتني قبلة العاشقين
فقال أبى وهو فى حيرة
حببت فتأى طوبى الديدن
فقلت: أجل أنه ضمنى
وقبلنى فى فمى بعد ابن
أترضى يقبلنى قبلة
وقد كنت أطمع فى قبلتين

معجزة فنية فى لوحة رائعة، تتجمع فيها الموسيقى والحوار واللغة المبسطة والأمثلة الشعبية والمفاجآت، ليكمل ذلك كله منها أغنية رائعة .. وأنظر إلى هذه العذوبة فى موسيقى الشعر، البحر والقافية والإيقاع، كل ذلك يفوق حد الجمال، ولا شك أن الشاعر يقف هنا مع الأخطل الصغير ومع الشاعر القروى فى قمة الإبداع، ولكنها الأصالة عند شاعرنا التى تنأى به عن التقليد:

وماذا أقول فى قصائد كثيرة لصالح جودة تصلح كل منها شاهداً على حلاوة موسيقاه وعذوبة أنغامه.

وقصيدته "قاهرتى"^(١) و "أنشودة" القاهرة"^(٢). فهما الوطنية العميقة التى تزيد موسيقاه حلاوة، ثم قصيدته "حكاية فى الحى"^(٣) التى تتجمع فيها الموسيقى والحوار وغرابة الخيال وجمال الصورة، مما جعل منها عزفاً موسيقياً هاماً .. وقد ولد شاعرنا الخالد فى السابع من ديسمبر عام ١٩١٢م بالزقازيق. وأتم تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية. وفيها التقى بزملائه: محمد الهمشرى،

(١) ٦٤ من ديوان "الله والنيل والحب".

(٢) ص ٨٩ الديوان.

(٣) ص ١٦٩ الديوان نفسه.

ومختار الوكيل. وفي المنصورة تعرف بالشاعرين المرحومين إبراهيم ناجي، وعلى محمود طه.

ثم دخل كلية التجارة بجامعة القاهرة، وكان في طليعة الناجحين في قسم العلوم السياسية عام ١٩٣٧ والتحق بقسم الدراسات العليا للعلوم السياسية، فحصل على الماجستير عام ١٩٤٩م، وكان أول الناجحين.

كما درس النظم السياسية في معهد سكرتارية الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٥٩م، وحصل على دبلومة بتقدير ممتاز.

وشغل وظائف إدارية عدة، منها:

-مديرا للدعاية ببنك مصر وشركاته.

-ومحررا بجريدة الأهرام.

-ومديرا لتحرير المصور.

-ثم رئيس تحرير لمجلة الاثنين.

-ورئيس تحرير المصور.

-ونائب رئيس مجلس الإدارة بدار الهلال، ثم رئيسا لها.

-ورئيس تحرير لمجلة الهلال وكتاب وروايات الهلال.

وفي الإذاعة عمل مديرا للأحاديث - ومراقبا للبرامج الثقافية.

ومديرا لإذاعة صوت العرب - ورئيس تحرير لمجلة الإذاعة.

وفي المجال الأدبي كان واحدا من أعضاء جمعية أبوللو، وكتب في مجلتها، ونشر شعره فيها، وعن الجمعية صدر أول دواوينه وهو ديوان صالح جودت عام ١٩٣٤ - وشارك في مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر التي عقدت في مختلف العواصم العربية والمدن التاريخية: كالقاهرة والإسكندرية وغزة ودمشق وبيروت وبغداد وتونس والجزائر.

وشارك في كثير من المؤتمرات كالملتقى الإسلامي في الجزائر الذي عقد في جنيف عام ١٩٧٣م. وكالأسبوع الثقافي الألماني الذي عقد في ألمانيا في صيف عام ١٩٧٤م.

ومثل مصر في مهرجانات عربية كبرى: كالمهرجان الذي أقيم في لبنان لذكرى الشاعر خليل مطران، وكحفل تكريم الأخطل الصغير الذي أقيم في بيروت عام ١٩٦١م، وكحفل إزاحة الستار عن تمثال العالم اللغوي عيسى إسكندر المعلوف.

وقام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب، مما ترك في نفسه انطباعات عميقة سجلها في كتابه "قلم طائر".
وقد أفاده كل ذلك تنوع ثقافة، واتساع معرفة، وتمكنا من اللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية.

وكان من الرعيل الأول الذين فازوا بجوائز الدولة منذ إنشائها، فكان أول الفائزين في الشعر عام ١٩٥٨م عن ديوانه "ليالي الهرم" ورشح قبل وفاته لجائزة الدولة التقديرية في الشعر وذلك في السابع من نوفمبر عام ١٩٧٤م.
ومنذ سبتمبر ١٩٧٣م صاروا مقررا للجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب، فحل بذلك محل العقاد وعزيز أباظة، وصار ثالث مقرر لها على امتداد أيامها.

وإلى جانب عضويته بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية واختياره مقررا للجنة الشعر فيه منذ عام ١٩٧٣م حتى وفاته، كان عضوا في نادي القصة، ومجلس إدارة جمعية الأدباء، ومجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب، ومجلس إدارة صندوق معاشات الفنانين والأدباء، ولجنة الرقابة على المصنفات الفنية. كما كان نائب رئيس مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين.

وبالإضافة إلى مكانته المرموقة في الشعر، كان كاتباً ممتازاً من كتاب السير والتراجم، ويتجلى ذلك في كتبه عن أحمد فتحي شاعر الكرنك، والهمشري، وناجي، كما يتجلى في كتابه "بلايل من الشرق" الذي كشف فيه الستار عن نواح مجهولة لطائفة من الشعراء المعاصرين، كما كان كاتباً مجوداً في القصة، غابته في قصصه الإصلاح الاجتماعي ويتحاشى فيها الإثارة والجنس.

وتمتاز كتابته الصحفية بالصراحة والإنصاف وبإصابة الهدف، وبالرغبة في تشجيع المواهب. وتمثل مقالاته في الهلال التي كان ينشرها بعنوان "رحلة الشهر"، ومقالاته الأسبوعية في المصور لونا جديداً منصفاً من الكتابة الفنية.
وتبلغ مؤلفات الشاعر نحو الثلاثين في مختلف فنون الأدب:

فله ستة دواوين مطبوعة، هي:

- ١- ديوان صالح جودت - نشر جماعة أبولو عام ١٩٣٤م.
- ٢- ليالي الهرم - نشر حسن إيراني عام ١٩٥٧م.
- ٣- أغنيات على النيل - مكتبة مصر عام ١٩٦٢م.

- ٤- حكايات قلب - نشر دار المعارف عام ١٩٦٥ م.
 ٥- ألحان مصرية - نشر مؤسسة التأليف والنشر عام ١٩٦٨ م.
 ٦- الله والنيل والحب - نشر الهيئة العامة للكتاب.
 وله نحو ثلاثمائة أغنية للإذاعة والتلفزيون والسينما، مكتوبة بالفصحى إلا القليل مما كتبه بالزجل، ومن غنى شعره: أم كلثوم، وعبد الوهاب، ونجاة الصغيرة، وليلى مراد، وفايزة أحمد، ونور الهدى، وكارم محمود، وعقيلة راتب وإبراهيم حمودة.
 وله مسرحية شيرين قدمها مسرح أوبرا ملك، ومسرحية روميو وجوليت لشكسبير.

وفي القصة القصيرة له خمس كتب هي:

- ١- في فندق الله - نشر الكتاب الفننى القضى.
 ٢- كلنا خطايا - نشر مكتبة النهضة عام ١٩٥٧ م.
 ٣- كلام الناس - نشر دار الهلال عام ١٩٥٩ م.
 ٤- خائفة من السماء - نشر المكتب التجارى بلبان.
 ٥- أولاد الحلال - نشر كتاب اليوم.

وفي الرواية له:

- ١- بيت أفندينا - نشر مكتبة النهضة.
 ٢- عودى إلى البيت - نشر حسن إبرانى.
 ٣- وداعاً أيها الليل - نشر مكتبة مصر.
 ٤- الشباك - نشر دار الهلال.
 وفي أدب الرحلات له كتابان:
 ١- أساطير وحواديت - نشر مؤسسة التأليف والنشر.
 ٢- قلم طائر.

وفي التراجم الأدبية له ستة كتب هي:

- ١- ناجى حياته وشعره - نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب.
 ٢- ملوك وصعاليك - نشر مكتبة النهضة ١٩٥٩ م.
 ٣- الهمشرى حياته وشعره - نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٥٩ م.
 ٤- شعر المجنون - نشر دار الهلال عام ١٩٧٢ م.

- ٥- أحمد فتحى حياته وشعره - نشر دار الهلال.
- ٦- بلايل من الشرق - نشر دار المعارف عام ١٩٧٣م.
- و جمع وحقق ثلاثة دواوين هي:
- ١- ديوان ناجى - نشر وزارة الثقافة عام ١٩٦١م.
- ٢- ديوان الهمشوى - الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٧٤م.
- ٣- ديوان أحمد فتحى - تحت الطبع بالمجلس الأعلى للفنون والآداب.
- وكتب للسيتما عشرات من القصص وترجم أربعة كتب هي:
- ١- الأفق المفقود تأليف جيمس هيلتون وقد نشر فى جريدة الصباح.
- ٢- العجوز والبحر، تأليف أرنست همنجواى - نشر دار الهلال عام ١٩٧٣م.
- ٣- مصرى فى أيرلنده للدكتور إبراهيم رشاد - وقد نشرته دار الهلال عام ١٩٧٣م.
- ٤- سيدتى الجميلة - تأليف آن ليرنر.

حسن كامل الصيرفي
٦ سبتمبر ١٩٠٨ - ٢٠ مايو ١٩٨٤

-١-

نلمس خصائص شاعرية "الصيرفي" في شعره واضحة بارزة، يقول حسن

كامل الصيرفي " يخاطب الشباب:

إلى الأمام خطوة	فخطوة وأقـدم
من لم يكن شعاره	"إلى الأمام" يهزم
إلى الأمام فالحياة	ة ساحة التقـدم
العمر فيها مـرع	إلى سكون العـدم

وكل من لم يخط فيها خطوة يحطم

وكل من لم يـبن	فيها أثـرا يهـدم
إلى الأمام إنما الفوز	لمن لم يحجـم ..

فتجد ملامح شاعرية واضحة في ألفاظه وأسلوبه ومعانيه وخياله وانسجام

تفكيره؛ ووحدة أبياته الشعرية والشعرية ..

ويرثي الصيرفي أبا القاسم الشابي بقصيدته:

أيها المتعصب الذي	حطم الناي واستراح
أيها الشاعر الذي	ضاق بالمشرع المتاح
أرهق الجسم ثائر	بمين جنبه لا يـراح
لم يـمع صدره	لم تجد فيه من يـراح
حطمتـه بعنفـها	وهي مشبوبة الطماح
عشت تشدو لعالم	قند تلهي بكأس راح
الأعاصير لهـوه	وأغـاريدـه الريـاح

والصيرفي مجيد في الرثاء والألم والشكوى ووصف العواطف والمشاعر

والأحاسيس النفسية الدقيقة. وفي الرموز الرقيقة المعبرة. والأوصاف الدقيقة. ويجمع

شعره بين السلاسة والتعبير القوى والفكرة العميقة، وبينه الشعري يجمع صوراً كثيرة متلاحمة مصبوغة في قالب شعري جميل، مع البراعة النادرة في رسم الصور والظلال، وتوشيتها بألوان ساحرة من الخيال، وإضافة التفاصيل الساحرة التي تنم عن فطنة بارعة، وذهن خصب، وملكة نادرة مصورة.

ويشيد السحرتي برمزيات الصيرفي^(١)، وبتجربته الشعرية في قصيدته "التضحية"^(٢)، حيث يقول:

هنا في هبكل الحب

أحقر مبدءاً الفرد

ويقول منها:

أجل الناس من يظما

ليرضى الظامىء الجائع

ويذكر تجربته الشعرية المختلطة بتجارب باطنية أخرى في قصيدته "غروب

شمس"^(٣) التي رثى بها أخته، ويقول منها:

رؤى الدنيا كواذب خادعات

وقد صبغت بألوان كذاب

ومنها:

مضت بالأولين وسوف تمضى

بنا وبغيرنا من كل باب

نعيش وحولنا أهل وصحب

وتحن من الحياة على اغتراب^(٤)

(١) م. الشعر المعاصر.

(٢) م ٧٨ الأبحان الطائفة.

(٣) المقتطف عدد أبريل سنة ١٩٤٧، والرسالة عدد ١٠ مارس سنة ١٩٤٧ م.

(٤) ٤ الشعر المعاصر.

ويذكر أسلوب الصيرفي الأثير الهفاهف^(١)، ونزعت الانطوائية التي جعلت الشاعر يختار موضوعات الشعر من نفسه^(٢). وموسيقاه التي توائم الموضوع الشعري في قصيدته "تعالى ورائي"^(٣)، وبعض قوافيه المزدوجة مع تنويع البحر^(٤)، كما في قصيدته القبلية^(٥)، ويشير إلى رمزية الصيرفي التي قصرها على الترتيم الموسيقي الأسر^(٦)، وإلى قصيدته "السحابة المغفرة"^(٧) التي رمز بها إلى أحد المغترين^(٨)، وإلى قصيدته، وحدة العمر^(٩):

ستختلف الحياة أمام عيني

تمر طيوفها وتغيب عني^(١٠)

وقد عرض مؤلف كتاب "سمير الأدباء" للصيرفي وشاعريته، ووصفه بأنه "شاعر فياض الشاعرية المستوحاة من الحياة، وكما توحى إليه أغاني الربيع، وجفاء الطبيعة، ووحدة المشاعر في قصائده. وكما توحى إليه اللفيفة، ويوحى إليه المصباح، فهو شاعر في بيانه، في حياته، في خلقه .. وهو بطبيعته الهادئة الساكنة من غير هذا العالم"^(١١).

(١) ٦٨ المرجع.

(٢) ٦٩ المرجع.

(٣) ١١٦ المرجع.

(٤) ١٣٠ المرجع.

(٥) ديوان الشروق.

(٦) الشعر المعاصر.

(٧) ٤٣ الأبحان الضائعة.

(٨) ١٣١ الشعر المعاصر.

(٩) ٦١ ديوان الشروق.

(١٠) ٣١ الشعر المعاصر.

(١١) ص ٤٩ سمير الأدباء - مطبع بالمينا.

ولقد ولد الشاعر في ٦ سبتمبر سنة ١٩٠٨، وبدأ ينظم الشعر وهو في الخامسة عشرة من عمره، وترك المدرسة عام ١٩٢٥م ليفرغ للشعر. وبدأ منذ عام ١٩٢٧م ينشر شعره في مجلة "العصور"^(١). ثم صار أحد أعضاء جمعية "أبوللو الشعرية" التي أنشأها أبو شادي ورعاها، وفي عام ١٩٣٤ أصدر ديوانه "الألحان الضائعة"، وصدر له بعد ذلك "الشروق"، ثم ديوان "صدى ونور ودموع".

ويقول أبو شادي عن الصيرفي في تصديره لديوانه "الألحان الضائعة" الذي صدر في القاهرة عام ١٩٣٤^(٢): حسن كامل الصيرفي شاعر أصيل، فياض الشاعرية، المستوحاة من أغاني الربيع، ومن الصدى الخافت، ومن جفاء الطبيعة ومن البسمات الساخرة، ومن موت البلبل، ومن كل ما توحيه الحياة والموت للشاعر الحساس النبيل، وهو شاعر في بيانه، شاعر في حياته، شاعر في خلقه، وهذه الصفات قلما تجتمع حتى تبهجك وتشعرك بالاحترام والمحبة البالغة نحو صاحبها، فالصيرفي هو الفنان الناضج في تعبيره الوجداني المنقوم، وفي صور حياته العامة، وفي مظهر النفس الخلقية، فهو ذاتية من الشعر الحي الثمين .. والصيرفي الشاعر وشعر الصيرفي وحدة منسجمة لا تتجزأ، لقد انتظمت مدرسة أبوللو شعراء ممتازين، ولها أن تفخر بالصيرفي وشعره، فهو ثروة جديدة للشعر المصري الحديث وللشعر العربي عامة، وكيف لا يكون كذلك وهو الجامع ما جمع من الطلاقة البديعة، والخيال الرائع والموسيقى المستحدثة، في نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحداً! وإن تجاوب مع شعراء العالم العربي، وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية، كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية.

ويحلل أبو شادي شاعريته فيقول^(٣): "الصيرفي شاعر" مبتدع. بعيد الخيال، رومانتيكي النزعة غالباً، رمزي أحياناً، بعيد في طوره الحاضر عن المثل القديمة، لفته

(١) ص ٤، ٥. الألحان الضائعة.

(٢) ص ٦. الألحان الضائعة.

(٣) ص ٦. الألحان الضائعة.

لغة الشعر الجريء. فكل ألقاضه أشعة وظلال وأنغام وأصداء، وعطر وشذى وأشباح وأطيار ونحوها^(١).

وكتب عبد العزيز عتيق دراسة نقدية عنه جاء فيها: "شعر الصيرفي شعر الفكرة والتأمل، تبتثق في خاطره انبثاق الشعاع ولا تزال في وضوح ونمو حتى تكمل، وإذ ذاك تساوره على التعبير عنها والخروج إلى الحياة، ومن أحسن فكره الشعرية في هذا الديوان فكرة قصيدة "الشاعر"^(٢)، فيها يمثل لنا خلق الشاعر وكيفية هبوطه إلى الأرض وأسباب ذلك في عرض شعري جذاب^(٣).

وهذه القصيدة في رأيي هي التي ينهج نهجاً على محمود طه في قصيدته "ميلاد شاعر" وهي طويلة تقع في أكثر من خمسين ومائة بيت ولقد نجح الشاعر في تصوير هذه القصة خير تصوير، كما عبر عنها أوضح تعبير، وأن هذه القصيدة وحدها لكفيلة أن تنظمه في سلك الشعراء المتفردين المطبوعين .. ومن قصائده في هذا الديوان "اللحن الضائع" و"القلب المحطم" و"الحيارى" و"التائه" و"ظمآن" و"استراح يا قلب" و"موت عزرائيل" و"ريح كالخريف"، وتمثل قصيدته "ظمآن" و"وحي المصباح" تجارب شعرية غامضة. وفي قصيدته "المنديل" أصالة التوجيه الموضوعي.

ولقد قوبل ديوان "الألحان الضائعة" بعاصفة من النقد. لم يقابل بها ديوان آخر معاصر. وأحسبني عاجزاً عن أن أرسم صورة موجزة جداً لما أثير حول الديوان من دراسات أدبية ومشكلات في النقد. وخصوصاً بين القديم والجديد.

كتب الناقد الأدبي في مجلة "الحديث الحلبية"^(٤) يقول بمناسبة ظهور الديوان: "الصيرفي شاعر ينشد شعره من نفس متعبة وقلب قد استنزته الأحلام" .. ونوه بالألحان النفسية - في شعره - التي تفيض بالآكتئاب تارة. وبالبشر والدعة تارة أخرى. ويقول أن الصيرفي نى كلنا الحائنين يحكى لنا شعوره. فينظم ذلك في كلمات مختارة. وأوزان مختلفة فيعطينا. وقد تنفذ هذه الكتابة التي تستولي عليه إلى

(١) ص ٩ و ١٠ المرجع نفسه.

(٢) ص ٣٣ المرجع نفسه.

(٣) ص ٩٣ المرجع.

(٤) العدد العاشر ١٩٣٤ م.

نفوسنا فنحزن ونجد حتى في هذا الاكتئاب جدة نفسية. ويرى أن الصيرفي في طليعة المجددين من شعراء الشباب.

ونوه الشاعر القروي^(١) بديوانه "الألحان الضائعة" وبشاعرية "الصيرفي" فيه، وقال عن الصيرفي إنه شاعر مصري موهوب، مواضعه طريفة، وتنماته جديدة، وشعره نسيج وحده، لا تقليد فيه ولا تقليد، بل إخلاص في الشعور وصدق في التصوير، إنه شاعر الآمال والآلام، وأي شاعر حقيقي لم يكن شاعر آمال وآلام، ولو لم يسم ديوانه "الألحان الضائعة" لخلع عليه كل مطالع من تلقاء نفسه هذا الاسم، فالألحان مزيتة العظمى، وقلما تقرأ قصيدة لا ذكر فيها للألحان والأنعام والوتر والقيثارة، كأن الديوان ملحمة متعددة الأناشيد، متنوعة النغمات، في موضوع واحد جامع.

وكتب ناقد الديوان يقول^(٢)، لئن كان شعر علي محمود طه يمتاز بفخامة اللفظ وروعة الأسلوب ورصانة الجمع بين القديم والحديث، وشعر ناجي يمتاز بسحر العاطفة وجمال الدوق وجلال المعاني، فإن شعر الصيرفي يمتاز بموسيقته الساحرة، وألحانه الحاملة وصفاء الدباجة وإشراقها، وسمو الفكرة؛ والتقصي الوصفى فيما وراء الصورة، والصيرفي بلا نزاع في طليعة شعراء الشباب المجددين الرمزيين. ويشير إلى خلو شعره من المدح والهجاء والفخر، وإلى أنه ينظم الشعر استجابة لعاطفته الملحة ومشاعره الدفينة، فيكون الفكرة ثم يختزنها في نفسه، حتى إذا ما حاك حولها هيكل القصيدة راح يزجها، ويغذيها من دماء قلبه، ويضفي عليها ألوانا من سحر العاطفة وفتنتها، فتنبال عليه الخواطر اثنيلا، وتواتيه القافية طيعة لسلة القيادة، فلا يجري وراء لفظ يتخيره، أو تركيب ينمقه ويوشيه، كل ذلك عن وحى صادق، وغريزة موهوبة. وشعره سداه الألم، ولحمته السخط على الحياة، ومزاجه التبرم بالناس وما تواضعوا عليه، والديوان يكاد يكون خلوا من ذكر المرأة التي هي منبع من منابع الشعر.

ويقول عبد الفتاح إبراهيم من دراسة نقدية بهذا الديوان^(٣) "لست الصيرفي - ثائرا على العالم؛ ساخطا عليه؛ ونزعت نفسه إلى التجديد، وخرجت بهذا

^(١) مجلة العصية الأدبية - البرازيل - عدد أكتوبر ١٩٣٨.

^(٢) جريدة الحال - عدد ٢٣ أغسطس ١٩٣٤م.

^(٣) كوكب الشرق ٢٦ سبتمبر ١٩٣٤م.

للناس في العصور "و"أبوللو" و"المقتطف"، وعصر الشاعر روحه خمرا للناس يتذوقونها. وينوه بصوفية "الصيرفي" في قصيدته "الحيارى" وبابتداع خياله في قصيدة "الشاعر".

وكتب محمود حسن إسماعيل^(١) كلمة تحليلية عن الديوان والشاعر، منوها بنزوعه إلى المعاني التجريدية، ويتساميه عن مدارك العاديين، ويقول: إن الشاعر قد نوه في كلمته الأولى بالديوان، إلى تخلصه من الذوق العروضي واكتفائه بالذوق الموسيقى وهذه النزعة سبقه بها شعراء المهجر من السوريين. وتحدث أبو شادي في مجلته أبوللو^(٢)، عن شعر الصيرفي بمناسبة ظهور "الألحان الضائعة"، وحدد معنى الأصالة في الشعر بأن الشاعر الأصيل مبتكر له شخصية مستقلة ولا يقلد أحدا، وهو غالبا شاعر مطبوع، أما الشاعر المعطوع فهو الذي يأتي بالشعر من دون تكلف.

ودرس السحرتي "الألحان الضائعة"^(٣) مشيرا إلى روح الألم في شعره: "الدموع ضرورية للعبقرية" كما يقول الأديب الفرنسي إسكندر ديماش؛ والحزن السامي يجعلنا نقدر اللذة كما يقول الفيلسوف الفرنسي لبيتزو "والفريدي موسى"، بل كما يقول الصيرفي:

دموعى كنت آمالا

تمدد القلب بالبشر

وكانت هذه الآمال

كالأنعام فى الفجر

ويذكر أن الآلام صهرت روح الصيرفي فأنضجتها وأطهرتها، وأطافت بها صوفية سمحة. حفزته إلى تأملاته الساجية الحنون، وجعلته يرسل ألحانا لا يفهمها إلا كل من يتجاوب مع مثله، وكل من يهتز قلبه لتنفس النهر، وغناء الليل. وهمس النسيم؛ استمع إليه يشرح فنه فيقول:

(١) أبوللو - عدد سبتمبر ١٩٣٤.

(٢) عدد أكتوبر ١٩٣٤ - وفي المقتطف عدد نوفمبر عام ١٩٣٤ دراسة للديوان.

(٣) أبوللو - عدد ديسمبر سنة ١٩٣٤م.

وأنشدتهم من أغاني السماء
أناشيد تمزج للخالدين
فضاع الصدى في فضاء الحياة
وذاب النشيد وهم يصخبون

ويذكر أن صوفيته تلهم شاعريته، وتخلع عليها الصفاء والنقاء. وفوق ذلك
امتزجت بنفسه محبة الفن، ولهذا نراه ينظر إلى الوجود بشعور "الفنان"، ويسبح في
الدنيا هائما على وجهه؛ وتدق شاعرية الصيرفي غاية الدقة؛ وفيض ديوانه بالشعر
الانفعالي الهادئ الحزين، وبالشعر الرمزي وبشعر الطبيعة، وليس فيه من شعر الحب
العاطفي إلا النادر، وصفوة القول أن الصيرفي شاعر مجدد هادئ الجوهر، صافي
النفس، رقيق الشاعرية؛ عذب الموسيقى.
وينوه السحرتي بمعانيه الأصلية في الطبيعة^(١)، وبشعره الأثيري الذي لا
يحاكى^(٢)، ويصفه بأنه شاعر سابح في الخيال، يخلق لك جوا عبقا بالعطر الشعري
والموسيقى الهادئة. وكأنما يتأدى المجهول^(٣).
ويصفه اسماعيل أدهم بأنه شاعر رومانسي النزعة، غنائي الروح، موسيقى
التعبير^(٤).

وينوه بروكلمان به؛ وينزعه كأحد أتباع الشعر الرمزي، ويتشأؤمه^(٥) وقد درس
الدكتور إسماعيل أحمد أدهم الصيرفي وشاعريته دراسة واسعة في "مجلة
المكتشف"^(٦) وذكر آثار شعراء المهجر في شعره وتأثره بمذهب معبران الشعري.
ويذكر كاتب^(٧) أن الصيرفي شاعر له طابع، وشخصيته واضحة في شعره
وتأملاته ونزعاته، وفي شعره تشاؤم عميق يمتزج بتأملات واسعة، ويعلو بشعره في

(١) ١٠٧ و ١٠٨ أدب الطبيعة - للسحرتي.

(٢) ١٢٠ المرجع.

(٣) ١٢٢ المرجع.

(٤) من كلمة لأدهم في دراسته عن "خليل معبران" ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

(٥) تاريخ الأدب العربي تأليف المستشرق الألماني بروكلمان - الجزء الثالث من الملحق ص ١٦٥ - ١٦٨

(٦) عدد ٣١ لسنة ١٩٣٩ م.

(٧) هو محمود عزت موسى - أبو الهول عدد ٤ مارس سنة ١٩٣٥ م

بعض قصائده إلى مرتبة سامية رفيعة، لأنه يركز على موهبة حقيقية، وهو في طليعة الشعراء الذين تغذى شخصياتهم منهم. ويشير ناقد إلى بعد شعر الصيرفي عن التكلف الممقوت، والتصنع المزدول، وشاعريته بعيدة الغور، لا تقف أمامها الحدود، ولا ترضى إلا الصميم ميداناً لها، وفي هذا تحليل لرمزيته الغالبة على قصائده؛ التي تسيطر على بعضها الحيرة ممزوجة بالاطمئنان؛ ومن ميزات شعره موسيقيته^(١). وينوه ناقد آخر بشخصية الصيرفي الواضحة في شعره^(٢).

(١) الجريدة السورية اللبنانية - ٢٠ ت ١ - عام ١٩٣٤ م.

(٢) ٥ سبتمبر عام ١٩٢٤ - البلاغ الأسبوعي.

عامر محمد بحيرى
توفى فى ٢٠ مايو ١٩٨٨

-١-

شاعر فى دواوينه العديدة الخمسة عشر، وفى مسرحياته الشعرية الثلاث. وفى ملاحمه الشعرية الست، وفى مسرحيات شكسبير العشر التى ترجمها البحرى شعرا، وفى غير ذلك من أعماله الشعرية والأدبية.

شاعر عاش مع الشعر ستين عاما (١٩٢٧ - ١٩٨٨) يحافظ على عمود الشعر محافظته على الأصالة .. أما المعاصرة فتتمثل عنده فى المعانى والأفكار والأخيلة كما يقول هو فى المقدمة القصيرة التى كتبها لديوانه "ديوان عامر"، وقد بدأ رحلته مع الشعر متأثرا بتجديد شوقى رائد مدرسة البعث، وتجديد العقاد رائد مدرسة الديوان، وتجديد أبى شادى وشعراء أبوللو .. ونظم الشعر الوطنى والإسلامى والاجتماعى والذاتى والإنسانى والملحمى والتمثيلى.

وأخذ ينظم الشعر العاطفى الرومانسى، ويلتقى بالشعراء المجددين فى رحاب جماعة أبوللو، وكانت معظم مطالعته آنذاك فى الثلاثينيات فى الأدب العربى والإنجليزى، ولاسيما فى الشعر، وتلاقت نفسه مع طلائع المدرسة الحديثة، فى أبوللو، وصدر ديوانه "الليخت الذهبى" عام ١٩٣٦م، مواكبا لتلك الحركة الرومانسية، التى جمعت بين القديم والجديد^(١)، وبين الأصالة والمعاصرة، وبين المحافظة والتجديد.

وفى عام ١٩٧٢م، وفى ذكرى قيام أبوللو يقف الشاعر فى رابطة الأدب الحديث ينشد قصيدته فى هذه المناسبة، بعد أربعين عاما، ويقول^(٢):

أبوللو عز وجهك يا أبوللو

ولن يغشى جبين الشمس ظل

(١) الأهرام ١٣/٨/١٩٧٦ - د. مختار الوكيل.

(٢) ٣٥٠ و ٣٥١ ديوان عامر - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م.

وتقوم الدعوة لإحياء أبوللو، وإصدار مجلتها من جديد، ويحمل الدكتور مختار الوكيل مع المؤلف والدكتور عبد العزيز شرف عبء هذه الدعوة لقيام أبوللو الجديدة، فيكتب الشاعر قصيدته "مناجاة أبوللو"^(١) ويقول فيها:

ولواء فى سماء الشعر على النشيد
إنه لحن أبوللو فى سنى الفجر الجديد
يجعل الدنيا من الحسن كفردوس الخلود

ولا يقف تجويد عامر بحيرى على المسرحية الشعرية والملحمة الشعرية فحسب، بل إنه يتكرر وزنا فى البحر الخماسى من الشعر الجديد فى بحر الرمل، ويكتب عليه قصيدته "مناجاة"^(٢) التى يقول فى مطلعها:

أين أنت الآن .. يا من سكبت خمر غرامى .. أين أنت؟

ولا يقتصر تجديد أبوللو وعامر بحيرى على ذلك فحسب، بل تراه فى شعره يحافظ على الأصالة والفطرة الشعرية، والعاطفة الصادقة والطلاقة الفنية، والبعد عن الافتعال مع تناول الفنى السليم للفكرة والمعنى والموضوع، والانسجام الموسيقى، واستعمال اللفظ الموحى.

وكذلك يحرص الشاعر على البساطة فى التعبير، لفظاً ومعنى وخيالاً، مع تركيز الأسلوب، والرجوع إلى النفس والذات، وإثارة الشعر الغنائى العاطفى والركون إلى التأمل الصوفى، والغناء بالطبيعة الجميلة، والمحافظة على الوحدة العضوية فى القصيدة، مع التجربة الشعرية العميقة، والعناية بالصورة الشعرية، وبالأخيلة الهائلة. إن ذلك كله هو لحن أبوللو وموسيقاها وصورها، إنه النزوع إلى الروح الرومانسية وجوهرها. إنه العذاب الروحى والشعور الدائم بالألم والعذاب النفسى. إن صوت الطبيعة فى شعر عامر صوت واضح مسموع، لا يمل، وإن شعر العاطفة والوجدان والذات عنده يتمثل فى قصائده لحنًا وفكرًا وتجربة. ولا يقف عامر وأبوللو عند ذلك فحسب، بل إنه يدخل شخصيات ميثولوجية كثيرة فى شعره، كما فعل شعراء أبوللو، كأبى شادى والشابى وعلى محمود طه

^(١) ٢٤٩ المرجع نفسه.

^(٢) ٢٤٦ ديوان عامر.

وسواهم. فلقد ساد هذا الاتجاه في شعر مدرسة أبوللو. وبخاصة أبو شادى. وتابعهم فيه الشابي.

وشاعرنا ينظم ديوانا كاملا، ويسميه "إيزيس وأوزيريس" (عام ١٩٦٠م). إلى رائع قصائد الكنز الذهبي التي نظمها، وإلى الشخصيات الأسطورية التي حفلت بها ترجمته لمسرحيات شكسبير.

أنها الشاعرية المتألقة الموهوبة ..

إنه الثراء الفني الذي يرفع منزلة الشعر والشاعر.

وفي محاولة للتجديد، يكتب الشاعر قصيدته: "أفريقيون وعرب" ^(١) (١٩٦١)،

وفي "قريتي" ^(٢) يجمع فيهما بين خصائص القصيدة العمودية وموسيقاها وبين حرية

الشاعر في التنقل بين التفاعيل في أبيات القصيدة، وهي محاولة جريئة.

إن شاعرنا يذكر مسيرته مع الشعر في قصائد كثيرة، ومن بينها:

أنا في الدنيا ولكني عن الدنيا رحلت

كان بالله بقائي وإلى الله انتقلت

كان لي سر مع الله وبالسر احتفلت

يا دموعي إنك النهر الذي فيه اغتسلت

كنت نجما في شباب العمر، لكنني أفلت

ونجاحي قاب قوسين ولكني فشلت

وهي قصيدة حافلة بالألم الرومانتيكي وبالحنن النفسي، وبالقلق والشعور

بالغربة، وهي سمات الشاعر والشعر الأبوللي الرومانسي.

والقصيدة الثانية مثل الأولى قلقا وألما وحرنا وشعورا بالوحدة والضيق،

وعنوانها "شاطئ" ^(٣).. وفيها يقول الشاعر:

بعد موتى سيعرف الناس قدرى

وسيتلون في المحافل شعري

^(١) ٢٤٠ ديوان عامر.

^(٢) ٢٤٣ المرجع.

^(٣) ٢٢٩ الديوان.

وسيسعى من كان يرفض لقيائى
حيث الخطى لإحياء ذكرى
وترانى بعثت بالشعر حيا
وكانى نشأت أول دهنرى
ليت شعرى ألم يكن ذاك أولى
فى حياتى .. من وقفة عند قبرى
وهذه هى مشاعر الشاعر الأبوللى المستغرق فى رومانتيكية.
إن عامر بحيرى فصل طويل فى سفر شعراء مدرسة أبوللو، وقصة خالدة من
قصص مسيرة شعراء المعاصر، وشعرنا العربى الحديث كله.

-٢-

وفى حفل تكريم رابطة الأدب الحديث للشاعر عامر بحيرى قال عن نفسه:
الصبر ، والوفاء ، والتسامح
ثلاث خصال أحسها فى نفسى
هذا عن نفسى، وأما عن شعرى. فهناك كلمات تطن فى أذنى، بعضها
مكتوب، وبعضها مسموع لكبار قادة الفكر، ممن أزروني فى رحلة الشعر منذ الصغر..
قال الدكتور زكى مبارك فى صحيفة البلاغ عام ١٩٣٦م: "عامر بحيرى
شخصية رزينة تعد بالخير الجزيل وإن صحت فراستى فيكون هذا الفتى من أعلام
البيان".
وقال العقاد عن قصيدتى (برج الساعة) التى نظمتهما فترة حياتى معه: إنها
تفوق شعر ابن الرومى فى قدرته على تحليل المواقف وتوليد المعانى.
وقال عزيز أباظة عن قصيدتى التى قلتها فى تكريمه. عند حصوله على
جائزة الدولة التقديرية ومطلعها:

من جمال الربيع أو أزهاره
صغتها باقية ليوم انتصاره
إنها تذكره بقصيدة شوقى فى مهرجان تكريمه عام ١٩٢٧م، ومطلعها:
مرحبا بالربيع فى ريعانه
وبأنواره، وطيب زمانه

وقال حافظ محمود، شيخ الصحفيين، في تقديم ملحمة (مصر المنتصرة) التي نظمها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ونشرت في صحيفة الجمهورية: إن هذه الملحمة من ملاحم الشعر العربي المصري، صفة للذين كانوا يدعون كذبا أن الشعر العربي لم يعالج ما عالج الشعر الأوربي من قضايا".

وقال د. أحمد كمال زكي في كتاب "محمد في الأدب المعاصر": إن شعراء الملاحم النبوية المعاصرون، ثلاثة البارودي في كشف الغمة بمدح سيد الأمة، وأحمد محرم في الإلياذة الإسلامية، وعامر بحيري في أمير الأنبياء.

ونشر د. حلمي محمد القاعود، في الأهرام في أعوام ماضية، مقالا عدد فيه شعراء المدائح النبوية، بدأهم بكعب، وحسان والفرزدق. وختمهم - وهم نحو عشرين - بشوقي، وعزيز أباظة، وعامر بحيري، ونازك الملائكة.

-٣-

وقصيدته "نسمات الشرق" ألقاها في حفل تكريم رابطة الأدب الحديث له عام ١٩٨٥ م، ومنها:

هذه الدنيا .. وقد عايشتها
تجمع الأضداد من صدق ومين
يتلاقى الخير والشر بها
ويضيع الحق بين العاشقين
بين ميلاد وموت شعلة
أوقدتها الحرب من ضرب وطعن
إن ألانت ذات يوم قلبت
لبنها في غد .. ظهر المجن
أين منها لمحة من عالمي
تشرح الصدر وتجلو كل حزن
فخذ الدنيا .. على عاتقها
واقرا التاريخ .. من قرن لقرن!

د. مختار الوكيل

٢٠ مايو ١٩١١ - ٦ نوفمبر ١٩٨٨

ولد مختار الوكيل فجر يوم ٢٠ مايو سنة ١٩١١ ببلدة أجا مركز أجا دقهلية.
ونال الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٣.
ثم التحق بالجامعة الأمريكية القسم الإعدادي ١٩٢٤ - ١٩٢٧ م.
ونال البكالوريا عام ١٩٢٣ م من مدرسة المنصورة الثانوية.
والتحق بجامعة مانستر بإنجلترا وحصل على معادلة البكالوريوس في
الآداب لتفوقه عام ١٩٣٧ م.
وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الآداب في جامعة أوكسفورد بروفانس
عام ١٩٥٠ وكان موضوعه (تاريخ الحملة الفرنسية على مصر).
ونال الدكتوراه في التاريخ من جامعة أوكسفورد بروفانس عام ١٩٥١ وكان
موضوع رسالته: تاريخ الصحافة المصرية على ضوء الأحداث السياسية منذ إنشائها
حتى عام ١٩٥٠ م.
ومن مؤلفاته:

- ١- سعادة الأسرة - قصة الكاتب الكبير ليو تولستوى - ١٩٣٣.
- ٢- رواد الشعر الحديث في مصر - دراسة نقدية لأربعة من شعراء مصر - ١٩٣٤ م.
- ٣- الزورق الحالم (الجزء الأول من ديوان شعر المؤلف ١٩٣٦ م وقد أثار اهتمام النقاد).
- ٤- علمتني الحياة بإشراف الدكتور أحمد أمين ١٩٥٠ م.
- ٥- أيسوب من الميثولوجيا الإغريقية (الألف كتاب) ١٩٥٦ م.
- ٦- تاجر البندقية لشكسبير ١٩٦٠ م.
- ٧- نجونا بجلدنا مسرحية لنورتون وإيلدر ١٩٧٠ م.
- ٨- على الغاباتى فصل من كتاب (خمسة من شعراء الوطنية) ١٩٧٣ م.
- ٩- تاجر البندقية لشكسبير (طبعة القومية ١٩٧٣ م. ١٩٧٤ م).
- ١٠- نحو عالم واحد

- ١١- الاتحاد السويى.
 - ١٢- تجربتى فى الإعلام. محاضرات ودراسات مطبوعة
 - ١٣- رمضان فى سويسرا.
 - ١٤- بين الصحافة والأدب.
 - ١٥- الجامعة العربية والعلاقات الثقافية والاقتصادية بين أعضائها (نشرت بالفرنسية).
 - ١٦- الجامعة العربية نشأتها وأوجه نشاطها (دراسة بالفرنسية والعربية نشرت وأديعت فى سويسرا ١٩٦٤م).
 - ١٧- دراسات ومحاضرات عن القضية الفلسطينية أعدت وأقيمت وأديعت بالفرنسية أثناء عمله رئيساً لوفد الجامعة العربية الدائمة فى سويسرا (بين ١٩٥٦ و١٩٦٦م).
 - ١٨- موكب الذكريات - ديوان شعر صدر عن دار المعارف.
 - ١٩- سفراء النوى.
 - ٢٠- على باب طه - شعر صوفى.
- هذا فضلا عن المقالات والأبحاث والمحاضرات التى كان له شرف إعدادها ونشرها وإذاعتها فى شتى الموضوعات الأدبية والعلمية والقومية فى مختلف الأقطار العربية وشتى البلدان الأوروبية.
- وهو فوق ذلك:
- ١- عضو الرابطة الأدبية العالمية فى جنيف.
 - ٢- عضو النادى الثقافى الدولى فى جنيف.
 - ٣- عضو لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب.
 - ٤- عضو جمعية الدراما.
 - ٥- عضو فى رابطة الأدب الحديث فى القاهرة.
- ومن الوظائف والأعمال التى أسندت إليه:
- ١- عمل بالصحافة محرراً بجريدة (الدستور) من عام ١٩٣٩م.
 - ٢- التحق بجامعة الدول العربية منذ إنشائها عام ١٩٤٥م.
 - ٣- تولى منصب وكيل الإدارة الثقافية عام ١٩٥٤ وكان يرأس اللجنة الثقافية حينذاك المرحوم الدكتور طه حسين.

- ٤- تولى منصب وكيل الوفد الدائم بجنيف في عام ١٩٥٦ م.
- ٥- عهد إليه برئاسة الوفد الدائم في جنيف بالإنيابة في عام ١٩٦١ م.
- ٦- تولى رئاسة الوفد الدائم في جنيف عام ١٩٦٣ م.
- ٧- عين مديراً للإدارة الاقتصادية بالجامعة العربية ١٩٦٧ م.
- ٨- عين رئيساً لمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٩٦٩ م.

ومن شعره قصيدته "الكعبة":

شاعر الحب قلم وقل
ههنا الحزن قد عدل
ههنا الحب عارما
يملؤ السهل والجبل
كعبة الله ههنا
وهنا حوضه الأجل
قد اطلقنا بركتها
ولثمنناه في وجل
حجر أنت أسود
أيض يثشق القبل
وكفى أن (أحمدا)
طاف بالركن واقتبل
ايه يا كعبة الهدى
قصر القول والعمل
أنت ركن من السماء
ومحراب من وصل
ويقول في قصيدة أخرى اسمها (المعجزة الباقية):
زهونا بميراث النبي محمد
ولدنا بقرآن الإله تهجدنا

إذا أقبل الليل انتبها لسورة
نطالع فيها الباقبات على المدى
إذا أقبل الليل استنأنا بنوره
لأن لنا فيه ملأداً ومسجداً
هدى ذلك (القرآن) للناس كلهم
فليس لبعض منهو نزل الهدى
وفي هداة الليل الحنون ترنمت
لهاة بآيات وضاء هي الندى

وكان الشاعر على عتبة الشباب في العشرين عندما اجتازت قدماء عتبة
(أبوللو) لأول مرة، ليلقي في تلك الغرفة الصغيرة في (عمرشاه) بحى السيدة زينب،
تلك الغرفة التي لم يكن يغيب عنه ضوءها ونورها أبداً، وكأنه المنار الذي يبدد
الدياجى. دخل تلك الغرفة ليلقي ذلك الرائد النادر المثال، ذلك الفارس المقاتل
بألف سيف وألف رمح، باسم ابتسامة تسيل رقة وتشع وداعة وتقطر غدوبة وعظفا
وكرما!

التقى في تلك الغرفة ببطل اسطورى من أبطال حركة التجديد الحقيقية
في مصر والعالم العربى، الدكتور أحمد زكى أبى شادى: كان جالسا إلى مكتبه
الصغير البسيط، فنهض محيا بصوته الرقيق الهادئ، وقد شع الإخلاص والحب في
عينيه المتألقين كنجمين رائعى الضياء! لقد عرف أول لقاء أنه مقبل على صلة من
تلك الصلات التي يهيؤها القدر، والتي سوف يكون لها شأن أى شأن في حياته
وحياة لداته من أدباء وشعراء مصر والعروبة!

كان الشاعر قد انتهى من دراسته الثانوية، وكانت الصحف تنشر له. متفضلة
وهو بالمنصورة الثانوية، الكثير من الشعر والنثر. وكانت الأهرام والصبح وغيرهما
تحتفل بإبداعاته فلما عرف طريقه إلى أبوللو أدرك بصدق، أنه إنما يمم ساحة النهضة
الشعرية والانبعاث الأدبى ونبع الفكر الصادق السليم.

في أبوللو قابل أعز الأصدقاء وأكرمهم .. قابل فيمن مضوا خليل مطران
وأحمد محرم ومصطفى صادق الرافعى، وعلى محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمد
الهمشرى وكامل الشناوى، وعبد الحميد الديب ومحمود غنيم ومحمد فتحى

وغيرهم. والتقى بإخوانه الدين نعم بإخائهم وسعد بجهيم الكبير من مثل: حسن كامل الصيرفي وصالح جودت وسيد إبراهيم ومصطفى السحرثي وأحمد الشايب وسهير قلماوي ومحمود أبو الوفا وعبد العزيز عتيق ومحمود حسن إسماعيل وبدوي طبانة والعوضي الوكيل وعبد الغني حسن ومصطفى الماحي وجميلة العلالي وخفاجي، وأبو الوفا ومخيمر وغيرهم، وطالع في أبوللو بواكير شعر أبي القاسم الشابي والياس أبي شيكة وزكي وقنصل والشاعر القروي وغيرهم.

كان الدكتور أبو شادي أشبه بتلك المحركات الهائلة الجبارة التي نسمع عنها في هذه الأيام، تدفع السفن الفضائية إلى اكتشاف أقمار وشموس وعوالم أخرى مجهولة. كان أبو شادي طاقة هائلة من تلك الطاقات التي يعجز المرء عن تحليلها وشرحها، ولقد طوف مختار الوكيل بالعالم بعد معرفته بأبي شادي، وعاش في قلب أوروبا الغربية سنوات طويلا، وقابل من قابل من كبار العلماء ونوابغ الأساتذة، ولكنه علم الله لم يلتق برجل في مثل سميت أبي شادي وفي غزارة علمه وتنوع ثقافته وسعة أفقه!

كان أبو شادي من ذلك الرعيل الممتاز، وكان يسكن حينذاك ضاحية المطرية، ولكنه، لم يكن يكتفى سيارة، وإنما كان يستخدم القطار والترام شأنه في ذلك شأن عامة الناس، وكان يجد لذة أيما لذة في كتابة الشعر وتحرير المقالات بين زحام الركاب وضوضائهم الصاخبة، وكان ينظم ويكتب في سهولة وسهولة. أجل، لقد كان رجلا متعدد الجوانب، كانت مهنته الأولى الطب، طب المعامل والتحليل. وكان من نوابغ هذا العلم، ولكنه كان في الوقت نفسه شاعرا فحلا وأديبا عظيما وعالما فذا! وهو متعدد جوانبه قد أنشأ في وقت واحد مجلة (أبوللو) للشعر ومجلة (مملكة النحل) وجمعيتها التي تعتبر ثورة في هذا المجال الحيوي، ومعظم النحاليين في مصر والعالم العربي هم من تلاميذه، كما أنشأ مجلة (الصناعات الزراعية) فضلا عن مجلة (الإمام) الأدبية التي كان يحررها بعض كبار الأدباء وأعاد نشرها بالإسكندرية واشتهرت بما كانت تنشره من روائع الفنان الغنائي الشعبي المعروف (بيرم التونسي)؟ أجل، مثل هذا الإنسان يعتبر بحق أعجوبة في أي مجتمع متقدم، فكيف وقد أفرى بنشاطه الزاخر العجيب مجتمعه الناشئ المتطور، لقد كان رجلا بألف مما تعدون، كانت كل مجلة من تلك المجالات تنبئ عن طاقة متفجرة موحية، من

طاقات هذا الإنسان العبقري، خصوصا في مجتمع دأب على العيش الوديع الهادي الرتيب، ولم تدب فيه اليقظة الكبرى التي نشهدها اليوم.

وكان أبو شادي مثالا في الشهامة والكرم. كان يؤثر إخوانه على نفسه، والأمثلة على ذلك كثيرة. وكان يتقدم في فروسية أسطورية لمد يد العون لإخوانه، وتحقيق ما تصبو إليه نفوسهم، بل وقبل أن يفصحوا هم عما يخالج صدورهم من رغب! بل لقد كان أبو شادي يسارع إلى تحقيق ما تصبو إليه نفوس من يفشى ندوة (أبوللو) من الغرباء لأول مرة. كان يشعر بسعادة كبرى عندما يطرق باب (أبوللو) صاحب حاجة أو مشكلة. كان أبو شادي يستبسط له حلا يريحه ويرضيه. وكان صاحب الحاجة ينصرف راضيا وشاكرا وسعيدا. وينتهي الأمر عند ذلك فلا استعلاء ولا من ولا أذى! فقد كان رحمه الله يرى أنه قام بواجبه الإنساني وكفى، وتلك سمات الخلق السامي الرفيع.

ترجم مختار الوكيل قصة (سعادة الأسرة) للكاتب الفيلسوف الروسي الكبير تولستوى، وذكر ذلك للدكتور أبي شادي. كان ذلك في عام ١٩٣٣م وعلاقته بالدكتور أبي شادي في بواكيرها، يقول مختار فطلب إلى أن أوافيه بتلك الترجمة ففعلت، فلما كان صباح اليوم الثاني، أقبل رحمه الله متهلل الوجه مشرق الطلعة. ودفع إلى بيض ورقات طلب إلى مطالعتها، فإذا هي تشتمل على دراسة وافية ناضجة لحياة الفيلسوف الأديب تولستوى، مع تعريف بآثاره الأدبية الضخمة وإشارة وتنويه لطيفين بترجمتي لسعادة الأسرة ثم اصطحبني من فوره إلى دار المطبعة السلفية وكانت في مكان غير بعيد بحى درب الجماميز، حيث التقينا بصاحبها المرحوم محب الدين الخطيب، وعرض عليه نشر تلك القصة عرضا لطيفا فقبل رحمه الله، ودفع إليه الأصول والكلمة التي عرضها على كتصدير ومقدمة لتلك الترجفة! تلك واقعة تسجل صورة صادقة عن أبي شادي الذي يندفع للخدمة الصادقة غير متوقع جزاء أو شكورا!

كان جو (أبوللو) جوا جميلا يتنفس فيه المرء ملء رئتيه التنفس الصحي السعيد! شعورا عارما صادقا في فجر كانت روح المساواة هي السائدة المسيطرة على جو المناقشات في اجتماعات (أبوللو).

وكان هذا ديدنه في تحرير مجلة (أبوللو) التي كان ينشر فيها لصغار الشعراء قبل كبارهم ومشاهيرهم، بل لقد كان يقدم الشباب على الأقطاب! وبذلك أصبحت (أبوللو) بحق مدرسة ثورية، تدرس في الأدب مبادئ الديمقراطية السليمة!

وانتشرت مجلة أبوللو في العالم العربي كله انتشار النار في الهشيم، ممهدة للقاء العربي الجبار من المحيط إلى الخليج، وهكذا سرعان ما تردد صداها في أرجاء الجزيرة العربية وبلاد الشام ولبنان. وفي ربوع المغرب وتونس، بل لقد أقبل شعراء المهجر في مواكبهم المتلاحقة في الأمريكتين ينشرون آثارهم في (أبوللو). وهكذا أصبحت أبوللو بحق همزة الوصل بين العرب قاطبة في مختلف أقطار العروبة وفي شتى أقطار الأرض حيث يوجد عرب أو مستعربون. ولقد عرف واشتهر عن طريق النشر في (أبوللو) النخبة الممتازة من شعراء العروبة.

وكانت رسالة (أبوللو) هي رسالة التجديد الناضج الصحيح، واقد حملت لواء حركة التجديد ونهت الأذهان إلى وحدة القصيد وإلى الاحتشاد للمعنى وموسيقاه بمثل القدر الذي يحفز الشاعر إلى الاحتفال بالموسيقى اللفظية، فللمعنى موسيقى كما للفظ موسيقى! أجل، كانت (أبوللو) تنادى وتبشر بصدق الإحساس والشعور في مختلف أبواب الشعر! ولقد كتب أبو شادي كثيرا في هذا الباب، كما تحدث فيه الكثيرون! الذين شاركوه في نقد الشعر وإرساء قواعد للنقد هي ما تبلور فيما بعد وأرسيت أسسه باسم المدرسة الحديثة في الشعر، مما تدرسه الكليات الجامعية في مختلف أرجاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، وحتى في الجامعات الأجنبية التي تعنى بتدريس الفكر والأدب العربيين. والحق أنه ما من أستاذ من أساتذة الأدب العربي اللامعين في الوطن العربي إلا وقد تأثر (بأبوللو) عن قرب أو بعد.

لقد حمل البعض على (أبوللو) لأنها لا تؤله الأصنام ولا تعبد الأشخاص وذهبوا في مهاجمتها مذاهب شتى وأمعنوا إمعانا عارما: ولكن ذلك كله لم ينل من أبي شادي ولا من (أبوللو). ولقد انحسر بمرور الأيام مد تلك الحملات العاتية، ولا تزال أفكار (أبوللو). ومبادئها هي هي في الطليعة من الحركة التقدمية الحققة، لقد ذهب الذين هاجموا (أبوللو) ولكن الروح الذي أوحته (أبوللو) في ميدان الأدب الشاسع الفسيح، قد ازداد قوة وأصاله.

أجل لقد شغلت أبوللو الناس منذ نحو خمسين عاما ولا تزال أبوللو تشغل الناس حتى يومنا هذا. ولقد نشرت الكتب الكثيرة التي تحدثت عن رسالة أبوللو وبعضها دراسات جامعية محترمة - وقد ظهرت هذه الرسائل بأقلام مصرية وعربية. بل وبأقلام أجنبية، يجهل بعض كتابها أبا شادى ولا يعرفون حتى بعض رواد أبوللو وجنودها المجهولين!

وإنى لأنظر اليوم حولى، بعد تلك السنين، نظرة دهشة وعجب بالغين، لأنى أجد أبا شادى وأجد أبوللو أمامى، ملء الحياة، وملء القوة وملء الفتوة، ذلك لأن رسالة (أبوللو) لم تنته بعد، إنها مستمرة متصلة، فثمة فراغ هائل رهيب فى ميدان الشعر لا يد أن تملأه (أبوللو) من جديد، فرسالة (أبوللو) هى رسالة الحرية والحق والجمال والأدب الرفيع والشعر الحى الجديد!

إسماعيل سرى الدهشان

١٢ سبتمبر ١٨٨٤ - ٦ فبراير ١٩٥٠

شاعر من أبوللو، رفعته عبقرته الشعرية إلى مكان كبير حتى عد من أعلام الشعر، وكان يجيد الفرنسية إجادة تامة، ويترجم عنها روائع الشعر الفرنسي إلى اللغة العربية.

وعائلات الدهشان منتشرة في أنحاء مصر، وهم حسنيون، والظن أنهم يجمعهم أصل واحد. وعاشت عائلة شاعرنا بين ميت أبي الحسين مركز سمنود ثم أجا حاليا، وسمنود.

حصل على الابتدائية الفرنسية عام ١٩٠٥، وعمل مدرسا ثم صار شريكا في مدرسة خاصة، ثم عمل وكيلًا لمكتب بريد أبو كبير عام ١٩٠٦ م، فمعاونًا لبريد طنطا عام ١٩٠٩ م، ثم وكيلًا لمكتب بريد أبي المطامير عام ١٩١١ م، ثم نقل لمكتب الإسكندرية، حيث تألفت شاعريته، واختير عضواً في جمعية الموساة، ونادى الموسيقى العربية وقد ترجم للفرقة التمثيلية فيه (ليالي الفريدي موسى) (١٨١٩ - ١٨٥٢) شعرا، وقد كتب فيه بهذه المناسبة شاعر النيل حافظ إبراهيم شعرا فقال:

لك القلم الذى راض المعانى

فأبرزها وقد لبست حلاها

وفى الإسكندرية اتصل بالأمير عمر طوسون وصار شاعره.

ولم يلبث أن نزل وكيلًا للبريد في الصعيد عام ١٩١٨ م وتوفيت أمه صغيرا، وتوفي أخوه عام ١٩١٩ م، ولرعاية أسرته نقل إلى بريد سمنود، وفيها أنشأ ناديا للأدب.

واختير عضواً في رابطة الأدب الجديد التي أنشأها ورأسها د. أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٢٩ م، ولخلاف أبي شادى مع الأعضاء تركها حيناً، ثم عاد لرياستها، ونقل مقرها إلى المحفل الماسونى، الذى كان يشرف على الثقافة فيه الدكتور على العنانى، ثم نقلها أبو شادى إلى عمارة تيرنج، وانضم إليها الشاعر عبد الله عفيفى.

كما اختير عضواً ينادى الثقافة، وفي مجلس إدارة جماعة أبوللو، وفي اللجنة التنفيذية للجماعة، ونشر شعره في مجلتها (١٩٣٢ - ١٩٣٤)، كما نشر شعراً كثيراً في مجلة نشر الفضائل الإسلامية (١٩٣٣ - ١٩٣٨).

ونقل وكيلاً لبريد الجيزة، ومفتشاً مساعداً لبريد الزقازيق .. ثم ترك الخدمة عام ١٩٣٩م وعاد إلى بلدته سمود.

طبع له ديوان (أنت وأنا) الذي ترجمه شعراً من شعر الشاعر الفرنسي جيرالدى، كما طبعت له الهيئة العامة للكتاب ديوانه (بين الجد والجيد". صدر له جزءان من ديوانه (ديوان الدهشان).

ترك دواوين عدة مخطوطة منها:

- ملحمة شعرية عن الخليفة عثمان بن عفان.
- ملحمة شعرية عن الخليفة عمر بن عبد العزيز.
- ملحمة شعرية إسلامية في السيرة النبوية الشريفة.
- ديوان شعر صوفي.
- ديوان من الشعر الاجتماعي والوطني.
- ديوان في المدائح النبوية.
- ديوان أغاني بيلتيس الشاعرة الإغريقية.
- قصة نثرية درامية عنوانها (هاجر).
- مسرحية نثرية موضوعها تعدد الزوجات.
- قصص الأنبياء (شعراً).
- ترجمة قصائد من ديوان هوجو (شعراً).
- ترجمة البحيرة للأمرتين (شعراً).
- ترجمة الكوميديا الإلهية لدانتى (١٣٦٥ - ١٣٢١).
- كتاب في العروض والقوافي.

وغير ذلك:

أهدى مكتبته الحافلة لمعهد سمود الديني قبل وفاته، توفي في ٦ فبراير ١٩٥٠م.

وكتب عامر محمد بحيرى الشاعر الأبوللى الشهير يقول فى مقدمة "ديوان الجد والجيد" للشاعر الدهشان الذى طبع على نفقة المجلس الأعلى للفنون والآداب:

الشاعر إسماعيل سرى الدهشان هو أحد رواد الحركة الشعرية فى المرحلة الهامة من تاريخنا الأدبى، التى كان فى طبيعتها شوقى وحافظ ومطران ومحرم ونسيم وغيرهم .. وهو من الشعراء المكافحين الذين وصلوا بجدهم إلى مرتبة معترف بها بين أقرانهم .. وإن لم تتل أسماؤهم ما ناله الأولون من ذبوع، وشهرة .. ولكننا نجد اسم الدهشان يظهر، فى المنتدبات والجمعيات الأدبية والثقافية منذ أوائل العشرينات من هذا القرن. عندما استقر به المقام فى القاهرة. بعد أن تنقل - كموظف فى البريد - بين طنطا والمنصورة والإسكندرية، وبنى سويف وغيرها.. وتتوج جهود الدهشان الأدبية، باختياره عضواً بمجلس إدارة جماعة أبولو الشعرية، التى رأسها أمير أحمد شوقى فى أكتوبر ١٩٣٢م جلسة واحدة ثم انتقل إلى رحمة الله. فتم انتخاب خليل مطران رئيساً لها، والدكتور على العنانى وكيلًا.. كما انتخب الدهشان عضواً بالمجلس فى المحل الشاعر (انظر مجلة أبولو - عدد نوفمبر ١٩٣٢م). ولما كان الشاعر ضليعا فى اللغة الفرنسية والأدب الفرنسى، فقد رأينا له من الآثار الشعرية الجميلة، فى هذا العدد الثالث وحده من أبولو، حصيللة طيبة هى:

- ١- ليالى الفريد دى موسيه، مع نبذة عن تاريخ الشعر الفرنسى.
- ٢- مقطوعة بعنوان "ما صنعت الآن فيها" لمدام مارسلين ديسبور فالموور.

ومن تعريب لقطعة عن الفرنسية أيضا يقول فى مطلعها:

كان لى عندك قلب

وأنا قلبك عندي

بدلا قلب بقلب

عوضا، ساعد بسعد ..

- ٣- خلف الغلالة، قصيدة من الشعر الوصفى.
- ٤- الفرفور والنحلة والوردة للشاعر الفرنسى أرنولت (١٧٩٦ - ١٨٧٤) وهى ترجمة أيضا لمقطوعة للسنة الثالثة الابتدائية.

أما ليالى الفريد دى موسيه، فهي ملحمة طويلة، تملح أبياتها فى الترجمة العربية للدهشان أكثر من ستمائة بب . وهي مقسمة إلى أربع ليال: ليلة مايو، وليلة أغسطس، وليلة أكتوبر، وليلة ديسمبر .. ويجرى فيها الحوار الطويل، تظهر فى نهاية الليلة الأخيرة شخصية ثالثة هي شخصية الطيف .. وهو طيف "الوحدة".
فى أول ليلة، وهي ليلة مايو .. يبدأ الحديث بين الشاعر وآلهة الشعر هكذا.. آلهة الشعر:

أيها الشاعر خذ قبضاتك
وأتلنى قبلة الممتنع
زهرة السرير فجرا أصحت
تفتح الأكمام عند المطلع
والريبع ابن مساء واحد
فيه هبت نسمات الموضع
رصدت فى الروض أطيبار الربى
فى انتظار الصبح لما تهجع
وثوت فى العشب حين اخضوضرت
صفحة الروضة مشوى المولع
أيها الشاعر خذ قبضاتك
وأتلنى قبلة الممتنع!

ويجيب الشاعر فيقول:

لقد أوحش الوادى تلك الدجة
فخفت مطاف الطيف فى ليل وحنتى
هناك له ظل بأرجاء غاية
طفا الظل إذ يمتد من جوف خضرة
له قدم تحت أعشاب روضة
فيها لغريب الوهم يدعو لخيفتى

يلسوح ويخفى، يا لدعري ولهفتى
ويمضى الحوار الجميل قدما. بين الشاعر وآلهة الشعر. فى الليالى الأربع ..
حتى تكون الليلة الأخيرة، ليلة ديسمبر .. حيث يصيب الشاعر الأرق وهو فى غرفته،
وإذا به يرى شبحا لصبي حزين يلبس ثوبا أسود .. وهو يشبهه كأخيه، فيخاطبه الشاعر
خطابا طويلا، يسميه فيه بالأخ، ويطيف الشباب ..
وفى النهاية يرد عليه الطيف قائلا:
أخى مهلا، أبوك أبى
ولست ملاكك الحارس
أعيش ولا أرى صبرى
ولست بحظك العابس

محمود حسن اسماعيل

كان في الشاعر محمود حسن إسماعيل عزة المصري الأصل، وشموخ
الريفى الحر الأبي، يخاطب مصر وطنه في قصيدته "جبال الصمود" من ديوانه
"صلاة ورفض" فيقول:

أنت من جبهتي خلقت ومن أعمد ساق ذاتي حشدت كل جلالك
وهو في شموخه ابن الريف والتيل وابن مصر التي اختارت أن يمثلها أبو
الهلل في كبريائه وشموخه. ويعد شاعرنا ندا للعقاد في هذا الكبرياء المتعالي الذي
لا يدل أبداً.

ولقد كان يعيش مع أحداث وطنه ومع آلام نفسه، متفانلاً شديد التفاضل.
يقول من قصيدته "الضباب الأخضر" في ديوانه "قاب قوسين":
دعوني أغنى:

فإن الغناء طريقى إلى كل سر بعيد
خلقت لأرتاد روح الحياة
وأستل أعماقها للوجود
ومهما سرى قبلى السائرون
فإنى على كل خطو جديد

ويقول في ديوانه "نهر الحقيقة" الصادر عام ١٩٧٢م، من قصيدته
"الطريق":

طريقى أمل
وكل دروبى أمل
وخطوى أمل
إذا لاح لى الشوك أبصرت فيه الزهور
وأقداحها وهى بالعطر حولى تدور
فإن كل شوك مضيت
وإن كان عطر مضيت

وتمضى خطا الروح بين الحريق
ومن قصيدته "الأمل" في هذا الديوان، يقول:
وجسودى أمل
وعمى أمل
وكل حياتى أمل
ومهما تكن خافيات الأجل
فإنى أمل
خلقت لأنسج من كل موت حياة
ومن كل أمل غدا وثبا فى خطاه
ومن كل ليل ضياء
ومن كل دمع صفاء
وفى قصيدته "الابتسام" من هذا الديوان "نهر الحقيقة" - يقول أيضا:
تبسمى أمل
وحسرتى أمل
ونظرتى مالمحت ألا تبسم الأمل
ويقول عن "النهر":
سكوتة حياة
ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة
ويقول عن الأرض:
ترايبها حياة
وماؤها حياة
وعشها حياة
نسيمها قبل
وأرضها قبل
وأفقها أمل

وفيه أيضا يقول:

وجـودى حـقيقـة

وذائـسى حـقيقـة

ونور الحقيقة سر الحياة وسر الأمل

وأنى على الأرض طير يعسى حقيقة

هكذا عاش يغنى للحربة والثورة والأمل والحياة طيلة حياته، يقول من

ديوانه "صلاة ورفض":

سأشـدو

سأشـدو

وشدوى أعاصير رفض ونار تدور

هذا هو الشاعر الخالد محمود حسن إسماعيل، الذى قال عنه مندور^(١): أنه

عاصفة ووحشى فى طاقته الشعرية الفريدة"، والذى قال عنه السحرتى فى كتابه
"الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث": إنه من مدرسة أبوللو.

ولقد عرف الشاعر محمود حسن إسماعيل أول ما عرف فى مجلة أبوللو

وتدواتها وحلقاتها الشعرية، ثم أخذ من كل المذاهب: من مدرسة الديوان ومن

مطران ومن شوقي، ومن المهجريين، وخرج صاحب طاقة شعرية رهيبة يملك اللغة

ويملك الموهبة، ويملك التصوير والخيال والثورة الشاعرة، ويعنى بالتصوير والرمز

والتجسيم والتشخيص، ويستمد صوره الشعرية الثرية من الطبيعة فى الريف المصرى

الذى أحبه وهام به وغنى له، كما ترى فى قصيدته "بنت المعز" فى ديوانه "صلاة

ورفض"، وقد سبق أن ذكرنا بعضا منها، وكما وجدناه فى أبياته مثلا:

هـذه قصـة بـسـنا ن بـه كـنت عـبرت

حاطـبا أجمـع نـارا وأنى فـيما جمـعت

ليس لى فـأس ولا غـر س ولكنى احتـطبت

من ربيع ليس لى فـي ه سوى أنى وجـدت

ومن روائع شعره قصيدته "النفس والخطيئة"، من ديوانه "قاب قوسين"،

وفى صدرها يقول:

حملت أسمى وغدى

وسرت نحو الموعد

^(١) الشعر المصرى بعد شوقي.

وفى قصيدته "بحيرة النسيان" من ديوان "هكذا أغنى" يقول:
رفرفت فى دمي ورقفت على الرو
ح وذابت بحيرة النسيان
عندها قد نسيت ذاتي وحسى
وزماني وعيني ومكاني
ونسيت النسيان حتى كأنى
همسة فى خواطر الأكفان
فاحضنى يا بحيرتى زورقي الرو
ح وغيبسى عن ضجة الأكوان

ولقد عاش الشاعر محافظاً على أصالة الشاعرية، وعمود الشعر. ومع تجوידاته
التي كان يقارب فيها بين شعره الأصيل والشعر الجديد نجده محتفظاً بموسيقاه،
يقول: "لم يقل أحد أن الشعر فى أعلى حدود التطور والتحرر والإبداع يكون متخلياً
عن خصائص أساسية تلازمه ملازمة الشيء لذاته، فالتحرر من الموسيقى إسقاط
نهائى لصفة الشعر".

وعاش لا يقلد أحداً، ولا يحب أن يعيش تحت ظلال مذهب معين أو
مدرسة فنية بذاتها، لأنه لا يريد أن يخضع شعره لقلب خاص، ولا لمدرسة مجردة ..
بل الشعر عنده هو الوجود كله، وأبعد حدود الآفاق عامة.

ولقد كانت تنساب الشاعرية بين الحين والحين فترات شك وبأس وحزن، حتى
لنجدته يقول لمصر وطنه من قصيدة له فى "رثاء الراحل" من ديوانه "هكذا أغنى":
لم يطلب للنبيوخ فيك مقام

لا عليك - الغداة - منى سلام

المسارات تنطفئ بين كفى—

سك ويزهى بشاطئيك الظلام

قد رعبت الجميل فى كل شيء

غير ما أحسنت به الأقدام

السحرتى
ناقد من جيل الرواد
ديسمبر "كانون الأول" ١٩٠٢ / مايو "آيار" ١٩٨٣ م

-١-

كان مثالا إنسانيا حيا على الأخوة الإنسانية والتعاون الأدبى، والروح المتوقدة لخير الأدب والأدباء، والفكر المتوثب من أجل خدمة كل قضية شريفة، تعود على الإسلام والعروبة والوطن والإنسانية عامة بالخير .. ولقد بدأ حياته الأدبية بعد النصح، وجال قلمه فى المجالات الأدبية والصحف اليومية والإقليمية، ودبج المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية، كما دبج تراجم العظماء وكبار الأدباء من غربيين وعرب.

-٢-

والسحرتى فى حقبة من عمره، نظم الشعر، وأخرج ديوانا جديدا أسماه "أزهار الذكرى" ذكرى عشر سنوات قضاها فى بلده الصغير الجميل "ميت غمر" وتقع هذه الحقبة بين عامى ١٩٣٤ م و ١٩٤٣ م.

ويقول د. أحمد زكى أبو شادى فى تقديمه لهذا الديوان فى شعر السحرتى: "هو شاعر مفكر ذو غاية رفيعة فى شعره، وهى الإنسانية التى يؤمن بحقها الأول عليه إيمانا عميقا، وثانى ما نلمسه فى شعره اقباله على الطبيعة فى حب وهيام شديدين. ثم روح الإصلاح الاجتماعى الذى يتناوله بالروح الفلسفية الصادقة الحرارة. وما فى شعره من قدرة وصفية قرينة لطاقته الشعرية الممتازة، وهو موسيقى الطمع فى كل ما ينظم، على تباين شعره. إنه شاعر رومانطيقى، أحب الطبيعة والريف حبا خالصا. فاندمج فى روحيهما، وعبر عنهما بشعر عذب صافى فى طلاقه حميلة لا تحمل تنافرا لفظيا، ولا يشبها خلل موسيقى، ولا تأسرها فيود صاعبه، ولا سرل بها رعة لإرساء الجماهير". وليس السحرتى ممن يحترم مبدأ الفن للفن، ولكنه يؤمن بأن الفن للحياة فى أسمى معانيها .. إنه ليس له وثبات ناجى ولا رمزيات الصيرفى. ولا عانيات صانع جودب، ولا وصفيات الثوباسى. ولا دباحه السوسى أو الحصى

ولا ترسل عثمان حلمي. ولكن له أسلوبه الموسيقي المتحرر. وروحانيته الساذجة الحلوة، وورقياته الجميلة، وعواطفه الإنسانية الحارة، ومطافته الشعرية النابغة، وله قبل ذلك وبعده فنه الذي يعتز به ويدعو إلى الاعتراف به بين شعراء المدرسة الحديثة الموهوبين، وكيف لا يكون ذلك وهو الجامع بين الطلاقة البديعة والخيال الرائع والموسيقى المستحقة في نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحدا، وإن تجاوب مع أقرانه من أعلام النهضة الشعرية في العالم العربي، وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية، كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية، وحسبك أن نفترض حرماننا من نماذج هذا الشعر الحديث، فتشعر بالفراغ الذي تشغله شخصية السحرتي الشاعر، وإن أبى عليها إلا التواضع أو التوازي. كأنما ذلك من أصول فنه العميق.

ثم هجر ميدان الشعر وتحول إلى ميدان النقد، والبحث الأدبي، وصار علما من أعلام هذا الميدان، بما اتسم به من ثقافة واسعة، وحيدة نادرة، وخلق كريم. وكتابات السحرتي من نبع شخصيته الناضجة، وإنسانيته العميقة، وليس أوصف للسحرتي من قول "الدكتور أحمد زكي شادي" عنه أيضا في تصديره لكتابه "أدب الطبيعة":

"ليس مصطفى عبد اللطيف السحرتي إلا الأديب الإنساني بأوفى معانيه، وهو بفطرته شاعر الطبيعة المطبوع في جمالها ومعانيها إلى أبعد ما تلهمه الشاعرية الصحيحة، وهو رجل مكتمل الأخلاق، ناضج الإحساس، متزن التفكير، يدين بالإنسانية في صميم وجدانه، وينض فؤاده بنبضات هذا الكون العظيم".

- ٣ -

توثقت علاقتي بالسحرتي سبعة وثلاثين عاما، أي منذ عام ١٩٤٦م، فعرفت فيه إنسانا طيب السيرة والبريرة، إنسانا هادئ النفس، دمث الخلق. حلو الحديث، إذا لاقياه تفتحت نفسه في نفوسنا، وأفاض روح المرح والفرحة والأمن في قلوبنا. ويقع قارئ ديوانه "أزهار الذكرى" على شواهد من هذه النزعة المتفائلة في قصائده، ونذكر على سبيل المثال قصيدته "الفرحة" التي جاء فيها:

فمالي لا أمر بلا قيود

وأبسم في غدوى أرواحي

وأنسى الهم إن الهم نقل
يهدد في السماء وفي الصباح
وأمرح مثل عصفور سعيد
وأتشمس المنى في كل ساح
فما الدنيا سوى جدل وأنسى
ولذات جنين من الكفاح
وليس يدوم للإنسان شيء
سوى البسات واللهو المباح
وللبسات سحر أى سحر
ووخى مشرق في القلب صاحي

هذا هو العلاج الروحي القوى الذي عالج السحرتي به دواءه، وشفى به
كثيراً من المتصلين به، الدواء الذي استخلصه من تجارب الحياة الجادة المريرة.
وتغلب به عليها، فإذا طاف به طائف من الهم أو الكدر نحاه بروحه المرحه، وفلسفته
الرواقية التي لا تأبه بالهموم والآلام، وفي قصائده "الوحدة" و"المرح" و"شفاء
الروح" و"ضحكة"، يكشف لنا عن مطاردته للهموم، باللواذ إلى الطبيعة واللواذ إلى
نفسه القوية. وفلسفته الرواقية، فيقول مثلاً في قصيدته "ضحكة".

سأضحك للوجود بملء قلبي
وأهتف للطبيعة حلوه تف
وأهزأ بالهموم وإن توالى
فتنقش الهموم سحب صيف
وأرسل ضحكتي في الجو تبرى
فليحضرها الأثير كخير ألف

-٤-

وحياة السحرتي التي عرفنا لمحات منها تدل على أنه رجل عجب، يختلف
عن الناس ويسمو على بيئته، ويميل إلى أن يعيش عبثة فكرية وروحية خالصة. ولم
يقبى من وراثته وبيئته إلا ما انسق مع هذا النزوع.

فقد تقوت محبة الطبيعة لديه في موطنه "ميت غمر" وهو بلد رومانيكي جميل، تحيط به مياه النيل من جهاته الأربع، وتحف به الحدائق والحقول. وورث من والده الحاج عبد اللطيف السحرتي وكان من كبار تجار هذا البلد: الصراحة والذكاء والميل إلى الفكاهة، ومن والدته الطيبة والتواضع ورقة الحاشية. وتفرّد في أسرته بالزوف عن المادة، لما قرأ في روحه من شفافية، ولهذا كان أكبر من بيئته ووراثته.

وكان ميلاده في الثالث والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٠٢ م.. وفي جميع مراحل دراسته من ابتدائية وثانوية وعالية، كان ميله إلى الناحية الأدبية بارزا، وتأثره بأساتذة اللغة العربية والأدب تأثرا قويا، ويحدثنا السحرتي عن هذه الناحية من حياته فيقول:

"تلقيت أول تعليمي "بالكتاب" وحفظت به بعض القرآن الكريم، ثم أتممت دروسى الابتدائية بمدرسة "ميت غمر". ونلت الابتدائية عام ١٩١٦م، وكنت مقررا باللغة العربية والإنجليزية والتاريخ، وأذكر محنتان عميق أستأذى الشيخ مصطفى الزفتاوى، ونماذج الإنشاء التي كان يملها علينا ونحفظها عن ظهر قلب، أعدها بدرجة أولى في تحبيب العربية إلى نفسى، وتلقيت تعليمى الثانوى بمدرسة كشك بزفتى، ومدرسة الأقباط بميت غمر، حيث نلت شهادة الكفاءة، وأكملت دراستى الثانوية بمدرسة الزقازيق الثانوية، حيث نلت البكالوريا عام ١٩٢٢م، ولا أذكر من أثر الأساتذة فى نفسى فى هذه المرحلة إلا أستاذ اللغة الإنجليزية بمدرسة الأقباط مصطفى البلقينى، وأعزوا الفضل فى أجادتي لهذه اللغة إلى هذا الأستاذ الضليع، ولا أنسى فضل أستاذين كبيرين كانا بمدرسة الزقازيق، هما: الأستاذ مصطفى عامر، وأحمد العدوى أستاذ التاريخ فى ذلك الوقت، وما كان يفيضان على وعلى زملائى من مودة، وما كان يطران فى أثناء دروسهما من موضوعات اجتماعية وفكرية يثيران بها شوقنا إلى البحث، ويزرعان بها فى نفوسنا بذور الحرية الفكرية. وعند انتهائى من المرحلة الثانوية، وقفت مترددا بين الالتحاق بمدرسة المعلمين والحقوق. وانتهيت إلى إيثار الثانية، حيث نلت إجازة الحقوق عام ١٩٢٦م. وظل شوقى إلى الأدب متوهجا بنفسى فى غضون دراستى القانونية، وكان وقتى موزعا بين الأدب والقانون، فكنت أبدا بمطالعائى الأدبية لأفتح شهيتى إلى الدروس القانونية، واستساغة مادتها الحافة"

وما كاد السحرتى ينتهى من دراسته القانونية بالقاهرة حتى أحس بصدوفه عن المحاماة، ووجد حلا ظاهريا فى الذهاب إلى باريس لنيل دكتوراه الحقوق. ولكنه ما كاد يستمع إلى الدروس حتى احتواها، وانصرف عنها إلى الأدب فالتحق بجامعة السربون عام ١٩٢٦م، أيضا. كما التحق بكلية الدراسات العالية لدراسة الصحافة، وأنفق باقى وقته بالمكتبة الأهلية، والاختلاف إلى المحاضرات العامة التى كانت تلقى فى المعاهد المختلفة فى الأمسيات، ولكنه لم يستمر طويلا بباريس، إذ عاد بعد أشهر إلى القاهرة، واشتغل بالمحاماة ستة عشر عاما حتى أواخر عام ١٩٤٢م. وتعد الفترة القصيرة التى قضاها فى باريس نقطة تحول فكرية فى حياته، وفى توسيع آفاق معارفه، وتقوية إيمانه بالحرية والديمقراطية الحقّة.

يقول السحرتى: "فى جو باريس امتلأت رتائى بنسيم الحرية. وتأيد إيمانى بالديمقراطية، وأحببت باريس الأدبية التى فاضت حساسيتها على نفسى وأثار ذكاؤها ذهنى".

وقد سجل أثر باريس فى سبع مقالات طوال كتبها عنها بمجلة السياسة الأسبوعية فى عدد ٥ مارس (آذار) ١٩٢٩م، إلى عدد ٢٥ إبريل (نيسان) ١٩٢٩م، وهى مقالات نابذة تليق بأن تضم فى كتاب مفرد. وسجل إلهامات باريس فى عدة بحوث طويلة كتبها بجريدة وادى النيل فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٨م، والشرق الجديد فى يناير (كانون الثانى) ١٩٢٩م، والبلاغ فى يوليو (تموز) عام ١٩٣٠م، وهذه المقالات جديرة بأن يضمها كتاب مستقل.

ولا ينسى السحرتى أثر هذه الرحلة فى حياته فيقول: "قد لا أكون مغاليا إذا قلت: إن رحلتى على الباخرة من الإسكندرية إلى مرسيليا هى أجمل رحلة فى حياتى، وأثرها إلى قلبى، لما امتلأت به عيناى من مشاهد خلابة. ولست أنسى ما حييت لقائى على الباخرة بتاجر هندي مثقف، كان يبيع الماس فى باريس. فقد كان يروى لى فى هذه الرحلة تاريخ الهند وأعمال رجالها العظام، وبخاصة الزعيم الهندى غاندى*.

ويقول السحرتى: "إن غاندى أثر فى توجيهى تأثيرا كبيرا فى حقبة من حياتى، فلقد تجاوزت روحى معه تجاوبا قويا. واتخذت شخصيته مثالا لى فى كثير

من أعماله، وبلغ من تأثره بتعاليمه أنه كنت أفضى يوماً من أيام الأسبوع صائماً ومعتكفاً عن الناس، للتأمل والمطالعة. كما أثرت شخصية "سعد زغلول" الجداية، وبلاغته الساحرة، واتجاهه إلى الديمقراطية الوطنية في نفسى أعظم التأثير".

-٦-

اشتغل السحرتى بالمحاماة ببلده "ميت غمر" ستة عشر عاماً، كان فيها مثالا للمحامى النزيه الشريف الكفء، وقرن إلى جهوده فى المحاماة جهوده الأدبية الممتازة، فكتب فى المجالات الأدبية والصحف اليومية مقالات أدبية واجتماعية نابهة، نذكر منها: مجلة السياسة الأسبوعية، ومجلة الأدب الحى، ومجلة السفير، والرسالة، ومجلة الطلبة المصريين، وجريدة البلاغ، والوادي. وكانت مجلة السياسة الأسبوعية هى مجلته المفضلة، التى لم يخل عدد من أعدادها منذ عام ١٩٢٦م، إلى عام ١٩٣١م، من مقال له، ودارت مقالاته حول الأدب الفرنسى. وتراجم العظماء والأدباء غربيين ومصريين ونذكر من هذه المقالات:

- ١- الرومانيزم ولامارتين (٢٠ أغسطس/آب) سنة ١٩٢٧م.
- ٢- الصحافة فى البلاد المتمدينة (١٧ سبتمبر/أيلول) سنة ١٩٢٧م.
- ٣- العبقريّة والعقريون (٢٨ أبريل/نيسان) سنة ١٩٢٨م.
- ٤- الحزبية والوطنية.
- ٥- أثر الخبر فى الجمال والفن (٥ مايو/أيار) سنة ١٩٢٨م.
- ٦- أسباب الحرب الكبرى ونتائجها (١٦ يونيو/حزيران) سنة ١٩٢٨م.
- ٧- الإجرام فى مصر أسبابه وعلاجه (سبتمبر/أيلول) سنة ١٩٢٨م.
- ٨- الأدب القومى (١١ أكتوبر/تشرين الأول) سنة ١٩٣٠م.
- ٩- الخيال وأثره فى الحياة (١٤ أبريل/نيسان) سنة ١٩٣٤م.

وبعد السحرتى من خيرة كتاب التراجم، فقد كتب ترجمات فنية موفقة بالسياسة الأسبوعية، وغيرها من المجلات، وهى جديرة بكتاب منفرد، ومن هذه التراجم: سقراط بمجلة السياسة الأسبوعية فى ٧ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٢٨م، وترجمة الأديب الألماني جوته ونشرت بمجلة السياسة الأسبوعية فى ١٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٧م، وترجمة بديعة للشاعر الفارسى "السعدى الشيرازى" ونشرت بمجلة السياسة الأسبوعية، وترجمة "تولستوى" بمجلة السياسة الأسبوعية فى

١٨ مايو (أيار) سنة ١٩٢٩م، وترجمة الأديب الفرنسي "روسو" بمجلة السياسة الأسبوعية في ٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٨م، والشاعر الأميركي الجهير "هويتمان" بمجلة السياسة الأسبوعية في ٢ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٩م، والصحافي المصري الجري "أمين الرافعي" وهي منشورة بمجلة السياسة الأسبوعية في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣١م، كما نشر ترجمة بمجلة "الطلبة المصريين" عن شكبير في ١٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٨م، وترجمة أخرى لفاندي، وترجمة لطاغور بالمجلة السابقة في ٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨م، وكتب مقالا مفصلا بجريدة البلاغ عن "المنفلوطي" في ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٩م، وبمجلة الرسالة عن شخصية ابن خلدون في ١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٤م، كما تناول غير هذه الشخصيات الاثنتي عشرة، شخصيات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

-٧-

ولم تقف جهود السحرتي على عمله الخاص بالمحاماة، ولا على أعماله الأدبية، بل إنه أسهم إسهاما إيجابيا في الحركة الوطنية في مصر، وكان مثالا للوطنى النزى، المجرد من الغايات، والمترفع عن التحزب والتعصب، ويدخر له بنو وطنه المحبة والتقدير كلما جرى اسمه على الأفواه، ويذكرون له خطبة الوطنية المهدية، الداعية إلى الإصلاح والحق والعدل والحرية، كما يذكرون له جهوده الثقافية والاجتماعية الإيجابية في إقليمه، و>دأبه في رفع معنوية الجماهير، وإيقاظ أرواحهم وتنقيتها. ونذكر من هذه الجهود تكوين جمعية اجتماعية فريدة لتعليم المشردين، وأبناء الفقراء، بعض الحرف والصناعات، وإنشاء فصول ليلية بالمدارس الإلزامية لتعليم العمال والكبار الأسنان القراءة والكتابة، وإسهاماته الفعلية في معاونة المتعفين من الفقراء والعاجزين عن العمل، وتحريره جريدة الإقليم "الوقت" لتنوير الناس وتوجيههم توجيهها طيبا، وقد كان يملأ قلمه صفحات هذه الجريدة. وقد اطلعنا على بعض من أعدادها فإذا بنا نحب من هذا الجهد القلمى الدائب الذى كان يبذله لتثقيف أبناء إقليمه، ففي العدد ٤٦٢ المؤرخ ٢٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٣٩م، نجد مقالا بعنوان "بين الجمود والتجديد"، ومقالا آخر "في المرأة" بقلم: م. لطفى، وهو الاسم القلمى الذى استعاره لمهر مقالاته به، وكل عدد وقفنا له عليه كان يحوى أكثر من مقالين، ولمحتين أو ثلاثا متناثرة في كل عدد.

ولقد تخللت الفترة التي قضاها بالمحاماة فترة تعد من أخصب الفترات في حياته الأدبية، إذ اتصل في أوائل عام ١٩٣٤م. بجماعة "أبوللو" وتعرف إلى رائدها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وكان واسطة التعارف بينهما الشاعر عبد العزيز عتيق مدير إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم فيما بعد. كما تعرف على أدبائها وشعرائها، وعلى رأسهم على محمود طه، وناجي، والصيرفي، وزكي مبارك، وصالح جودت، ومختار الوكيل، ومحمود حسن إسماعيل، والسحراوي .. وغيرهم من أدباء الحركة الابتداعية في مصر.

وكانت صداقته لأبي شادي من أكرم الصداقات، وفي ذلك يقول السحرتي: "كانت صداقتنا صداقة نقية عابلة، صداقة فكرية وروحية معا. وكانت آراؤه في ذلك الحين مصدر إلهام زاهر لي، كما كانت كتاباته النثرية المركزة من العوامل القوية التي جذبتني إليه. ولم أكن بنزعتي الواقعية أميل إلى الشعر الخيالي، ولكنه حبسني إلى الشعر، وأوحى إلي تأليفه، حتى تمكنت في عام ١٩٤٣م. من إخراج ديوان "أزهار الذكرى" الذي جمع أكثر شعري من عام ١٩٣٤م، إلى عام ١٩٤٣م". واذكر بالامتنان تصديره النبيل الجامع لهذا الديوان، الذي يفسر روحه الكريمة الوفية، والذي جاء فيه عن الديوان:

"وأنا إذ أتناول شعره بالعرض إنما أمازج نفسه الحلوة وفكره الناضج وطبعه النبيل ومواهبه المتألقة، التي طالما جذبتني إليه فنهلت من عذوبتها ولبست من إشراقها". حقا لقد تأثرت في فوعتي وصدر شبابي بأدب المنفلوطي وأسلوبه، كما تأثرت بعده برواد الأدب وأعلامه في الجيل الماضي، وعلى رأسهم الدكتور طه والدكتور هيكل وغيرهما، ولكن أحدا منهم لم يؤثر في تأثير الدكتور أبي شادي".

وفي أفياء جماعة أبوللو تجلت طاقة السحرتي الأدبية، فكتب في أبوللو ورأس تحرير مجلة الإمام، كما أسهم هو والدكتور إسماعيل أدهم في تحرير مجلة أدبية، اقتضرت على أدب أبي شادي وأدب أصدقائه الحميمين، كما أخرج في عام ١٩٣٧م، كتابه المدرسي البديع "أدب الطبيعة"، وقد صدره الدكتور أبو شادي بمقدمة جاء فيها: "إن أدب الطبيعة: هو من صميم الأدب العالمي، وهو كتاب أخلاق رفيع، وسجل ثمين للوجود الحي، وهو تعريف متزن بالشعر العصري، وعرض جميل لأدب مأثورة عند العرب والإنجليز والفرنسيين والأمريكيين قديما وحديثا، إلى جانب روائع الأدب المصري القديم. وصفحات الكتاب على وفرتها تضم أكثر

مما تبدى، لأن الأسلوب المركز الذى اشتهر به المؤلف هو خير ما قل ودل، وهو مع ذلك بعيد كل البعد عن الإبهام أو التعقيد". وفى مجلة الإمام جال قلمه جولات موفقة وكتب مقالات نابية، ونذكر من هذه المقالات: ثلاث مقالات كتبها فى نقد وتحليل كتاب "ابن الرومى" للعقاد، ومقالة عن "البارودى" فى عدد خاص أخرجه، ومما يستحق التنويه بحثه القياض عن "سعد" وقد صدر به عدد خاص من الإمام فى ست وعشرين صفحة. وهو من أمتع البحوث التى ظهرت عن سعد زغلول. ولم تقف جهود السحرى فى هذه الفترة على الكتابة فى مجلات أبوللو، بل دبح مقالات فى المجلات المصرية، ومن بينها: مجلة "الرسالة"، ومجلة "الأسبوع الأدبية" التى كان يصدرها فرنسيس دوس، ومجلة "أبو الهول"، ومجلة "السفير" التى كانت تصدر بالإسكندرية .. وغيرها من المجلات.

-٨-

وفى أواخر عام ١٩٤٢م، ضاق السحرى بحياة الريف، ولم يجد كثيرا من اللذة فى المحاماة، فالتحق بالعمل الحكومى بالعاصمة فى أوائل عام ١٩٤٣م، وكىلا بقم الدعاية والنشر بوزارة الوقاية لكى يجد فى جو العاصمة مجالا لدراساته الأدبية وقراءاته. ولكنه ما كاد يدخل الوظيفة حتى شعر من أول يوم، أنه وضع نفسه باختباره فى سجن، وفى ذلك يقول السحرى: "لقد شعرت بعد طلاقى فى الريف، بأنى وضعت اللجام فى فمى، وخلفت من ورائى ذكريات سعيدة، وهجرت أعمالا خيرة لا أستطيع إتيانها فى العاصمة، وحثوت الرماد على تراث كان يمكن أن ينمو ويزدهر لولا مفارقة البلدة الصغيرة". وقد وقفنا له على قصيدة لم تنشر يعرب فيها عن لواهج نفسه وضيقه فى بداية اشتغاله بالحكومة، ويقول فيها:

أقصيت نفسى عن فضاء واسع
وحبستها فى أضيق الجدران
وشعرت أنى قد أضعت طلاقتى
وهى الملاذ الحر للإنسان
فرجعت أعدل هذه الروح التى
هامت بمصر وأضربت تحناتى

أشيعت بغيتها بهجرة موطنى
وأثيت أنشد فرحة الوجدان
فإذا هنا الآل فى هذا السورى
وإذا الحقيقة مرة لجنائى

ولم يعرف فضل السحرى فى عمله الحكومى، مع إخلاصه وتفانيه فى عمله،
وشجاعته فى إبداء رأيه، فقد نقل إلى وزارة التجارة بعد إلغاء وزارة الوقاية، واشتغل
بالقسم التشريعى بها بالتحقيقات، ثم ضم أخيراً إلى النيابة الإدارية، حيث اشتغل
رئيساً لقسم النيابة بوزارة العدل. ثم نقل إلى وزارة الثقافة مديراً عاماً لإدارة الثقافة
فيها، والمعروف أن الوظيفة لم تقيد به بأغلالها ولا روتينها، فقد كان لا يزال كالمعهد به،
الإنسان الحر والأديب المترفع الزاهد عما يجرى وراءه الموظفون عادة من التملس
الخطوة، أو الجرى وراء ترقية.

-٩-

وعمل مع صديقه الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى فى "جمعية الأدباء" التى
أسست عام ١٩٤٥م، وبعد هجرة أبى شادى إلى أميركا فى أبريل (نيسان) عام
١٩٤٦م، تفرغ للأدب.
ويتنوع جهوده الأدبية فى هذه الفترة كتابة "الشعر المعاصر على ضوء النقد
الحديث"، الذى أخرجه فى عام ١٩٤٨م، وبعد من المراجع القيمة فى دراسة النقد
الأدبى المعاصر.

ويذكر له جهوده البناءة فى قيام ودعم رابطة الأدب الحديث، وما كان
يلقبه فى ندوتها من محاضرات نفسية مدروسة، ونذكر منها محاضراته عن "فن القصة
القصيرة"، و"فن الشعر"، و"فن النقد الأدبى"، و"فن الصحافة"، و"فن المسرحية"،
و"فن المقال الأدبى"، و"الأصالة الفكرية"، و"الجموح القلمى" وغيرها من
المحاضرات التى لا يتسع المجال لذكرها، وتؤلف كتاباً ضخماً.

ولم تقف جهود السحرى عند التأليف والمحاضرة، ولكنه كان يكتب بين
حين وآخر فى المجلات الأدبية الشهيرة، وقد خص "المقتطف" من قبل بمقالات
نابهة، كما جال قلمه فى مجلة الميزان والأديب المصرى فى عام ١٩٤٩م، ونشر
طائفة من المقالات فى مجلة "الأديب" البيروتية وغيرها من المجلات، ومما كتبه

فى الأديب البيروتية دراسات عن شخصيات الشعراء: ناجى، وأبى شادى، ومحمود أبو الوفا، والتيجانى، والشابى، وهى دراسات سيكولوجية فريدة فى بابها، وقد ضمها كتاب "شعراء مجدّدون".

وكان السحرثى فى كهولته عازفا عن نشر إنتاجه الأدبى، يؤثّر إبداعه سجلاته الأدبية والسيكولوجية، وما يزال الكثير منه مخطوطا، ومن هذه البحوث نذكر بحثه عن "الأصالة الفكرية" الذى نشر منه كلمة فى مجلة "ليالى الأدب" التى أخرجتها رابطة الأدب الحديث فى عام ١٩٥٦م، وبحثه عن "سيكولوجية الشخصية" و"سيكولوجية الحب"، وبحثه عن "فن الكتابة" وغيرها من البحوث، وكثيرا ما كان يقول: "نحن لا نزال نقف على عتبة المحراب، فلنقف فى خشوع وسكون وابتهاال!".

- ١٠ -

وبعد هجرة أبى شادى وجه السحرثى جهوده إلى النقد الدبى، وهو يرى أن مهمة الناقد مهمة شاقة عسيرة، ومسئولية خطيرة أمام نفسه وفنه ومجتمعه. وهو يصور منهجه فى النقد قائلا: "النقد الأدبى اليوم قضية مركبة عويصة تحتاج إلى قضاة عدول صارمين فى الحق، ولا يساغ النقد، بدفعة من دفعات العاطفة، أو نزوة من نزوات النفس، أو خطوة من خطوات الهوى، ولا بلمحة من لمحات الذكاء بل لابد من ضمير حى، وبراءة من الميل، وتجاوب مع روح المنقود، واقتراح بأفكاره اقتراح مودة، والرجوع إلى جوه وبيئته وشخصيته، ودراية ذكية بالأصول النقدية، وبأحدث مذاهب النقد المعاصرة، فإذا تعدد التجرد النفسى وعثرات الزمالة بالمنقود، واستحال التكيف بالجو الذى شدا فيه الأثر الأدبى وترعرع، وتحوّلت شخصية المنقود، وقلبت الأهواء بالقواعد النقدية. فلن يصح نقد، ولن ينصف منقود".

والنقد التأثرى الجمالى هو الغالب على فكره النقدى، وإن أخضع ذلك كله لمنطق المذهب الفنى فى النقد.

والسحرثى فى نقده الأدبى يحرص على الاعتدال والاتزان فى الحكم. مع الميل إلى التجديد، واختير السحرثى محاضرا لطلبة معهد الدراسات العربية العالى فى النقد، كما اختير عضوا فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فترة طويلة، ثم عضوا فى هيئة تحرير مجلة "الثقافة" التى صدرت عن وزارة الثقافة فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣م.

وقد صدرت للسحرتى كتب رائدة منها:

- ١- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث.
 - ٢- شعراء مجددون.
 - ٣- شعر اليوم.
 - ٤- أدب الطبيعة.
 - ٥- الفن الأدبي.
 - ٦- النقد الأدبي من خلال تجاربي.
 - ٧- شعراء معاصرون - بالاشتراك مع الأديب العراقي الكبير هلال ناجي.
 - ٨- الرصافي الشاعر بالاشتراك مع الدكتور خفاجي، والأديب العراقي الأستاذ قاسم خطاط.
 - ٩- أيديولوجية عربية جديدة.
 - ١٠- دراسات نقدية - وقد نشرته الهيئة المصرية للكتاب في أوائل عام ١٩٧٤ م.
 - ١١- دراسات نقدية في النثر - صدر عن الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٧٩ م.
 - ١٢- الأصالة الأدبية - صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية بعد وفاته.
 - ١٣- وديوانه أزهار الذكرى.
- وقد تناول النقاد والكتاب شخصية السحرتى وأدبه بالدراسة، فأصدرت "رابطة الأدب الحديث" عن أدبه كتاباً حافلاً بعنوان "دراسات في النقد المعاصر". وفي كتاب "مدرسة أبوللو" للدكتور محمد سعد نشوان، فصل عن السحرتى. كما تناوله د. محمد مندور في كتابه "الشعر المصري بعد شوقي". وهناك العديد من الدراسات التي كتبت عنه في حياته وبعد وفاته، وما أجدرها بأن تجمع في كتاب.

الصيرفي
شاعر التجديد
٦ سبتمبر ١٩٠٨ - ٢٠ مايو ١٩٨٤ م

- ١ -

رحم الله الصيرفي، لقد كان شاعراً مجوداً، وصاحب موهبة شعرية محلقة .. ولقد خسر الشعر العربي بوفاته في العشرين من مايو عام ١٩٨٤ م - عن ستة وسبعين عاماً - قيّارة شعرية ساحرة، طالما غردت للجماهير العربية، وأثرت فيها على امتداد أكثر من نصف قرن من الزمان ..

إن هذا الشاعر "الأبوللى" المبدع، الذى عاش فى رحاب الشعر هذا الأمد الطويل، ليعد علامة على الطريق، وأحد معالم الشعر العربى المعاصر. ولا عجب فقد كان من أرهف الشعراء ذوقاً، وألفهم شعوراً، وأرقهم فكراً ومضموناً، وأوسعهم افتتاًناً فى التجديد، وأكثرهم أصالة فى الديباجة الشعرية الجميلة، وفى الصورة الشعرية المتميزة .. ولقد أخرج الصيرفى العديد من الدواوين، من مثل: (الألحان الضائعة - الشروق - صدى ونور ودموع - عودة الوحى - شهر زاد - زاد المسافر - النبع - صلواتى أنا - نوافذ الضياء).

وأسلوب الصيرفى الأثيرى، وموسيقاه التى توائم الموضوع الشعرى، ورمزياته العديدة فى مختلف تجاربه، وصور القصيدة وأنغام القافية المختلفة عنده، وتجويده فى شعر الحزن والألم .. وكل ذلك موضع التفات النقاد واهتمامهم. والصيرفى شاعر رومانتيكى حاله، يستمد شعره من الحياة والطبيعة ومن الألم والأمل، ومن الجمال والكون والأحلام والرؤى الباطنية العميقة. وقد ولد الصيرفى - ابن دمياط الجميلة - فى ٦ سبتمبر من عام ١٩٠٨ م وبدأ ينظم الشعر وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وترك المدرسة عام ١٩٢٥ م ليتفرغ للشعر^(١).

^(١) انظر: مذهب الأدب الخفاجى - طبع القاهرة ١٩٥٣ م.

ومنذ عام ١٩٢٧م بدأ ينشر شعره في مجلة "العصور" وغيرها، ولما تأسست "جماعة أبوللو" الشعرية برئاسة الدكتور أحمد زكي أبو شادي صار أحد أعضاء الجماعة، ومحرراً في مجلتها، وأحد القريبين من أبي شادي، والأثيرين عنده. وقد شغل الصيرفي وظائف عديدة في مجلس النواب سابقاً (الشعب حالياً) وفي إدارة الثقافة بوزارة الثقافة - وعمل محرراً في مجلة أبوللو، وفي مجلة "الشعر"، ونائب رئيس التحرير في مجلة "الكتاب العربي"، وكان عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب .. وحقق ديوان البحري تحقيقاً علمياً فريداً، وهو من أهم إنجازاته العلمية، كما حقق ديوان المثقب العبدى، وديوان المتلمس، وطوق الحمامة، وكتاب الطيف والشباب للشريف المرتضى، وكتاب "أخبار البلدان" للقزويني، وبعض كتب أخرى من المكتبة الجغرافية الإسلامية .. وأصدر كتاباً بعنوان "حافظ وشوقي" وغير ذلك من أعماله التراثية والأدبية.

وفي عام ١٩٣٤م صدر للصيرفي عن جماعة أبوللو ديوان "الألحان الضائعة" الذي صدره أبو شادي بمقدمة جاء فيها: "الصيرفي^(١) شاعر أصيل، فياض الشاعرية، المستوحاة من أغاني الربيع، ومن الصدى الخافت، ومن جفاء الطبيعة، ومن البسمات الساحرة، ومن موت الببل، ومن كل ما توحى الحياة والموت للشاعر الحساس النبيل، وهو شاعر في بيانه، وشاعر في حياته، شاعر في خلقه، وهو الفنان الناضج في تعبيره الوجداني المتفوم، وفي صور حياته العامة".

ولئن كان شعر علي محمود طه يتميز بفخامة اللفظ، وروعة الأسلوب ورصانة الجمع بين القديم والحديث، وشعر ناجي يتميز بسحر العاطفة وجمال الدوق، وجلال المعاني، فإن شعر الصيرفي يتميز بموسيقية الساحرة، وألحانه الحاملة، وصفاء الديباجة وإشراقها، وسدو الفكرة، والتقصي الوصفى فيما وراء الصورة. وشعره سداه الأثم، ولحمته أحزان النفس وهمومها، تنزع نفسه إلى التجديد وابتداع الخيال. ولقد صهرت الآلام روح الشاعر، والدموع ضرورية للعبقرية كما يقول بعض

النقاد، بل كما يقول الصيرفي نفسه:

دموعي كنت آمالاً

تمدد القلب بالبشر

^(١) أصيلاً وما بعدها الألحان الضائعة للصيرفي.

وكانت هذه الآمال
كالأنفاس في الفجر

- ٢ -

ووصف الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي الشاعر الصيرفي بأنه مجدد هادئ الجوهر، صافي النفس، رقيق الشاعرية عذب الموسيقى^(١)، يتميز بمعانيه الأصيل في الطبيعة^(٢) وبخياله الذي يخلق لك جواً عطراً عبقاً بالعطر الشعري والموسيقى الهادئة^(٣).
ويصفه إسماعيل أدهم بأنه شاعر رومانسي النزعة، غنائي الروح موسيقى التعبير^(٤).
وينوه بروكلمان به، وينزعه كأحد أتباع الشعر، الرمزي^(٥)، كما نوه ناقد آخر بشخصيته الواضحة في شعره^(٦).
واللون الوجداني هو السمة الغالبة على شعر الصيرفي^(٧)، ونزعه القوية إلى التجديد ظاهرة من ظواهر شعره، يسعفه في ذلك خيال جامع، وحس قوى^(٨)..
ويشير د. محمد كمال حسين إلى أثر الأدب الغربي في شعراء مدرسة أبوللو، وإلى معاني الصيرفي المبتكرة في قصيدته "عقب السجارة" في ديوانه "الألحان الضائعة" وهي قصيدة ليس لشاعر آخر نظير لها^(٩)، وهو في أكثر قصائده ذو نزعة تجديدية، يميل دائماً إلى التحرر من القافية كما كان يحلو لشعراء المهجر أن يفعلوا^(١٠).

(١) مجلة أبوللو - عدد ديسمبر ١٩٣٤م.

(٢) أدب الطبيعة للسحرتي ص ١٠٧ و ١٠٨.

(٣) المرجع نفسه ص ١٢٢.

(٤) ص ٢٢٨ و ٢٢٩ خليل مطران لأدهم ..

(٥) ص ١٦٥ و ١٦٨ الجزء الثالث من ملحق تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

(٦) البلاغ الأسبوعية - عدد ٥ سبتمبر ١٩٣٤م.

(٧) ملحق السياسة - أول سبتمبر ١٩٣٤م - للكاتب أحمد فتحي.

(٨) جريدة البصر - عدد ١٤ سبتمبر ١٩٣٤م.

(٩) جريدة الوادي ١٥ سبتمبر ١٩٣٤م.

(١٠) المقتطف عدد نوفمبر ١٩٣٤م.

وينوه سيد قطب بطلاقة الروح الفنية في شعر الصيرفي، وشعراء أبوللو عامة^(١) - وحلل رمزي مفتاح فلسفة الصيرفي حول الزمن بتحرر عقله من قيوده عندما يتسامى به الفن عن ضجيج الحوادث، ويرى أنه حامل هذا اللواء بين الشعراء المحدثين^(٢).

-٣-

وكان الصيرفي مجيداً في الرثاء والألم والشكوى ووصف العواطف والمشاعر والأحاسيس النفسية الدفينة، وفي الرموز الغامضة المعبرة، والأوصاف الدقيقة. ويجمع شعره بين السلاسة والتعبير القوي والفكرة العميقة، وبيته الشعرى يجمع صوراً كثيرة متلاحمة مصبوبة في قالب شعري جميل، مع البراعة النادرة في رسم الصور والظلال، وتوشيتها بألوان ساحرة من الخيال، وإضافة التفاصيل التي تنم عن فطنة بارعة، وذهن خصب، وملكة نادرة مصورة.

وقصيدته "الشاعر" من ديوانه "الألحان الضائعة" لعله تأثر فيها بالشاعر فوزي المملوك في ملحمة "على بساط الريح"، وإيليا أبو ماضي كذلك. وهذه القصيدة في رأيي هي التي ينهج فيها نهج علي محمود طه في قصيدته "ميلاد شاعر"، وهي طويلة تقع في أكثر من خمسين ومائة بيت. أما ديوانه "الشروق" فيمثل روح شاعر مجرد، نزاع إلى الطلاقة الفنية، وإلى الحرية التي لا تتنكر للموسيقى، ولا تتقيد بقيود القافية الشكلية، وفيه ينزع الشاعر إلى السعادة الروحية، فيقول:

الرضى ما أجمل الدنيا به

بسمة تخرج من ثغر نبى

ويقول وهو يشعر بلذة السعادة في غفوة حلم:

تعال فقد عرفت حدود نفسي

وأدركت السعادة ملء كأسى

وفي ديوانه "صدى ونور ودموع" زاد تألق شاعرية الصيرفي، وارتفعت أسهمه في ميدان التجديد والتجويد، وعمقت فلسفته في الحياة، وزاد تحرره من

(١) الأهرام عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٣٤م.

(٢) البلاغ عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٣٤م.

القيود الفنية التي لا تتنافى مع روح الشعر والشاعر، وعلت بذلك مكانته بين شعرائنا الكبار ..

-٤-

أما دواوينه الستة الأخيرة فقد صدرت عن دار المعارف قبل وفاته بعام، وتمتد من أرفع الإبداعات الشعرية: موسيقى، وصورا شعرية، وخيالاً خلاباً، ومضموناً إنسانياً عالياً، في صياغة عذبة رصينة، فيها حلاوة الإيقاع، وسحر الإلهام، ومجال التناسب، وحرارة العاطفة، ووضوح التيار الرومانسي الحالم. والشاعر في تعدده لمواقف التجربة في قصيدته وتغييره للقافية عند كل موقف منها، وفي قوة تأثيره وإيحائه، سيظل سباقاً في ميدان التجديد، في ديوانه "عودة الوحي" من قصيدته "يا شاعر الحلم الغافى" يقول:

يا شاعر الحلم الغافى على مقل

أجفانها أوهنتها السهد والحلم

ويقول من قصيدته "النبع" في ديوانه "النبع":

من فجر من قلب الصحراء

هذا النبع السحري الماء

شفتان حديثهما أنشداء

في الكون لهماهما إصغاء

ولننظر إلى قصيدته "بعد فوات الأوان" من ديوانه "صلواتي أنا" يقول

الشاعر:

لن يعود الزمان

يا حبيبي بنا

مثلما قد كان

نحن في دربا

بالمى سائران

ومع حلاوة النغم، نجد أننا أمام صورة جديدة من بحر قد يكون هو صورة جديدة لمجزوء بحر الخفيف، وقد يكون بحر جديداً مبتدعاً.

وتجىء الحرية، الحرية التي غنى لها الشاعر في قصيدته "حكمة عصفور"
من ديوانه "النبع". مع الرمز الرائع الذي احتوت عليه القصيدة، من حب الوطن
والحياة فيه .. وكل ذلك إلهام الشاعر الرومانسي المجدد المبدع.
ويستمد الصيرفي في شعره من الكون والحياة والطبيعة، في روح إنساني
عال رفيع.

وقد يكبت وأنا أقرأ للصيرفي قصيدته الإنسانية الرنانة "صخرة" من ديوانه
"النبع"، التي يقول فيها:

ما أقساها تلك الصخرة
لم تترقرق منها عذبة
موج البحر على قدميها كم يتحطم
هذا الثائر القوي الراية ثم استسلم
تلك الراية، هذا الزبد، الأمل المعدم
ما أقساها تلك الصخرة
لم تتنثرائ منيها ذرة
لم تتصاعد منيها زفرة

إن قدرة الصيرفي على أداء المعنى الكبير في أبسط عبارة وأجملها وأدقها،
لتعادل قدرته على امتلاك زمام الموسيقى الحلوة الجميلة الموحية، وتعادل قدرته
على تقطيع القصيدة، وفق مواقف التجربة، وهذا التقطيع يحمل الكثير من صور
الالتفات الذهني الحاد، ومن تعديد القافية، ليكون الروي دائماً في خدمة
الموسيقى والصورة والأسلوب والمضمون.

-٥-

والإلهام الرومانسي هو الذي يهب الشاعر دائماً ملكة الإبداع الفني في كل
صوره الرفافة الهامسة الحاملة، هذا الإلهام تجيش به تيارات عاصفة من الحب،
والجمال، والطبيعة، والألم.
والألم دائماً هو النبع الثرى الذي يغذى تجربة الشاعر بأحلى الأنغام،
وبأجمل صور الإلهام.

ليس شعر الصيرفي في صورة مكررة من شعر شاعر آخر، إنه صورة مستقلة.
نايضة بالحياة، موحية وملهمة، صورة في غاية الطرافة والغراية والتفرد .. قصوره
وأخيلته ومضامينه وتجاربه، كلها من نبع نفسه ووجدانه وذاته.
والصيرفي يقف دائماً يتأمل الكون بعين محدقة، إنه يمل التقليد، ويأبى إلا
أن يأتي دائماً بجديد، ومن ثم حمل شعره كل جمال الإبداع والخلق الفني
المتجدد.

وفي "شهر زاد" يصوغ الصيرفي من قصتها ملحمة شعرية، تحمل طابع الشعر
الإنساني العالي. ونحن نقرأ فيها للشاعر:

أنا أروى لك في كل مساء
ما روى بعض الرواة القدماء
قصة ليس لها ظل انتهاء
سأداوي فيك جرح الكبرياء
ستري البسمة تملو شفقتك
وتري الرحمة تندي من يديك

وفي " الليلة الثانية بعد الألف " من " شهر زاد " يقول الشاعر على لسان
"شهرزاد":

رفرف الأمن على هذى المدينة
وسرت في ليلها روح السكينة
لا انتقام، لا اغتصاب، لا ضغينة
فرحت مثلى وقد كانت حزينة

وهذه هي رؤيا الشاعر الرومانسي الأبوللي، حسن كامل الصيرفي، الرؤيا
التي لا يملك "شهرزاد" معها إلا أن يصبح:

أنت فسي حلم، ولكني أنا
لم تدق عيناي بعد الوسنا
ما الذي في ليلة بد لنا
هل أنا أنت، وهل أنت أنا؟

إن هذه الحيرة، وهذا الفكر الحاليم المتألق، هما سمة أصيلة في الصيرفي،
ويكتم يأتينا الصيرفي في شعره بالجديد كل الجديد.

الشاعر محمد عبد الغنى حسن

١٩٨٥ - ١٩٠٢

-١-

ودعنا وودع الحياة الشاعر محمد عبد الغنى حسن شاعر الأهرام، وذلك فى
الثانى والعشرين من يناير عام ١٩٨٥م، وبوداعه طويت صفحة مملوءة بالموهبة
والشاعرية والأصالة والإبداع.
وحين يصف محمد عبد الغنى حسن شعره بقوله من ديوانه المشهور من
وراء الأفق:

تلك الأغاني من وراء الأفق
أصداء نفسى فى الفضاء المطلق
رددتها فى الصبح أو فى الفسق
فهن زهرى فى الربيع المورق
وهن جمرى فى اللىب المحرق
وخفق قلبى فى الشباب الريق
وتعزياتى فى المشيب المحقق
حين يولى للفرح مشرقى
وحين يمضى ما مضى وما بقى

تشر حقاً بأنك أمام شاعر موهوب ..

وقد بدأت رحلة الشاعر مع الشعر بعد أن اجتاز مرحلة الطفولة، وقرأ من
التراث دواوين الشعراء القدامى، كما قرأ دواوين الشعراء المحدثين، وأخذ ينظم
الشعر فى مختلف الأغراض، حتى صار اسمه يتردد فى كل حفل، وكل مناسبة،
وكانت الأهرام تنشر له فى صفحاتها الكثير من القصائد، ولقبته عام ١٩٢٩ بشاعر
الأهرام، فكان لذلك صدى عميق فى نفوس الجماهير، وكانت قصائده يحلى بها
الأهرام صدره..

وقد عاصر الشاعر محمد عبد الفنى حسن أعلام الشعر المعاصر ومدارسه. وتياراته، وشهد الكثير من مواسمه ومهرجاناته ومناسباته المختلفة، وعاش حياته بين شعره وهو شعر الشعراء فى القديم والحديث، وكانت مؤلفاته أكثرها عن الشعر والشعراء، ومن هذه المؤلفات: جوانب مضيئة من الشعر العربى، فى صحبة الشعراء، الشعر العربى فى المهجر، تميم بن المعز الفاطمى، الشعر فى العصر الفاطمى .. إلى دواوينه الكثيرة: من وراء الأفق، من نبع الحياة، ماض من العمر، من وحى النبوة وغيرها. ومؤلفاته تنم عن ثقافة كبيرة، وإطلاع واسع، وإلمام بشتى المصادر والمراجع، ومن بينها: الأمثال العربية - التراجم والسير، ملامح المجتمع العربى، غرائب من الرحلات، تيجان تهاوت، أعلام من الشرق والغرب، بطل السند، عبد الله فكرى، حياة مى، معرض الأدب والتاريخ، الخطب والمواعظ، ابن الرومى، بين السطور، ومن الكتب التى حققها: حلبة الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى، تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى، وغيرها ..

-٢-

ولد الشاعر بمدينة المنصورة عام ١٩٠٧م، وتلقى ثقافته العالية فى مدرسة دار العلوم، وتخرج منها عام ١٩٣٢م، ثم سافر فى بعثة إلى إنجلترا عام ١٩٣٢ لدراسة اللغة وعلم النفس، وكان موفداً من قبل وزارة المعارف المصرية، ودرس فى إنجلترا فى جامعة أكسترا، وعاد من البعثة عام ١٩٣٦م فعمل مدرساً بمدرسة المنصورة الثانوية، ثم نقل إلى مدرسة الخديوى إسماعيل عام ١٩٣٨م. ثم عمل مديراً للإذاعة المدرسية عام ١٩٤٦م ثم مدرساً بكلية البوليس من عام ١٩٤٧م، وأشرف على الشعبة الأدبية فى الجامعة الشعبية عامى ١٩٤٧م و١٩٤٨م، ودرس النقد بالمعهد العالى للتمثيل عام ١٩٤٦م. وفى عام ١٩٥٤م نقل من كلية البوليس إلى وزارة التربية والتعليم مديراً مساعدًا للشئون العامة، ثم نقل عام ١٩٥٥م مفتشاً عامًا للغة العربية بالمدارس الأجنبية.

وأحيل إلى المعاش، وعمل رئيساً لتحرير مجلة الناشر المصرى، ومجلة بريد الكتاب، وأشرف على قسم النقد فى مجلة الكتاب التى كانت تصدر عن دار المعارف بالقاهرة، واكتسب خبرة واسعة فى فن المكتبات والكتب ..

وقد نشر مقالاته الأدبية في مختلف الصحف والمجلات الأدبية، ومن بينها الأهرام، الأديب، الرسالة، الثقافة، مجلة المجمع اللغوي في دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وسواها ..

-٣-

كتب انطون الجميل عن الشاعر محمد عبد الغنى حسن في مقدمة ديوانه "من وراء الأفق" يقول:

"وأما شعر عبد الغنى حسن فقد تميز بالسهولة منذ أخذ يقرض الشعر، سهولة في الاهتمام إلى المعاني المشرقة وسهولة في اهتمام المعاني إلى الألفاظ المنسجمة، ولعله في ذلك يستوحى طبيعة مصر السهلة، ونيلها المناسب في يسر وهذو، ومن تلقى إلهامه من جمال النيل جاء شعره سهل القياد، عذب الألفاظ، ميسر الديباجة، كأموه هذا النهر المناسبة في مجراه ومنعطقاته، إنه لا يبحث من وراء الأفق عن معان وأفكار يفوض فيها الخيال، شأن الكثير من الشعراء^(١).

وكتب الأستاذ وديع فلسطين عن ديوانه "من وراء الأفق" يقول^(٢):

"هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل، والمعنى القريب، فلا يعتمد إلى التعقيد أو يحمل القارئ شلطة الغوص وراء معنى مبتر، يصوغ عباراته وألفاظه صوغاً ميسراً^(٣)، وينوه بقصائده العاطفية، وبشعره في الطبيعة ..

ويقول د. أحمد زكي أبو شادي رائد مدرسة أبوللو الشعرية:

"يمثل هذا الشاعر الرقة المصرية الماثورة في جميع شعره، ولا أعرف شاعراً مصرياً ينافس في حلاوة موسيقاه، إلى درجة كبيرة، سوى الشاعر السكندري، عثمان حلمي"، صاحب "نسمات السحر" والمعلم الأول لإيليا أبى ماضى حين إقامته بالإسكندرية، وديباجة الشاعر تمتاز بالأناقة إلى جانب الصفاء والعدوية..

فإذا انتقلنا إلى حقايقه الشعرية، وجدناه غنياً بها حينما يتجاوب مع الطبيعة، ولذلك تمنيت عليه أن يحتفل بهذا الجانب من شعره، وشاعرنا الفريد يمثل في شعره مبلغ تأثره بالبيئة.

(١) ص ٦ - ١٠ ديوان من وراء الأفق - دار المعارف ١٩٤٧م.

(٢) مجلة المقتطف عدد نوفمبر ١٩٤٧م - ص ٢٤٧.

(٣) ٥٩/٢ رائد الشعر الحديث - محمد خفاجي - ط ١٩٥٥ القاهرة.

وفي عام ١٩٥٠ أصدر الشاعر ديوانه "من نبع الحياة"، ومن قصائده الجميلة: حقا قصيدته "شجون"^(١) ويخاطب بها صديقاً له اسمه سيد، ويقول فيها:

هدأة الليل وما أعذبها
ذكرتني بالأسى والحزن
لك يا (سيد) ليل هادي
وليالي ذوات الشجن
في حديث الليل تلقى لذة
وحديث الليل قد يؤلمني
أرايت البؤس يجرى أضلعا
أنظر إلى الدمية إن لم ترني
نرجع الهم لجمي كفنا
قبل أن ينج موتى كفتي
شهد الله ولا أكتمه
لم يكن ذنبي إلا أنني
إن في المنصورة اليوم فتى
نازح الدار غريب الوطن
لا ينام الليل من لوعته
من لأهل البؤس بالنوم الهني
كم أمور طرب الناس لها
جددت شجوى وهاجت حزني
أنا يميني الذي يضحكهم
ولقد يكي الذي يضحكني

(١) نشرت بالبلاغ الأسبوعي عام ١٩٢٨، وهي في ديوان "نبع الحياة" ص ٢٧ - ٢٦٧، الشراء والتجديد - محمد عفاجي.

بى هم لا أرى مصدره
وأرى آثاره تنبعثى
هو سر كشفه أعجزنى
وهو لغز حلّه حيرنى
لم يرق لى العيش فى منصورتى
لا ولا طاب بمصر سكنى
كان لى بالأمس ماضى حافل:
فانظروا الآن الذى يحضرنى
ليست لى فى الناس من يرجع لى
زمن الصفو الذى فارقتى
أرايت الهم يهمنى أدمعا
أن فى دمعى صوب المزن
أرايت الزهر لما لعبت
صفرة الموت يزهر المومن
قد رحمت الناس فى بؤسهم
وأنا الساعة من يرحمنى

وشعره العاطفى، والوطنى والدينى، وشعره فى الطبيعة، وشعره الوجدانى،
حافل بصور جميلة، من العاطفة والخيال والموسيقى وعدوية التعبير.
محمد عبد الغنى حسن شاعر غنائى مبدع، فى طليعة الشعراء المعاصرين
من مدرسة البعث والإحياء والأنسالة والعمودية والموهبة، تهزك الموسيقى فى شعره،
وموهبته الفنية، كل ذلك من خصائص شعره، يبلغ به الطبع الشعرى إلى قمة
الكلاسيكية المتحررة المجددة كما ورثنا أصولها عن أعلام الشعر العربى القديم، من
أمثال: البحرى والشرىفى الرضى، وشوقى، وغيرهم ..
وروحه المصرية الأصلية واضحة حتى فى تعابيره وأسلوبه وموهبته
المطبوعة التى تحسب فطرتها الشاعرة سهولة شديدة، لأثر الطبع والبساطة وحب
الصدق فى التعبير .. كل ذلك يعد من مفاخر شعره، وسماته المميزة الأصلية.

فى قصيدته "القرية النائمة" التى بعدها السحرى فلتة من فلتات الشاعر.
قرية ردنح الإنجليزية، وقد استقبل فيها لمحات الفجر وهو يضىء على شاطئ نهر
النمير، وما يلابس بزوغ النهار من أحداث صاخبة. وفيها نلمح أسلوبا مترسلا.
وموسيقى حلوة وصياغة توائم التجربة التى يصفها، وانظر إليه وهو يقول:

مال السكون على البطاح وهيمنا
والكون فى أحلامه إلا أنا
والنهر وسنان الخريف كأنه
غرقان فى الأحلام غاف فى المنى
وكان تمتمة النسيم بشطه
سور يرتلها المسيح موهنا

ثم يقول منها:

النهر عاد إلى الحياة وجرجرت
فيه السفائن من هناك ومن هنا
ومشت بشطيه الجموع نشيطة
من بعد ما مالت مساء للونى
وسمعت لثرثرة الحياة بمائه
ورأيت فيه العالم المتمدين
ومشى بمسمى الضجيج كأنه
صوت النذير على هدونى أعلن
وأفاق من رؤياه كل مهوم
وصحا على أحلامه إلا أنا

-٤-

وهكذا نرى الشاعر الكبير محمد عبد الفتى حسن متألقا كمادته فى كل ما
نظم، كما كان متألقا فى كل ما كتب.
لقد كان لغويا مع اللغويين، ومؤرخا مع المؤرخين، وناقدا مع الناقدين،
وكان شاعرا فى قمة الشعراء المعاصرين.

والصفة الأولى المميزة للشاعر محمد عبد الغنى حسن إنه كان موسوعى الثقافة، جاحظى المعرفة، إنسانى النزعة.

ولقد كان جهاده كما كانت جهوده، من خلال المجمع العلمى العربى فى دمشق، ومجمع اللغة العربية فى القاهرة، عملا ضخما وكفاحه متواصلا من أجل رفعة اللغة العربية وثقافتها.

كان استقباله فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة استقبالا حافلا، وقد قدمه إلى الأعضاء د. أحمد الحوفى، تقديمًا رائعًا، رحمهما الله ..

محمد حسن عواد

١٩٠٢ - ١٩٨٠

محمد حسن عواد شاعر الأصالة والتجديد .. فهو شاعر العمودية الواعية، وشاعر التجديد في نطاق العمودية الأصيلة، ومع ذلك فهو فارس من فرسان الشعر الحر، وقد يكون السابق المحلي في ميدانه.

والعواد أبوللى التزعة، عاصر مدرسة أبوللو ورعاها، وفهم دعوتها إلى التجديد، وسار على نهجها، ومن ثم نوه د. أحمد زكي أبو شادي رائد مدرسة أبوللو الشعرية بالعواد وشعره في كل مناسبة، وأشاد به في كل مجال، وكتب عنه فصولاً نقدية، مبدعة، نقرأ بعضها في كتاب "شعراء العرب المعاصرون" وكتاب "قضايا الشعر" وهما للدكتور أحمد زكي أبو شادي، والأول نشره د. محمد عبد المنعم خفاجي. والثاني نشره المرحوم الأديب الأستاذ رضوان إبراهيم.

وعندما نذكر مدرسة أبوللو وأثرها في الشعر العربي الحديث يتبادر إلى أذهاننا أعلام من الشعراء العرب. من مثل:

-عواد في المملكة العربية السعودية.

-وأبو القاسم الشابي في تونس.

-والتيجاني يوسف بشر في السودان.

-والاسطي إبراهيم عمر في ليبيا.

-وهلال ناجي في العراق.

-د. أنور العطار في سوريا .. وغيرهم.

وللعواد (١٣٢٠ - ١٤٠٠ هـ: ١٩٠٢ - ١٩٨٠) دواوين عدة منها: أماس وأطلس - البراعم - نحو كيان جديد - في الأفق الملتهب .. رؤى أبولون الساحر العظيم.

وله عدة مؤلفات منها: خواطر مصرحة - تأملات في الأدب والحياة - محرر الرقيق من وحى الحياة العامة.

وقد عني الصحفي السعودي محمد سعيد باعشن بالعواد وأدبه وشعره وأخرج عنه كتاب "العواد وهؤلاء" ويقع في نحو ٤٥٠ صفحة وتضمن دراسات عن العواد وشعره بأقلام عدد من الأدباء، منهم:

- محمد عبد السمعم خفاحي
- ثروت أباطة.
- د. عبد العزيز شرف.
- محمد حسين زيدان.
- عزيز ضياء.
- محمد حسن فقي.
- عبد الله جفري.
- د. عبد الله مناع.
- د. إبراهيم الفوزان.
- د. عبد العزيز الدسوقي.
- أبو بكر صديق محمد.
- نور الدين محمود.
- د. عبد الله الغدامي.
- د. محمد أحمد سلامة.
- د. محمود محمد لبدة.
- محمد علي قدسي.

ويتضمن هذا الكتاب الضخم دراسات عن العواد وموسيقى الشعر، وآراء عدة له حول التجديد في الشعر والأدب.

والكتاب يعد وثيقة من وثائق الأدب والتاريخ عن العواد وشاعريته وشعره وفكره ..

وبخاصة أن بعض هذه الآراء قد صدرت عن أعلام في الأدب العربي عامة والسعودي خاصة كالأساتذة:

محمد حسين زيدان، ومحمد حسن فقي، وعزيز ضياء، وكالأديب الناقد د. عبد العزيز شرف، وكالدكاترة عبد الله مناع، والفوزان، والغدامي، وغيرهم. والعواد جدير بكل هذا الاهتمام والعناية من النقاد والأدباء والدارسين ومن حسن الحظ أن صدرت عنه بعض الرسائل الجامعية .. وإن لقيت الدراسات عنه وعن شعره مزيداً من الاهتمام في مختلف البيئات في شتى مواطن الأدب العربي الحديث.

تيارات فنية

في شعر نازك الملائكة

الشاعرة العربية نازك الملائكة شاعرة محقة، دأبت شهرتها وشعرها وشاعريتها في كل مكان، واقرن اسمها بميلاد الشعر الجديد، وكان مع ذلك ميلادها الشعري مقترنا بميلاد الشعر الجديد، وكان مع ذلك ميلادها الشعري مقترنا بميلاد المدارس الجديدة وبخاصة مدرسة المهجر ومدرسة أبولو .. وكانت تدرس الآداب في دار المعلمين العليا ببغداد على طائفة من أساتذتها من كبار الأدباء، ومع طائفة من زميلاتها الأدبيات والشاعرات، ومن زملائها الشعراء، ومن هؤلاء وهؤلاء بدر شاكر السياب، د. عائكة الخرزجي، ورباب الكاظمي. وفي يمتى يديها دواوين المهجرين والأبوليين، وبخاصة: ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل والهمشري، وقد ألقت كتابا نقديا عن علي محمود طه، وفوق ذلك كله كانت هناك تأثراتها بأبويها الشاعرين: صادق الملائكة وأم نزار الملائكة التي أهدت إليها ديوانها "قرارة الموجة" عام ١٩٥٧ بجملة موجزة: "إلى أمي أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها". وفي هذا الديوان ثلاث مرات فيها (٣٠٩ - ٣٢٠) نظمته في ١٥ و ١٧ و ٢١ أغسطس ١٩٥٣ م).

-٢-

ولما دأبت شاعريتها، وتفوق إبداعها الشعري في هذه السن المبكرة، أصدرت دواوينها:
- عاشقة الليل عام ١٩٤٧ م.
- شظايا ورماد عام ١٩٤٩ م.
- ثم ديوانها "قرارة الموجة" عام ١٩٥٧ م، الذي جاء مؤكدا نبوغ شاعرة عربية مدعة.
- وفي عام ١٩٦٨ م أصدرت ديوانها الرابع "شجرة القمر".

-ثم صدر لها عام ١٩٧١م ديوان "مأساة الحياة وأغنية للإنسان"، وفي هذا الديوان قصيدة بعنوان "ذكريات الطفولة" (١/٣٦٥ الديوان. دار العودة)، وهي من أجمل القصائد. وهذا الديوان مطولة نظمها الشاعرة، أو قل نظمت أكثرها عام ١٩٤٨م، وهي في الثالثة والعشرين.

وتضمن ديوان "عاشقة الليل" قصيدة بهذا العنوان تقول فيها الشاعرة:

أعبر عما تحس حياتي
وأرسم إحساس رحي الغريب
فأبكي إذا صدمتني السنون
بختجرها الأبدى الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان
على الهيكل الأدمى العجيب

وهي هنا تصور مشاعرها ونفسيها الشائرة. وفي الديوان كذلك قصيدة أخرى بعنوان "الحياة المحترقة" كتبها الشاعرة حينما ألقت بمذكراتها في النار. وصارت نازك حينذاك من أشهر الشعراء والشاعرات البغداديات، ومن هؤلاء وهؤلاء: السياب، د. عاتكة الخزرجي، لميعة عمارة، رباب الكاظمي، صدوف العبيدة. بل لقد صارت نازك من رواد الشعر العربي الحديث، وقد عنيت بفتح مغاليق النص الشعري، وبمد الجسور بين التجربة الرومانسية العربية الثرية والإبداع الحديث، وأخرجت القصيدة من الفردية الذاتية إلى النص الجماعي. إلى أنها من رواد النقد الحديث كذلك، وكتابها: على محمود طه، وقضايا الشعر المعاصر، مشهوران.

-٣-

على أن ملامح القصيدة عند شاعرتنا هي ملامح أبولية رومانسية، من تعدد القوافي وتنوع الأوزان والتفاعيل، والهبام بالطبيعة التي اقتربت منها وذابت فيها، وصاغت منها ألحانها .. إلى الشعور الشديد بالاغتراب، والحلم بالمستقبل، مع الالتفات إلى الماضي بين الحين والحين، والحياة مع الذات والنفس والوجدان والعاطفة والتجارب الحزينة.

وفي مدرسة أبوللو انطلقت الدعوة إلى الشعر الجديد، وكان من أكثر الشعراء حماساً له: أبو شادي والسحرتي.

وقد التفتت الشاعرة التفاتة ذكية، إلى رواد أبوللو، فاهتمت بالصورة الشعرية وبموسيقى القصيدة اهتماماً شديداً، متبعة في ذلك خطاً على محمود طه، الذي كانت القصيدة عنده، بصورها الدقيقة، وموسيقاها الشجية، وتجربتها العميقة، أدق تعبير عن مشاعر الشاعر ووجدانه وذاته. وأظن أن ديوان "أغنية الرياح الأربع" لعلّى محمود طه له ملامحه التي تظهر من بعيد في القصائد الخمس التي سجلتها الشاعرة بعنوان "أنشودة الرياح" في ديوانها "مأساة الحياة".

وتكثيف الرمز في شعر الشاعرة، مع العناية بالموسيقى والهيّام بالطبيعة والشعور الشديد بالاغتراب، والحياة مع القلق والدجى والليل والأشباح، هي كلها من سمات القصيدة عند الشاعر محمود حسن إسماعيل والشاعرة نازك الملائكة..

تقول في قصيدة "دعوة إلى الأحلام" التي كتبها عام ١٩٤٨م:

سنحلم. أنا سعدنا
نزور جبال القمر
ونمرح في عزلة اللا
نهاية واللا بشر
سنحلم أنا نسير ..
إلى الأمل لا للغد
وأنا وصلنا إلى بابل
ذات فجر ندى
حبيبين نحمل عهد
هو أنا إلى المعبد
بباركنا كاهن بابلي
نقى اليد

وبحق نرى ظاهرة الشعور بالاغتراب وبالخوف والقلق والحيرة، والليل الذي تعشقه بأسراره الرهيبة التي لا تنكشف أبداً، والحلم بالمستقبل حيناً والارتداد إلى الماضي حيناً آخر، واضحة جلية في شعر شاعرنا المبدعة. وهي في قصيدتها

"الأرض المحجبة" تبحث عن أرض السعادة فلا تجدها وتقول في قصيدتها "صائدة الماضي":

سأصيد الأحلام من أمسا إليها
رب حلما حلما وراء الزمان
وآلم الأفراح في كل ركن
ضائع في مقابر الأحزان
والشاعرة تؤمن بالحرية، وتكره القيود، وتطوف بمقلتها صور الغد، كما تراها
في قصيدتها "الرحيل" (٢ / ٣٥٥) الديوان) التي تقول في ختامها:
وقولا له إننا لن نعود
لأرض القيود
فقد أشرق الفجر منذ عصور
وفي قصيدتها "خاتمة" (٢ / ٣٩٨) الديوان - قرارة الموجة) التي نظمها عام
١٩٤٨ م تقول:

ارجع فالليل ثير مخاولة قلتي
وأنا وحدي والتجم بعيد في الأفق
يخدعني أمل في فجر لم ينبثق
وصباية دمع بارد لم تحترق
ارجع أواه ألا تسمع صوتي الموهون
لن أبقى وحدي في هذا الدرب المجنون
إلى أن تقول في خاتمتها:
خذ بيدي ولترك هذا الأفق المهجور
لا تتركني روحا صارخة في الديجور
وفي نهاية قصيدتها "عاشقة الليل" (١ / ٥٤٦) الديوان) تقول:
ليس يدري العاصف المجنون شينا يا فتاة
فأرحمني قلبك لن تنطق هدى الطلسمات
وهو استشفاف للمجهول الذي لا يسوع بسره أبدا. وفي قصيدتها "صراع"
التي نظمها عام ١٩٤٧ م تقول الشاعرة:
أحب وأكره حبي شقاء

أحب وأكره كرهى ألب
فقيم أعيش؟ ستمت البقاء
وشاق حياتي صميت المدم
وفى قصيدتها "وجوه ومرآيا" تقول:
أه لو تدركين كيف أحس الـ
سكون صحراء خلفها صحراء
والمعنى فى البيت الأخير جاء فى شعرى عرضاً وعن غير قصد، إذ قلت فى
قصيدتي "ملحمة الأجيال":
لو رأيت الصحراء وهى شتات
ورأيت الصحراء وهى كيان
ورأيت الصحراء قد أصبحت بر
كان يكت من بعده بركان
قلت ماذا أرى هنا؟ أحيال
وأنا فى الأحلام أم يقظان؟

-٤-

ونازك رائدة الشعر الجديد، الذى تحدثت عنه، ورسمت ملامحه، فى كتابها
"قضايا الشعر المعاصر"، بل ونظمت منه، وكان أول ما نظمت منه قصيدتها "الكوليرا"
عام ١٩٤٧م إثر ظهور هذا الوباء فى مصر آنذاك، فكانت ميلاداً للقصيدة الجديدة،
وكانت قد سبقها محاولات عديدة لأبى شادى وناجى وبكثير والسياب ولويس
عوض وسواهم، إلا أن القصيدة الجديدة لم يتكتمل نموها إلا على يدي شاعرتنا.
قالت فى صدر ديوانها "شظايا ورماد" بتهكمة: "كان الشعر لا يستطيع أن
يكون شعراً إن خرجت تفاعلاته على طريقة الخليل، وحرر الشاعر من طغيان
الشعرين".
واستمرت الشاعرة القافية الموحدة، ولم ترميت الشاعرة بحدودها للتراث
الشعرى الأصيل كتبت عام ١٩٦٨م فى ديوانها "شجرة القمر" تقول:
لم أدع يوماً إلى الاقتصار على الشعر البحر، وإنى لعلى يقين من أن تيسر
الشعر الحر سيتوقف فى يوم غير بعيد، وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشعرية، وليس

معنى هذا أن الشعر الحر سيموت، وإنما سيبقى قائما يستعمله الشاعر لبعض أغراضه دون أن يتعصب له، أو يترك الأوزان العربية الجميلة.

-٥-

وأخيرا أقول: إن نازك شاعرة مجددة، وهى أقرب ما تكون إلى مدرستى أبوللو والمهجر، والخصائص الأبولية فى إبداع الكثير من الشعراء العرب تظهر فى وضوح: كالثابى والتيجانى يوسف بشير والفيتورى ومحيى الدين فارس، بل والعواد والفرشنى، وسواهم. ومع ذلك فللشاعرة وهؤلاء الشعراء شخصياتهم المتميزة المستقلة المبدعة على طول أيامهم فى الإبداع والشعر والشاعرية.

الخفاجى شاعرا

عن الخفاجى يقول الكاتب والمفكر الكبير الأستاذ البشير بن سلامة
وزير الشؤون الثقافية الأسبق فى تونس

ليس من اليسير الكتابة عن الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى هذا المجال الضيق لإبراز مسيرته الأدبية والفكرية والثقافية طيلة عقود طويلة أصبح من خلالها، على مر الأيام، وجها من وجوه مصر المشرقة المشهورة فى بلده وفى العديد من الأقطار العربية. ولا غرو فقد قال عنه زكى أبو شادى: "إنه ظاهرة فذة فى تاريخ الثقافة العربية".

وليس من السهل الإلمام بسعة ما دون وما كتب وهو الذى نشر ما يربو على الخمسمائة كتاب، شعرا ونثرا، عدا المخطوط، تناول فيها بالدرس والبحث فنونا من الأدب والفكر والثقافة. فقد كتب فى الدين وفى التاريخ والأدب والنقد والتفسير والحديث والبلاغة والنحو واللغة وغير ذلك من المواضيع التى يطول ذكرها؛ وقد تولى عن جدارة الإلماع إليها بالدراسة الوافية مؤلف هذا الكتاب.

ولكن محمد عبد المنعم خفاجى ليس ذاك الأديب والشاعر الغزير التأليف، المعزول عن الدنيا، المتفاعل أو المأزوم أمام الورقة البيضاء فقط، إنه الإنسان بأبعاده المتعددة، وإنه رجل الفكر التائق إلى الارتباط بالحياة فى أسمى معانيها.

هو الإنسان يشعر عندما تلتقى به، حتى لأول مرة، بعفوية تنبع من الفؤاد فتنفذ إلى قلب محدثه، ويهرك ببساطة فيها سمو ضارب فى أعماق الشعب المصرى، وفيها آثار الكفاح من أجل العيش والاستماتة فى سبيل العمل الفكرى، ولو كان ذلك بوسائل لا تدعمها أية جهة مرموقة. هو بذلك أنموذج من روح الشعب المصرى، الفواحة إنسانية، الناطقة بعفء حضارات تركت بصماتها، لنا ومرحبا ودمالة أخلاق ولطف معشر.

هو أيضا رجل الفكر، الشاعر بدوره كمصرى معتر بحضارته، وفى لثقافته، مرتبط بمجتمعه أشد الارتباط، ولكنه مع ذلك، كما قال المستشرق المجرى جرمانوس "كثير الصراحة، كثير السخط على محسوبيات الرؤساء"؛ وإن هو لا يميل

إلى جعل الفكر باباً لتصفية الحسابات ونصب العراق والخصام. وهو إلى ذلك مؤمن بأن دوره كمتقف لا يملأ عليه أبداً التوقع والانتكماش، فتراه لا ينسى يعمل في رابطة الأدب الحديث على الانفتاح على سائر الشعوب العربية، يحتفل بهذا الشاعر أو يقيم ذكرى لهذا الأديب سواء كان من العراق أو السعودية أو تونس أو غيرها. لقد فهم محمد عبد المنعم خفاجي، ربما أكثر من غيره من المصريين أن عظمة مصر ليست فقط في إشعاع عباقرتها على سائر الأمة العربية بل في احتضانها لأفذاذ هذه الأمة مثلما فعلت جماعة أبولو مع أبي القاسم الشابي وعملت الكثير من الأوساط المصرية على تبني أفذاذ أصبحوا منها وإليها. هذه هي الصورة البارزة التي يتركها محمد عبد المنعم خفاجي في ذهن كثير من التونسيين، صورة المحرك النشط، مع ثلة من الأدباء، لرابطة الأدب الحديث، سليمة جماعة أبولو، وهي الرابطة الدائبة على ربط الصلات الثقافية بسائر الأقطار العربية.

- ٢ -

وللأديب الكبير الناقد الأستاذ حسني سيد لبیب كتاب عن الخفاجي بعنوان الخفاجي شاعراً، صدر عن رابطة الأدب الحديث عام ١٩٩٨م، وفي كتاب "الخفاجي" الأدب الحديث - الجزء الثاني دراسة عن "الخفاجي شاعراً". وقد كتبت رسالة جامعية في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٠م عن الخفاجي شاعراً للباحث محمد العربي ونال صاحبها عليها درجة الماجستير في الأدب والنقد.

وشعر الخفاجي في مضمونه يمثل فكراً متحرراً من أغلال التبعية والحدائث، مرتبطاً بالأصالة والتراث، مسيراً لفكر البعث الروحي الأكبر، وهو في شكله يمثل نسيجاً ثائراً على أغلال القيود الفنية التي تخاصم أصول العمود الشعري، مع الحرص على الوحدة العضوية للقصيدة، وعلى الموسيقى، وعلى العاطفة الصادقة، والتجربة الشعرية الملهمة، وعلى كل أصول العمودية والمعاصرة معا. ومن حيث المذهب فهو يمثل ارتباطاً وثيقاً بين العمودية والرومانسية الجديدة التي تجمع بين الأصالة والوجدان الشعري وروح المعاصرة.

ومن حيث الموضوع فهو يتضمن قصائد عدة في مختلف جوانب الدين
والحياة والروح والوجدان والطبيعة.

وللخفاجي دواوين عديدة صدر منها سبعة عشر ديواناً ولديه عشرة دواوين
مخطوطة والدواوين التي صدرت منها:

١٩٣٦	وحى العاطفة
١٩٤٩	أحلام الشباب
١٩٦٩	أحلام السراب
١٩٧٢	الديوان الإسلامي
١٩٧٣	نغم من الخلد
١٩٨١	على الضفاف
١٩٨٣	أشواق الحياة
١٩٨٧	أغنيات من عبق
١٩٨٨	نشيد الذكرى
طبعة أولى ١٩٤٧ - طبعة ثانية ١٩٨٨ / مسرحية	نشيد الصحراء
١٩٨٨	ملحمة السيرة النبوية الخالدة
١٩٨٨	أحلام المساء
١٩٨٩	أصداء الذكريات
١٩٩٠	أحلام الأمر
١٩٩٣	أنشودة إلى الغد
١٩٩٢	أحلام الذكرى
١٩٩١	الشعر في مواكب العصر

ويقول الأستاذ: أحمد زكي عبد الحلیم عن ديوان الخفاجی "أغنيات من عبقر"

نحن نقف أمام استاذية الدكتور محمد عبد المتعم خفاجی بالحناءة تقدير
في أي مجال يكتب فيه باعتباره أنه واحد من فرسان الكلمة الذين أقاموا قواعد
هذا البيت الثقافي المصري الذي نستظل جميعاً به ونرتوى من ينابيعه، فهو أحد
رواد عصر النهضة حيث كتب في زمان طغى حفيظ وأحمد أمين وعباس العقاد
وأحمد حسن الزيات وغيرهم من المماثلة، وكان من اللام في إيمانه يعطيه حقه من
الامتياز ولعلها مناسبة أن نقول: إنني قد أحيت وفدت الدكتور خفاجی على
العبقر فلما أسعدتني الأقدار واقتربت منه، أحبته أكثر، وقدرته أكثر وأكثر. فهو في
تواضع شديد يفرض على الآخرين من تهره طمعه القليل والفرح.
وديوان أغنيات من عبقر هو الديوان الثامن لشاعرنا وأدينا الكبير، وكان
ديوانه الأول قد صدر في عام ١٩٣٦ تحت عنوان (وحي الفاطمة)، ثم جاء بعده
ديوان (أحلام الشباب)، فلما قدمت الأيام كانت له (صلوات على الضفاف)، وأكد
من بعده أن (أشواق الحياة) متجددة في قلبه، ومن قبض ضميره ونبله قدم لنا
(الديوان الإسلامي)، ثم جاءت أغنياته الأخيرة التي جاوزت الأربعين، لتقطف لنا
من كل بستان زهرة. فهو يتحدث عن مصر، وعن الوطنية، وعن عيد سيناء، وعن
ذكرى دنشواي الثمانيين، وعن عروس النيل. وهو كذلك يفتحنا بعواطفه إلى
ذكريات الماضي، وإلى يوم الجلاء، وإلى نحن الزوج، ثم يشد تشيد الذكرى وهو
يتحدث إلى اللطيف الباسم، وتصل منته إلى مجاله الأصيل وهو مجال الإنسانية
والوفاء والإخلاص، الذي يغد لنا من خلاله عن محمود توفيق البارودي، وأحمد
لطفي السيد، وعباس محمود العقاد، وأحمد زكي أبو شادي، وعلى محمود طه،
وكوكب الشرق أم كلثوم، وغيرهم.

٢٦٩

وقد أهدى شاعرنا الكبير ديوانه إلى: القلب الحنون الذى أظلنى بحبائه
وعطفه وحبه أربعين عاما، ثم ولى وغاب، كما يغيب الشهاب فى دجى الليل. إلى
زوجتى.

ونظل مع الشاعر الكبير على بعض المعانى، مثل قصيدته (أنا مصرى) التى
يقول فيها:

تلك مصر النيل والأرض معا
هى شاب، هى شيخ، أجمعا
هى فلاح، وجندى، ومن
فوق أرض المجد يرعى مصنعا
هى دوارى وبيتى، وقريتى
هى من أفديهمو يا وطنى
فإذا تحدثت عن العقاد فإنه يقول:
عباس والشعر فى قيثاره وتر
غنى فأسكرت الدنيا أغانيه
سارت روائعه كالشمس وانطلقت
تطوى الخلود وتحيا فى نواديه
كل البراعات من ينبوعه اغترفت
تبارك الله روح القدس يحميه

- فإذا ودع الحب الكبير فى حياته، فإنه يقول:

(لربما) طويت العمر فى ألق النجر
وسرحت إلى الرحمن فى عبق الزهور
لك الخلد والرضوان يا خير زوجة
من الله ربي من له أبداً أمرى
سلام إلى تقيا، وداع إلى رؤى
فراق إلى قرب، وصال بلا هجر.

وعن ديوان الخفاجى "أغنيات من عبق يقول د. على صبح
اشتهر وادى عبق بالتفوق والإبداع للحن. ومن تشبه بهم من الأنطال
الشعاع الذين قاموا بأعمال فوق طاقة البشر، وجاء ديوان الشاعر الدكتور محمد

عبد المنعم خفاجي يحمل عنوانا تراثيا يرجع فيه إلى عبقر، ليعود بالشعر الحديث إلى حقله الخصيب وتراثه الخالد، فمنه تفجرت ينابيع الشعر العبقري، وفي ساحته استقامت اللغة العربية وتهذبت متونها وتنافس عباقرة الشعراء في سوق عكاظ وأنقذت القبة الحمراء ليحتكم إليها الشعراء، وعنها كتبت المعلقات بماء الذهب حول الكعبة المشرفة.

من عبقر استمد الشاعر ينابيعه الشعرية من روافدها ليعيد إلى الشعر العربي الحديث إشراق الديباجة وجزالة الألفاظ واستقامة الوزن وعذوبة القافية ورتابة الإيقاع وروعة الصورة وشرف المعنى ونبل الغاية والأغراض.

من عبقر تغنى الشاعر وهو يعيش أحداث عصره في تجاربه الذاتية، تغنى بأغنيات في تجارب معاصرة لنماذج إنسانية رفيعة عاشت عصرها لتؤدي دورها الحضاري، وهذه التجارب في الديوان نبعث من وجدانه الصادق، واستمدت روافدها من مخزونه الشعري والتراثي العريق الذي اتسع له أكثر من ثلاثمائة كتاب نحتها من تراثنا اللغوي والفكري والتاريخي، فكانت شخصيته التراثية في كل لفظة وأسلوب وصورة وبناء فني وقالب شعري خليق ليظل الحاضر بالماضي موصولا في أصالة وانتماء وعراقة واتزان مع كل جديد، يتلاءم مع القيم الفنية والخلقية الحضارية فيعيش المبدع والقارئ وهو مملوء بالوفاء والاعتزاز بتراثه ولغته وحضارته الفكرية والإسلامية التي تتجاوب مع الحياة فإذا تحدث عن مصر رأى أنها جزء من الوطن الإسلامي الكبير:

أنا ابن حضارات سميت عشتها في عزة يا وطني
أنا أفديك تراثا خالدا ملا الدنيا سنا من قدم
وحمل الأزهر في أصالة وعراقة رسالة الإسلام في صمود، ولا زال محراب العلم واللغة والدين:

الأزهر المعمور هذا مجده

هو حارس الإسلام لم يتسلم

في ألف عام ظل ضوءك باهرا

وعلى العصور لصوء هديك ننتمي

وأحببت العراقة والأصالة قلب الشاعر الذي يخفق بالحب الصادق لزوجته
التي رحلت عنه في وفاء وانتماء:

كانت مناي ومليف أفرأحسى

وكل سعادتى فى وحدتى ودعائى

سأظل أمسح بالدمع معارفى

شوقا إلى الأحباب والأنساب

والأمة الإسلامية هى وطن الشاعر الكبير فضم ديوانه شعرا عن الشرق
الأقصى والشرق الأوسط والمغرب الأقصى عن رواده ومفكره وعن جهاده ودفاعه
عن الإسلام وسجل الرواد والعلماء فى شعره الذى أدوا دورهم الحضارى كما أدى
السلف الصالح قبلهم فى عراقة وانتماء وأصالة، فالديوان نموذج إنسانى رفيع،
وضحت فيه معالم الشخصية الخفاجية التراثية العريقة.

ومن شعر الخفاجى قصيدة "المنصورة"

ولها قام المجد والمهرجان	فى يديها على المدى الصولجان
لغلاها الدنيا، ودان الزمان	خشع الدهر فى حماها، وأصفت
من بقايا هالاته لقمان	وأكالب النصر فى مفرقيها
نت بالألاء سحره الشيطان	شهدته ضفافها الخضراء
أين منه القصور والإيوان؟	ولويس فى القيد يحيا أسيرا
هر غامت عيونه والمكان	وصبيح قد بات يحرسه، والد
وانتهى الشعر عندها والبيان	كم مشى الدهر ساجدا فى ربها
ها، وماست فى شاطئها الحان	طبع الحسن قبلة فى محيا
*** وإن طوبى لك المنى والجنان	إيه (منصورتى) محظمة العد
د، وحيالك الزهور والأقحوان	والربيع الجميل وشاك بالور
قاده الشوق والهوى اللهبان	*** وانحنى النيل عند ساقيك يجرى
مى لأنت النشيد، والألحان	إيه منصورتى مدينة أحلا
مده للطبيعة الرحمن	أنت ذوب الجمال وعرس
أسها عنك أم غفا رضوان؟	حام قلبى عليك جد مشوق
بمغانيك هائم ولهان	لست أغضى عينى عليك فإنى

يشهد الله لم أغيب عنك يوماً
أنا بالروح حاضر فأعبدى
وطن الشعر والهوى والأمانى
إني منصورتى مراح شبابي
وللقيت دعوة من كريم
عصره عصرك الجميل فمرحى
أرو ماذا قد حقق الإنسان
كل ما حولي باسم وجميل
كل ما فوق الأرض حولي ضحك
أمل ما أرى هنا وخيال
هدأ الموج والسفينة سارت
صاح بالبعث هاتف عبقري
عادت الدنيا والحياة وأضحى
إنه الحاضر النبيل تحيي
لانتصار الإنسان والعربي الـ

كيف بنأى عن أيكه الكروان؟
يا عصفير وارقصى يا قبان
ملهمى أنت إن عصاني البيان
طار بي نحوك الهوى النشوان
يتكولاك بصره والحنان
هذه روحه وذاك الكيان
أرو عنا ثم أروه يا زمان
وانتهى الماضي كله والهوان
والموامى والريف والوديان
وأنا فى الأحلام أم يقظان؟
فى أمان إذ قادها الربان
ودوى فاستيقظ الوسنان
لبنى النيل فى الحضارة شان
له العلا والجدود والأوطان
حمر قد كان ذلك المهرجان

الباب الخامس

شراء أبوللو الجديدة

أبوللو الجديدة

في عام ١٩٨١م دعا د. مختار الوكيل ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجي إلى إحياء جماعة أبوللو باسم أبوللو الجديد. وكان لذلك صدى في أنحاء العالم العربي، ورددت الأبناء في كل مكان. وتولى رئاسة أبوللو الجديدة د. مختار الوكيل. ولما توفي في السادس من نوفمبر عام ١٩٨٨م اختير لرياستها الدكتور عبد العزيز شرف، وأبوللو الجديدة هي الشقيقة الصغرى لرابطة الأدب الحديث (١٩٢٩ - ١٩٩١). والرابطة تعد أقدم الروابط الأدبية في العالم العربي. ينضوي تحت لوائها أعلام الفكر والأدب والشعر والنقد في مصر والعالم العربي.

وقد أسهمت الرابطة في الحركة الأدبية المعاصرة إسهاما فعالا. وأصدرت الرابطة سلسلة ثقافية باسم البعث الجديد وأكثر من مائتي كتاب لأدباء من مصر والعالم العربي والمهجر. واستمرت الرابطة تعمل حتى اليوم في خدمة الأدب والثقافة والشعر، وصارت أقدم الجماعات الأدبية وأشهرها في مصر والعالم العربي. وقد تولى رياستها منذ الخمسينات:

- ١- الأديب محمد ناجي شقيق الشاعر إبراهيم ناجي (١٩٥٣ - ١٩٥٨)، وكان نائبه هو الناقد الكبير الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي.
 - ٢- مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٩٥٨ - حتى وفاته في ١٩ مايو ١٩٨٣).
 - ٣- د. محمد عبد المنعم خفاجي من ١٩٨٣م حتى الآن.
- وقد أصدرت الرابطة مجلتها "ليالي الأدب" عام ١٩٥٥م، ثم أصدرت مجلتها "الحضارة" عام ١٩٨٣م، ورئيس تحرير هذه المجلة هو الناقد الصحفي الكبير د. عبد العزيز شرف رائد جماعة أبوللو الجديدة بعد وفاة د. مختار. وتضم الرابطة نحو خمسمائة عضو من مصر والعالم العربي، ومنهم أعلام الأدب والشعر والنقد.

الشاعرة جلييلة رضا

-١-

لمصر في الشعر النسوي أو شعر المرأة في العصر الراهن أثر كبير، فإذا كانت نازك الملائكة في العراق وسعاد الصباح في الكويت وفدوى طوقان في الأردن، أو قل في فلسطين، وسلوى الحوماني في لبنان، فإننا نرى في مصر من الشاعرات الكثير من الأسماء اللامعة حيث تشتهر في محيط الأدب أسماء كبيرة في هذا المجال.. فلدينا: الشاعرة الأبوللية المبدعة جميلة العلايلي، التي أسهمت في أبولو إسهاما فعلا منذ قيامها عام ١٩٣٢^(١)، ولدينا الشاعرات ملك عبد العزيز ووفاء وجدي ونور نافع ونجاة شاور وروحية الفليني ولورا الأسبوطي، وغيرهم. ولدينا شاعرة نعتز بها، ويفخر الأدب والشعر المصري بإبداعاتها، ونباهي بمواهبها شاعرات العروبة، وهي الشاعرة المصرية جلييلة رضا. فجلييلة رضا الشاعرة النابضة، تقف بجوار نازك الملائكة وفدوى طوقان، وشهيرات النساء الشاعرات في الوطن العربي كله، وقد عاشت في معترك الحياة الأدبية والشعرية، طيلة النصف الثاني من القرن العشرين.

-٢-

وجلييلة رضا شاعرة أبوللية - رومانسية، تسير على نهج الشعراء الأبوليين الرواد، وتسبح في تبارهم، من مثل: إبراهيم ناجي، وعلى محمود طه، وصالح جودا، والشابي والهمشري والصيرفي، وعامر بحيري، وغيرهم. وقرأت للامرتين، وهيجو في الفرنسية التي تجيدها، كما قرأت شعراء المدرسة المهجرية، وأخذت عنهم، وبخاصة إيليا أبو ماضي، وتقول: إنني شاعرية أبوللية حقا، وناجي هو أستاذي الأول .. وأخذت من شوقي، ومن رواد الشعر العربي الحديث أنغامها وألحانها. وشعرها حافل بالوجدانيات والوطنيات، وشعر الطبيعة وبمختلف أحاسيس المرأة وعواطفها ومشاعرها الصادقة، وبروح عالية من التصوف .. ويتميز بالحوار

^(١) توفيت الشاعرة في ١٩٩١/٤/١١ م.

القصص، وبلغت الحكاية، وبموسيقى هامة، فيها روح مصر ووجدانها، وتعبير شعبها المبدع الخلاق.

وقد شهد لها جمهوره النقاد بالشاعرية المطلقة الموهوبة، وبتجاربها العميقة، ولغتها الرقاقة وعاطفتها الحارة، وتعبيرها الشعبية الحلوة.

-٣-

وتبدأ رحلة الشاعرة الفنية مع الشعر بديوانها الأول "اللحن الباكي"، الذي قدم له الشاعر الكبير أحمد رامى، الذي توه بخيالها اليقظ، وبأنغامها الحزينة الباكية.. ويגיע ديوانها الثانى "اللحن الثائر" معبرا عن مشاعر وطنية عالية، وفى الديوان العديد من القصائد الوجدانية التى تتم عن مشاعر مرهقة، ولا عجب فالقن هوايتها، والشعر روايتها، ومصر حكايتها، إنها هى هى بنت مصر، وما أجمل قصيدتها "أمى" فى هذا الديوان، وتقول فى مطلعها:

لفظة ضاعت على لفرى

وفى سمعى صداها

وخيالات نعيم

أين من عينى رؤاها

كيف أنسى طيفها

الحلو على مر السنين

كيف أنسى وهى أفراح

حياتى وشجوتى

ثم يגיע ديوانها الثالث "الأجنحة البيضاء" حافلا بالشعر الوطنى والقومى وبشعر المرأة والحب والألم والشعور بالقربية ويكل أحلام المرأة الشاعرة ومشاعرها نحو الرجل والولد والبنت والأسرة. وفى هذا الديوان تتضح الصورة، صورة الشاعرة الأصلية الموهوبة الخالقة.. المبدعة، التى تملك زمام الفن، وزمام الكلمة. وزمام الموسيقى واللحن..

وفى ديوانها الرابع "أنا والليل" صور كثيرة رائعة من الشعر القومى والوطنى والوصفى، وتعبير فيه عن أحزان مصر وأفراحها.. وفى الديوان روائع من الشعر الوجدانى الحافل بالألم والأمل، وبنعيم الحب وعذابه، وبحلاوة اللقا ومرارتها.

وبأحزان الشعور بالغربة، ومن أجمل قصائده: أنا والليل وحدتى إسكندرية فى الشتاء - عندما تنام القاهرة - الزهرة الدابلة - الصيف.
ويجىء ديوانها "صلاة إلى الكلمة" يكمل الصورة، ويجلس الخصائص.
ويوضح أسرار الشاعرية.

إلى مسرحيتها الشعرية "خدش فى الجرة" المعبرة عن روح مصر ونهوضها من آثار العدوان الثلاثى عليها، وبدء البناء الوطنى الكبير على أرضها.
وفى ديوانها السابع "العودة إلى المحارة" روح الشاعرية الجياشة بكل تجارب الفن والحياة، وبشتى عواطف المرأة ومشاعرها، ومختلف آلامها وآمالها ..
ومن قصيدتها "مأساة عصفورة" إلى قصيدتها "عندما يموت الشاعر" وقصيدتها "الشاعر والفكرة" و"إلى شجرة"، و"جاء الخريف" و"الرواوى الحالمة"، و"الأصل والصورة"، و"الكوخ الأخضر" ... وغيرها، نلاقى الشاعرة، التى عاشت مع الطبيعة والذات الأمل والألم ومع الحرمان والغربة، والأرق والحزن، ومع الليل والدجى والحر والقمر والسر والأرق، ومع أحلام العذارى، وهمسات المحبين، ومع هموم الناس وأحزانهم وأشجانهم ..

—٤—

يمكننا أن نعد جليلة رضا من شاعرات الرقة العاطفية، ولقد غنت للحرية، والإنسان، والصفاء الخضر، والوادی الممرع، والنيل الزاخر، والقرية الوداعة، والفلاح الدؤوب، وغنت للعصفورة فى عشاها، وللهاز فوق الفصن، والعندليب فى الروض المعشوب، والزهرة النضرة، وفى قصيدة: "مأساة عصفورة" ما أجمل ما تقول الشاعرة على لسان العصفورة:

ماء الخير يا أختى

ماء الخير يا جارة

وقفت هنا على الشباك

استجديك، منهارة

وتقص العصفورة للجارة قصتها .. خرجت من العش تجمع الحب لأبنائها الصغار، وعادت فلم تجد العش ولا الأبناء ولا الشجرة وتستعطف الجارة أن تبتنى عشا جديدا على شباكها الأخضر.. إنها قصة إنسانية دامية ..

هذه هي الشاعرة جلييلة رضا، وتلك هي شاعريتها المبدعة الأصيلة التي
يمثل شعرها الروح المصرية بكل جمالها وجلالها وبساطتها، والتي ملأت سمع العصر
شدوا والتي قل أن نجد لها نظيراً في شعر شاعرنا العربيات.
وهنافها بمصر ونيلها وبالقرية المصرية وسحرها، وبالطبيعة في ربوع الوادى
وفتنها، وبكل قيم الإنسان الطموح من حق وعدل وحرية وسلام .. يملأ دواوينها
بأجمل القصائد وأحلى الأبيات.

الباب السادس

مدرسة الشعراء الإسلاميين

مقدمة لنظرية الأدب الإسلامى

الأدب الإسلامى صياغة للأصول الأولى للمقاييس والقواعد التى يأخذ بها الأدباء والنقاد والدارسون للأدب، وهو إبراز للرؤية الإسلامية للأدب، وتفصيل الحديث عن مهمته: فما الأدب الذى نريده لمجتمعاتنا الإسلامية؟ وما مهمته؟ وأين تقع القيم الفنية فيه؟ وما مقدار اهتمامنا بها؟ وما المكانة التى سنعطىها للأدب فى ساحاتنا العملية؟ وكيف ننظر إليه وسط تطلعاتنا إلى التقدم؟ وكيف نتعامل مع الأجناس الأوربية الحديثة والجديدة؟ وماذا نأخذ من مذاهب الأدب الغربى وماذا نترك؟..

إن طبيعة العمل الأدبى وعلاقته بالعقيدة هى أهم الجوانب فيه، وهى الأم للأدب قديما، وهى الخلفية الفكرية للأدب حديثا. ومسوغات نظرية الأدب الإسلامى عديدة، وحاجة المجتمع الإسلامى المعاصر إلى هذا الأدب ماسة على أن مصطلح الأدب الإسلامى مصطلح جديد قديم، فالحضور الإسلامى فى تراثنا الأدبى، ومواقف نقادنا القدماء من العلاقة بين الأدب والإسلام، معروفة.

إن الأدب الإسلامى هو الذى يستطيع مثلا أن يفهم مؤلف كتاب "آيات شيطانية"، وأن يرد على هؤلاء الشياطين الجدد المتاجرين بالأدب فى سوق التفرغ والعلمانية والمادية الجدلية والإلحاديات العجيبة فى عصرنا. والأدب الإسلامى إضاءة للأعمال الأدبية التى تصدر عن قيم الإسلام ومثله وآدابه، والتى تعزز روح الانتماء فى صدور الشباب، والتى تؤكد دعائم الوحدة بين الشعوب العربية والإسلامية، والتى تعزز روح الإنسانية ومثلها الشريفة بين شعوب العالم.

محمد إقبال شاعر الإسلام

-١-

محمد إقبال شاعر الإسلام (٢٤ من ذى الحجة ١٢٨٩ - ١٩ من صفر ١٣٥٧ هـ: ٦ ديسمبر ١٨٨٣ - ٢١ من أبريل ١٩٣٨) ..
ولد في مدينة سيالكوت في إقليم البنجاب، من أسرة برهمية دخلت في الإسلام، وأب صالح شمله يحنانه.

حفظ القرآن، وأكمل تعليمه الابتدائي والثانوي، وأتم دراسته بالكلية الحكومية بلاهور (عاصمة البنجاب)، وعين مدرسا للتاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بلاهور، ثم مدرسا للغة الإنجليزية بالكلية الحكومية، وسافر في بعثة حكومية إلى لندن عام ١٩٠٥م وحصل على درجة علمية في الفلسفة والاقتصاد .. ورحل إلى ميونيخ بألمانيا، فنال من جامعتها الدكتوراه في الفلسفة، وعاد إلى لندن لحضور الامتحان النهائي في الحقوق فحصل على درجة في القانون، وعمل أستاذا في جامعة لندن لتدريس اللغة العربية، وضاف بعواصم أوروبا، وأخذ يكتب عن الإسلام انصر الطويلة، ويحاضر عنه وعن حضارته وأعلامه في كل مكان، ودأبت شهرته في أوروبا، وفي عودته من أوروبا إلى بلاده مر بصقلية، وتذكر الحضارة الإسلامية وأثارها هناك، فبكى مستعيرا، وكتب قصيدته:

أعني هذا آوان البكاء
نشدتكما الله لا تبخلا
وما شئتما من دم فاسكيا
سحائب دمع كقطر الندى
فأني أرى يومنا من بعيد
ويا لوعة القلب مما أرى
وللعرب كانت هنا دولة
ومثوى حضارة أم القرى

عمالقة البید خاضوا البحار
فكانت لأسطولهم ملعبا
لقصور الأباطرة المالكين
دانّت لتوحيدهم سجدا
أعود إلى الهند مستعبرا
يا نبیل ذکرى لمجد خلا

-٢-

وعاد إقبال إلى موطنه رائدا للفكر الإسلامی، ومناضلا فی سبیل الحرية الوطنیة، ومدافعا عن شعبه المسلم، وأخذ ینتصر لقضايا الحرية فی وطنه، وصار عضوا عاملا فی كل التنظيمات الوطنیة والسیاسیة، من بینها: مؤتمر المائدة المستديرة، وحزب الرابطة الإسلامیة، وألف العید من الكتب من بینها:
١- فی جامع قرطبة، ترجمه إلى العربیة نثرا أبو الحسن الندوی.
٢- حدیث الربیع، ترجمه كذلك إلى العربیة نثرا أبو الحسن الندوی.
٣- فی مدینة رسول الله، ترجمه كذلك إلى العربیة نثرا أبو الحسن الندوی.
٤- وترجم قصائد من شعره إلى العربیة شعرا كل من الصاوی شعلان، ود. عبد الوهاب عزام، ومحمد حسن الأعظمی، وعبد العلیم القبانى .. وغيرهم.
وفكر إقبال الإسلامی فكر متمیز، حیث كان داعیة إلى بعث الحضارة الإسلامیة، وقیام المجد الإسلامی والمد المحمدی، والأثر القرآنی مرة أخرى.
یقول إقبال من ترجمة الشیخ الصاوی شعلان - رحمه الله -:

الصین لنا، والعرب لنا
والهند لنا، والكون لنا
أضحی الإسلام لنا دینا
وجمیع الكون لنا وطننا
توحید الله لنا نور
أعددنا الروح له سكنا

-٣-

دعا إقبال إلى دولة مستقلة لمسلمي الهند وتشمل المناطق ذات الأغلبية المسلمة، فكان الأب الروحي لباكستان، وفي محاضرته التي ألقاها في الاحتفال السنوي لحزب الرابطة الإسلامية في مدينة الله آباد في ديسمبر سنة ١٩٣٠م.. يقول إقبال: "أرجو تأييدكم وموافقتكم على أن تتكون من مقاطعات البنجاب والحدود الشمالية والسند وبلوختان دولة واحدة .. وقامت باكستان بعد وفاة إقبال بنحو تسع سنوات، وذلك في الحادي عشر من شوال سنة ١٣٦٦هـ - الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٧م.

وقد عني بإقبال، وتقديمه لقراء العربية، الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله -، وكتبت عنه دراسات وبحوث ومؤلفات ورسائل كثيرة .. وآخر ما صدر عن إقبال كتاب "مع إقبال" للأديب الإسكندري عبد اللطيف الجوهري، وفي هذا الكتاب "مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية" تناول المؤلف نشأة إقبال ودراسه وأدبه وصلاته بالعالمين العربي والإسلامي، وبالمجتمع الإنساني كافة، وفي الكتاب دراسة لشاعرية إقبال، وعرض لروائع من أدبه وشعره، ولآراء بعض الأدباء والمفكرين فيه.

-٤-

خلف إقبال تسعة دواوين نظمها شعرا بالأوردية والفارسية، ومن أهمها: بياض مشرق أو رسالة المشرق، ودويوان مسافر، وأسرار خودي أي أسرار الذاتية، وجاويد نامه أي الكتب الخالدة وهو شبيه بالكوميديا الإلهية لدانتي ورسالة النفران للمعري .. وهذه الدواوين كلها باللغة الفارسية..

ومن دواوينه: ديوان ضرب كليم وهو بالأوردية .. وتحمل هذه الدواوين كلها فكر إقبال وفلسفته التي تأثر فيها بجلال الدين الرومي (٦٠٤ - ٦٧١هـ). وكتابه "تجديد بناء الفكر الديني في الإسلام" يحمل الكثير من أصول فلسفته وفكره المضيء الذي أسدى به للعرب والإسلام وللإنسانية فضلا لا ينسى .. ويدأ لا تجحد.

شاعر .. من مكة

إبراهيم أمين فوده .. ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٢ هـ.
وعائلات "فوده" بالحجاز ومصر والمغرب والسودان والشام ينحدرون من أصل واحد من بني هاجر تمتد منازلهم من قرية "فوده" على بعد عشرين كيلومتر من "أبيق" بالمنطقة الشرقية "الإحساء" حتى "العلا" شمال "المدينة المنورة" وهناك في مهاجرهم قرية "فوده" قرب أم درمان بالسودان و"جبل فوده" بصعيد مصر.

تخرج من المعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٧ هـ. وطلب العلم على يد والده فضيلة الشيخ محمد أمين فوده الذي درس بكتاب أبيه الشيخ إبراهيم فوده بمكة، وبالمدرسة الرشدية بمكة في العهد العثماني، وبمدرسة الفلاح بمكة في العهد الهاشمي، ودرس بالمسجد الحرام، إلى جانب كل ذلك .. وشغل مناصب عدة في العهد السعودي منها وكيل رئيس القضاء وإمام المسجد الحرام، ومدير المعارف العام ورأس لجانا إضافية منها رئيس اللجنة العليا لترقية وتأديب كبار الموظفين التي كان أعضاؤها المديرين العاميين في ذلك العهد إلى غير ذلك.
وعمل سكرتيرا لديوان التفتيش بوزارة المالية ثم مفتشا مركزيا بالطائف، ثم سكرتيرا لإدارة وزارة المالية، ثم سكرتيرا أول لإدارة عموم وزارة المالية، ثم مديرا عاما للإذاعة.

وكان أول مدير عام للإذاعة السعودية، عين رسميا في هذا المنصب بدرجة مدير المالية العام عام ١٣٧٠ هـ، وكانت رتبة مدير المالية العام تمتاز عن رتب المديرين العاميين آنذاك - قبل عهد الوزارات. وفي مدة إدارته صدر المرسوم الملكي التأسيسي للإذاعة الذي جعلها هيئة مستقلة تتبع رئيس مجلس الوزراء وحين بدأ نظام الوزارات أعطى المدير العام للإذاعة مرتبة وكيل وزارة، وفي مدة إدارته أيضا صدرت اللوائح الداخلية للإذاعة التي نظمت الإدارات المختلفة بها واختصاصاتها.

وأخر عمل له في الدولة هو ممثل لوزارة المالية والاقتصاد الوطني لدى مجلس الوزراء ومجلس الشورى ووزارة الخارجية.

اشترك أثناء عمله الحكومي في هبئات مختلفة وكلف برحلات رسمية وقام بأعمال إضافية إلى جانب عمله الأساسي في الإشراف على مطبعة الحكومة وإلى جانب عمله بوزارة المالية وأثناء ذلك وبعده قدم مرئيات حول التطوير الإداري لقيت القبول.

وشارك في كل النشاطات المحلية المختلفة فكان أول رئيس لمجلس إدارة نادى الوحدة الرياضى بمكة وفي ذلك الوقت صدر أول نظام داخلى لنادى رياضى بالمملكة، وكان أمين عام لجنة إصلاح مدارس الفلاح التى اجتمعت بجدة إلى غير ذلك من الهبئات والمناصب العامة.

وشارك بمقالات وقصائد فى الصحف والمجلات المحلية منذ ما قبل عام ١٣٥٨ هـ وأجريت معه عدة مقابلات صحفية وإذاعية وتليفزيونية.

وألقي عددا من المحاضرات والأحاديث والأمسيات الشعرية فى الإذاعة ورابطة العالم الإسلامى والجامعات والأندية الرياضية والثقافية وإدارة التعليم بمكة والمدارس كانت أولها فى منتدى جمعية الإسعاف الخيرية عام ١٣٥٨ هـ، وهو طالب فى مدرسة تحضير البعثات التى أكملها ولم يواصل الابتعاث. اختير رئيسا لنادى مكة الثقافى الأدبى بالانتخاب لثلاث دورات متتالية منذ تأسيس النادى.

وصدرت له رسائل أربع:

- حديث إلى المعلمين.

- المهمة الصعبة.

- الرياضة والهدف.

- الشاعر المحسن.

كما صدرت له دواوين خمسة:

- مطلع الفجر.

- مجالات وأعماق.

- صور وتجارب.

- حياة وقلب.

- تسبيح وصلاة.

وشعره يمثل الأصالة والعمودية والالتزام الشعرى. والمحافظة على روح الإسلام وفكره دأبها فى كل ميدان. وكل موضوع.

الدكتور عبد العزيز شرف والرومانسية في ديوانه "إلى نبع الحب"

- ١ -

في بدء عصر النهضة في أوروبا جهد الأدباء، في إحياء الأدب الإغريقي واللاتيني القديم وفي تقليده، وسمى الأدب الذي أبدعوه، وهو أدب القرن السابع عشر والثامن عشر، أدبا كلاسيكيا، وقد حرصت الكلاسيكية على جودة الصياغة وفصاحة التعبير، وخضعت للأصول والقواعد المرعية في اللغة والأدب، واستوحيت الآداب القديمة واتخذتها نماذج تحتذى. أعمل الأديب الكلاسيكي عقله إعمالا شديدا في إنتاج أدبه، ولذا عيب على الشاعر الكلاسيكي أنه يضحى بالعاطفة المشبوهة في سبيل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية ولم يخلف هذا الأدب شعرا غنائيا ولا قصصيا، بل شعرا مسرحيا، وتمثلت الكلاسيكية في أدب راسين وكورنيلي وموليير، وهم من كتاب المسرح.

وسئم كثير من الأدباء في أوروبا الكلاسيكية، وأخذوا يتخلصون من قيودها وصنعها عاندين إلى الطبيعة والريف، وحياة البساطة والحرية، فظهرت الحركة الرومانسية في الأدب والنقد والشعر، وتتلخص دعوة الرومانسية في الأدب فيما يلي:

١- تحطيم القيود الكلاسيكية والرجوع إلى الذوق والعاطفة والوحى والإلهام ومحاولة التجديد ولو كان في ذلك خروج على المواضع اللغوية والقواعد الفنية.

٢- ترك المدينة إلى الريف وإلى الطبيعة والرسم بجمالها الحر البسيط.

٣- العناية بالطابع الشخصي وما يتبعه من ألوان العواطف والشعور، ومن ثم اتجهوا إلى الشعر الغنائي العاطفي.

٤- التحرر من العالم المادى (إلى العوالم المثالية:

٥- البساطة في كل شيء: في التفكير والتعبير والتذوق والشعور، وترك النفس على سجيتها، واتباع الفطرة والطبع الخالص.

ومن ثم صار الأديب والشاعر الرومانسي لا يستوحى إلا نفسه والهيام ذوقه
وصدى عاطفته، وأصبح يستلهم أدبه من الطبيعة والعواطف الإنسانية.

-٢-

وقد قامت الرومانسية في إنجلترا ثم في ألمانيا وفرنسا ثم في أسبانيا
وإيطاليا، والتيار الفلسفي الذي قامت عليه هو التيار العاطفي، وجمهور الرومانسية هم
الطبقة الوسطى، بعد أن كان جمهور أسلافهم هم الطبقة الأرستقراطية، ومن ثم فقد
نهضت الطبقة الوسطى في ظل الرومانسية، وبدأت تسترد حقوقها ومكانتها.

ونهض الشعر الغنائي في ظل الرومانسية للاعتداد بالفرد ومشاعره، فصار
تعبيراً عن الانفعال أو عن التصور في أعلى درجات إيقاعه اللغوي، ومن ثم ولد الشعر
الغنائي في مفهومه الحديث في الأدب الأوربي، وضعف شأن المدح التقليدي،
وهان شأن الشعر الحكيم والتعليمي، وتكونت الوحدة العضوية للقصيدة، فأصبحت
القصيدة ذات بنية حية تنمو من داخلها في اتساق تام نحو نهايتها، على نحو ما
ذهب إليه جوته وأوسكار وايلد ولينج.

وقد خلط الشعراء الرومانسيون مشاعرهم بمنظر الطبيعة، ودعوا في شعرهم
إلى الأصالة، وكرهوا التقليد، حتى كان هوجو وهو من شعراء الرومانسية يقول:
يجب أن يحذر الشاعر من النقل عن أي شاعر آخر.

ويلج الشعراء الفرنسيون الرومانسيون في التعبير عن ذواتهم، وعن فلسفة
الآلم التي تنطوي عليها جوانحهم، وازدهرت الرومانسية في القرن التاسع عشر، وقد
عارضها بعض النقاد في أوروبا، وأخذوا على أصحابها إسرافهم في التشاؤم والنحيب
والتغنى بالآلم والفناء والأحلال والتبرم بالحياة، ألم يقل الشاعر الرومانسي: إنني
أحب الآلم البشري؟ وألم يقل شاعر آخر: المرء طفل معلمه الآلم، ولا شيء يسمو بنا
إلى العظمة كما يسمو الآلم؟.

-٣-

ودعوة أبوللو لا تبعد عن دعوة الرومانسية هذه .. فقد دعا أدباؤها ونقادها
إلى:

- ١- الثورة على التقليد، والدعوة إلى الأصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة وإطلاق النفس على سجيتها، وإلى الطلاقة الفنية، والبعد عن الافتعال وإلى تناول الفن السليم للفكرة والمعاني والموضوع.
 - ٢- البساطة في التعبير والتفكير، وفي اللفظ والمعنى والأخيلة، ويتبع ذلك التحرر من القوالب والصيغ المحفوظة وأساليب القدماء ..
 - ٣- تركيز الأسلوب، والرجوع إلى النفس والذات وإلى العاطفة الإنسانية الصادقة، والاتجاه إلى الشعر الغنائي العاطفي، وإلى التأمل الصوفي.
 - ٤- الغناء بالطبيعة الجميلة وبالريف الساحر.
 - ٥- الغناء بالوحدة والألم والسأم والقلق النفسي والعذاب الروحي.
 - ٦- العناية بالوحدة العضوية للقصيدة، وبالانسجام الموسيقي.
- وهذا الاتجاه العام لمدرسة أبوللو هو نفس الاتجاه الرومانسي في الآداب الأوروبية.
- وفي ظل الرومانسية نهض الشعر الغنائي، لأنه شعر ذاتي لا موضوعي، وتكونت الوحدة العضوية للقصيدة، وظهرت شخصية الشاعر في قصيدته واضحة، وكان جوته وهو من رواد الرومانسية في الغرب يقول: "يجب أن يحذر الشاعر من النقل من أي شاعر آخر"، لأنه يريد أن يكون تعبير الشاعر إنما هو عن ذاته لا عن ذات غيره، فشخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر عند الشعراء الرومانسيين، ومن بينهم جوته وشكري.
- وألح الشعراء الرومانسيون في التعبير عن ذواتهم وعن فلسفة الألم التي تنطوي عليها جوانحهم.
- وقد ازدهرت الرومانسية في القرن التاسع عشر الميلادي ..

(٤)

والنزعة الرومانسية يغذيها في نفس الشاعر الدكتور عبد العزيز شرف حياته في الريف مع الطبيعة الجميلة، والمشاهد الفاتنة والحقول الواسعة، والأفق الممتد، والسماء الزرقاء، والنجوم الفضية .. وكل ذلك مما يغرس في نفسه حب الطبيعة والهيام بها، والغناء فيها، وفي الديوان قصائد كثيرة تتحدث عن الطبيعة وتناجيها، وتهتف بها ..

يقول من قصيدته "مدينة الأحلام":
 وحينما يغرد الزرزور
 ويسـتميل البـردور
 ويهتف المزمـار بالأحزان إذ تموت
 ليـحق الديـجـور
 فـى طيفك المسـحور
 وحينما يغرد الزرزور فى مدينة الأحلام
 ليـبصر الحـديقة التى انتهت
 تدوب لحظة لترشف السلام
 إلى قصائد ومقاطع كثيرة من قصائد فى الديوان تتحدث عن الطبيعة بلهفة
 وحب واهتمام، حتى ألفاظ الشاعر يستمدّها من الطبيعة، فيقول مثلاً من قصيدته
 (!يزيس) - ص ١٩ من الديوان:
 فى خمائل الشعور.. فى جدائل الحسان
 بحثت عنك .. فى الزمان والمكان
 لعل شعرك الجميل .. كالصفاء .. كالأمان
 يدلننى .. عليك فى الأزمان
 وفى القصيدة نفسها يقول:
 أهـواك يا يـزيس
 فى مراكب الأنعام ..
 ويا بنات الحـور،
 تلحن لى فى وجنات النور
 يعانق العصفور فى رحابها الأنعام..
 فى مدائن الزهور
 مسافر .. يطـير
 فى العالم المسحور.

يدوب في نشيدها كقطرة من نور

وحين يتحدث عن محبوبته يقول:

وهــذى الصبــية

تعيش بحلم الورود كوردة

إن الطبيعة والريف وجمالها الأثيرى يأخذان بعقل الشاعر ووجدانه كل

مأخذ وهذا شأن الشاعر الرومانسى دائما وأبدا ..

والديوان كله شعر غنائى وجدانى ذاتى لا موضوعى، وشخصية الشاعر

وذاته هى أولا وقبل كل شىء أظهر الأشياء فى الديوان، وهذا شأن الشاعر

الرومانسى أيضا ..

وما أجمل ما يقول الشاعر من قصيدة حب عنوانها "لا تقضى":

مجنونتى .. مجنونتى .. لا تقضى

إن كنت أوشك أن أمر واختبى

فأنا أحبك .. قلتها .. وأقولها

يا حلوتى .. يا منية القلب الصبى

عنى تقول: أحبها .. ومشاعرى

تهفو إلى الوجه الحبيب الطيب

تهفو إلى حلم اللقاء .. لحظة

أنسى هنالك ما ألم بمركبى

قد كدت أغرق يا حبيبة ساعة

فى بحر عينيك العميق الملعب

كم كنت أهتف .. يا حبيبة عانقى

أحلامنا الخضراء .. لا تعدبى

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة المعطرة بشذى الحب والأحلام، والديوان

كله "من نبع الحب" قصيدة حب، والحب ولا ريب موضوع غنائى ذاتى أن وقف

الشاعر منه موقفا رومانسيا. فلا عجب أن يكون الشاعر الرومانسي البرعة والهوى والمذهب. يقول الشاعر:

بعد ليل عاد حلمي. عاد لي حبي وقلبي
ورأيت الحب أنغاما أضينت بين ركبي
هي أنغام نشاوي، طاهرات حالمت
تملا الكون انتصارا هز عطف الكائنات
ويقول أيضا:

وكانت نبع إلهامي.. وآمال وأحلامي
تطير النفس أشواقا لرؤية ظلها السامي
وفي الذكرى لها خفق أحزان بأيامي
تطمئن بأن الحب معدن عمرنا السامي
والشاعر الرومانسي حين يتحدث عن وطنه وعن القيم الإنسانية. يمزج ذلك دائما بالحب، وبأحلام العذريين، كما كان يفعل صالح جودت مثلا، وكما فعل الدكتور الشاعر صاحب الديوان، يقول من قصيدته "إيزيس" أيضا:

إيزيس .. يا إيزيس!
يا شوقا أبدى الأشجان،
كادت تطويني نيران البركان
وقرات كتاب الموت
وعبرت بحمار الليل
عبر سطور الأبدية
اقرأ قدام النور
من سفر "خروجي" أغنية
وأغنى فجر "نهار" الإنسان ..
فجهر الحريّة

وفي قصيدته "مازلت يا وطني .. الهار" يقول الشاعر:
تتوسد الصدر الحنون، تنام في الجفون الأملين
وعلى جناح الخصب تسبح في بحيرات السنين

وهناك في المرسى: تغنى أغنيات لا تلبس
نحيا على أمل الربيع - الحلم - في الفجر الجنين

نهر الحياة يصوغنا في كل يوم من جديد
من ألف ألف لا تزال نعانق الفجر الجديد

ولأنهم لا يعلمون بأننا عشاق مصر
نمضي لنصنع دائما فجر الحياة لكل حر

لا تحزني - يا مصر - إن طال الجهاد ليوم نصر
إن عاش شعبك ضالقا، فاليسر آت بعد عسر

يا مصر كجد كحق لاح، فعانق إشراق فجر

وكذلك نجد في قصيدته "الكثانة الخضراء" يقول فيما يقول فيها:
كنناتي الخضراء ..

تمد رأسها إلى السماء

وتدرف الدموع في فرعين

يحملان حلم أمها إلى العلاء

فوق معاني الحزن والبكاء

يقيم حلمنا العظيم في الأحشاء

مسارة

ومشعلا . للحب في السماء

يا مصر يا عليه المكان
يا قمة التاريخ للإنسان
لن يهزم الإنسان

والحيرة والعدا والشت والرب والسراب كلها لغة الرومانيين، وما أكثر ما نجد الشاعر الروماني الأبوللي، بن رابطة الأدب الحديث، الدكتور عبد العزيز شرف، يلقي قراءه بعداياته وآلامه وأشجانه وأحزانه، وكان الشعر بكاء وحزن ودموع..

يقول فيما يقول .. من قصيدته "حيرة":

هل حقاً أنك تهواني
ويعانق قلبك قلبي الحاني
وترانسي أجلى أغنية
رتلها روح الأكوان
أم أنك جئت تخبرني؟
ما عاد الهجر بإمكانه

ومن قصيدته "شك" يقول:

هل حقاً إنك تعشقتني
فلماذا! الشك يعانقني!
هل حقاً إنك تهواني
فلماذا! الحب يؤرقني!

ويستمر المنولوج الداخلي في استرساله، فتقول حبيبته له:

ولماذا! حبك حيرني
ولماذا! صمتك يرهقني
هل حقاً إنك تحلم بي
أم أنك جئت تفارقني
هل أحيا في أوهي وهم
في أحلى حب يرهقني

ويرد على هذه الحيرة شاعر "من نبع الحب" فيقول:

في صمت الليل أحن إليك
وأنا جى روحا تحرقني

إلى آخر هذا الحوار النفسي، المنولوج الداخلي كما يصح أن نسميه ..

الشاعر: هلال ناجي وديوان "مرفأ الذكريات"

وعرفنا في هلال ناجي، من دواوينه: "ساق على الدانوب"، "الفجر آت يا عراق"، "أغنية حزن إلى كركوك".

ويحدد لنا معالم شخصيته، وسمات شاعريته.

وقد عرفنا هلال ناجي شاعرا أنيق الأسلوب، عميق الفكرة رمزي الصورة غالباً، يسير في اتجاه قومي عربي واضح، تتضح الرؤية الشعرية في أغلب قصائده، ويضع يده على موضوعه الفني، وعلى عناصر هذا الموضوع الذاتية، دون لبس أو عناء.

وفي هذا الديوان إضافات كثيرة على هذه الصورة، فقد أصبحت القصيدة عند هلال ناجي، مكتملة البناء الفني، واضحة الشخصية الذاتية، ظاهرة التعبير عن ملامح الشاعر الداخلية وتفكيره الوجداني. وصارت تجربة القصيدة، ووجدتها العضوية، وإلهامها الشعري، وأداؤها الفكري والتعبيري وكل قيمها الفنية، أقرب إلى الاكتمال، وأوفى بمطالب القصيدة، وضرورتها، وتمتمات وشيها وكل مقوماتها الشخصية.

وعندما نريد أن نحدد الإضافات الجديدة لشاعرية هلال ناجي، التي يعطينا إياها هذا الديوان الجديد، نرجع إلى قصيدة مثل قصيدته "وعاء الزهر" التي نظمها الشاعر في استكهولم.

وكان قد زار المتحف الوطني في هذه العاصمة الجميلة، فشهد وعاء زهر عربي، أضخم من حجم الرجل، يشمخ بردائه المصفر عند باب قاعة من قاعات المتحف، وهو من صنع فنان أندلسي في القرن الثاني عشر الميلادي، ووقع في أيدي أسرة إسبانية بعد محنة الأندلس، ثم انتقل بعد قرون إلى بروسيا، وامتلكته أميرة بروسية، تزوجها ملك السويد، وحملته معها فيما حملت من هدايا زواجها، وآلت هذه القطعة الفنية النادرة أخيراً إلى المتحف الوطني في السويد:

وفي مطلعها يتحدث الشاعر عن رحلته خارج وطنه وزيارته استكهولم.
واسترعت انتباه الشاعر هلال ناجي، وهو يقف أمامها، ويتأملها، في صمت وخشوع.
في تموز عام ١٩٦٣م، وكان بينها وبين الشاعر حديث صامت طويل تسجله هذه
القصيدة:

عندما لفت القلوع ركابي
وطوتني البحار عن أحبابي
ومضت بي الأيام في كل درب
نضحت السماء بالأطياب
في جنان السويد طاب شرابي
ورشفت الرحيق دون حساب
ثم ينتقل، مباشرة، إلى المتحف وتفكيره في زيارته فيقول:
قلت أمضى إلى المتاحف القى
ما حوته من الفنون العجايب
وهو في كل ذلك يقتضب ويفاجئ ويقتص ويسجل، وذلك مغفور للشاعر ما
دام في مقدمة قصيدته. ثم يبدأ في الثاني، وينظر في عمق "وتأخذ شاعريته في
الانطلاق والانعقاد، فيقول في وصف الطبيعة المجلوة في صباح ذلك اليوم الذي
سار فيه إلى المتحف الوطني:
كان صباحا موشحا بغيوم
كوشاح الحناء دون اجتلاب
طرزته من الإله أكف
معجزات في فنا الخلاب
مد فوق الخليج معطف نور
زر كشته نواسم من غاب
وتراءى الجمال من كل ركن
فقباب تدور حول قباب
ورفوف الطيور تشمخ حيناً
ثم تهوى من حالق كالشهاب

وقلوع تجيء خلف قلوع

في اقتران الطبيعة الخلاب

والصورة هنا واضحة في رؤيتها الشعرية، صورة صباح ذلك اليوم الموشح بالغيوم، الغيوم الجميلة، التي تشبه وشاح الحسناء، وصورة الأفق المديج بهذا التطريز العجيب الذي نسجته أكف الإله، في إعجاز فني خلّاب، والخليج الذي كأنما مد الله فوقه معطف نور زركشته نواصم الغاب، والجمال يتراءى في كل ركن، فقباب تدور حول قباب، والطير يرف وبشمخ محلقا أو هاويا من الأفق كالشهاب، وقلوع السفن تجيء الخليج خلف قلوع وترسم منظرا فريداً باسماء كل ذلك في شاعرية متألفة ونسج أخاذ، وخيال شروذ، ووعي وتسجيل كاملين لكل روائع المنظر العجيب لصباح ذلك اليوم، ولمناظره الفريدة في رؤيا البصر، وهي صورة متألفة بهيجة لا مثيل لها في إشعاعها وجمالها ..

وقادت الشاعر خطواته إلى المتحف، ودلفه، وتنقل بين قاعاته، وهنا يحدث الحدث الفني، وتجيء المفاجأة الرابعة، ويدوى في سمع الشاعر همس وعاء الزهر العربي له ومناجاته إياه:

وانتهى بي المسير في خير دار

زخرت بالفنون والآداب

كان صباحاً موشحاً بغيوم

كوشاح الحسناء دون اجتلاب

حين دوى في سمعي حفيف

من وعاء شهدته في الباب

والشاعر يصور المفاجأة هنا في ذروة وقعها، وشدة تأثيرها، وذلك بدء العمل الفني الحقيقي. ويأخذ الشاعر في تصوير لقائه لهذا الوعاء الأندلسي، وشوقه إليه، وحنانه له، وصدى ذلك، العميق في نفسه:

الوعاء العجيب كان شموخاً

رغم يتم وصفرة في الثياب

كلقاء الأعراب للأعراب

في صحارى شديدة الأجذاب

كان شوقي إليه كان خشوعي
كان توقى لصوته الجذاب
وأناى كلامه مثل وحى
حملته الأحقاب للأحباب
ونقف هنا عند أبعاد الصوت: الشموخ والصفرة فى الثياب واليتيم، وشوق
الشاعر إلى هذا الوعاء الزهرى، وخشوعه أمامه، وصمته حيال صوته الجذاب، وفرحه
بعد فرحة لا تعادلها إلا فرحة العربى بلقاء العربى، فى صحراء شديدة الأجذاب،
وإنصاته لحديثه الرائع كأنما هو وحى حملته الأحقاب للأحباب .. وهى كلها لقطات
فنية نادرة.

وكان لابد للشاعر بعد ذلك من أن يسجل حديث وعاء الزهر، فماذا همس
به فى أذن الشاعر، ومادا قصة عليه .. يقول هلال ناجى يكمل الصورة الشعرية لهذا
الحدث الكبير، والتجربة الطريفة:

أيهاذا الحفيد، يا بلبل الشعر
أناى وقد سنمت اغترابى
لا تدرنى ظمآن كالكأس للخمر
كشوق السقاة للأعشاب
كحنين الفراش للأطياب
وكحللم الرعاة بالأعشاب
حملتنى الأكف فى شبه قهر
لملوك الإفرنج فى الأحقاب
وأراى من بعد عز وحيدا
كالبعبع المفروود بين الروابى
أنقرى الخطى، ففى كل قرن
عربى أشيمه فى الركاب
هو عندى كالحلم كالأمل الحلو
كفيض من الأمانى العذاب

سم يمضى عجلاً في شبه سهو
 عن همومي وغربتي ومصابي
 ضاع عمري قبل الصباح وعادت
 كالحبات الهموم تطرق بابي
 والحديث هنا عن الغربة والوحدة والضياغ والفراخ والحنين، وعن الأحقاب
 التي طواها وعاء الزهر في شبه قهر، والأكف تحمله، منتقلاً بين ملوك الإفرنج، وعن
 فرح الوعاء بقاء عربي، وقد لا يتأتى له هذا اللقاء إلا كل قرن من الزمان، وكيف
 يخلفه الزائر العربي في شبه سهو عن همومه وغربته ومصابه: وعن شباب الوعاء الذي
 ضاع قبل الصباح، وعادت الهموم تطرق بابه .. وهو حديث في صميم العمل الفني،
 وكله جدة وإلهام نادر.
 ويتابع الشاعر الحديث مأخوذاً مبهوراً. فيقول:
 يا سميري وصاحبي وخليلي
 ونجى من بعد طول اغتراب
 أين قومي هل مزقتهم صروف
 داميّات بأشعرس الأنساب؟
 أم تراني شطحت فالقوم قومي
 في شموخ وعزة وجناب
 فلماذا إذن يعيشون هملاً
 دون رأى أو سطة أو جواب
 ولمماذا إذن أضاعوا عزيزاً
 دون درء لأوهن الأسباب
 ضاع قومي في الداجيات وعادت
 كالحبات الأعوام تطرق بابي
 والسؤال هنا عن التاريخ، تاريخ قومه العرب في الأندلس وأين هم، وماذا
 صنعت بهم السنون، وكيف يعيشون، وكيف ضاعوا في الداجيات؟ سؤال مثير عن
 عرب الأندلس، وكيف بددتهم صروف الليالي، وذهبوا مع الأيام كالحبات الأحداث.
 وكان لابد من هذا السؤال، بعد أن تحدث الوعاء عن نفسه، عن وحدته وغربته
 وكأبته: وهو في صميم العمل الفني الذي تناوله الشاعر.

وينتقل الشاعر أثر ذلك إلى تسجيل صدى هذا البحث الدامي في نفسه.

فيقول:

في رفيف الضحى طويت كتابي
وهرقت التبيد من أكوابي
عاد صبحي دجى، وعاد نهاري
نابغيا يثير بالهم ما بى
(أين قومي؟) تدق كالهيم بياي
فى مقبلى وفرحتى واكتسابي
يا وعاء الزهور، هالك جوابي:
بات قومي فى فرقة واحتراب
مزقتهم من الخلاف نيبوب
وتوارت أمجادهم فى الضباب

وبذلك تنتهى القصيدة، التى ضمت تجارب شعرية عميقة، تدور حول وحدة الشاعر فى رحلته إلى أوروبا، وقطعه لهذه الوحدة برشف الرحيق دون حساب، ويتفكيره فى زيارة المتحف الوطنى، وحول وصفه لصباح ذلك اليوم الجميل، ووقوفه أمام وعاء الزهر وجها لوجه فى متحف استكهولم، وحول حديث الوعاء إلى الشاعر، وصدى ذلك الحديث العميق فى نفسه .. وذلك كله من صميم البنية الفنية للتجربة التى عاناها وعاشها واستلهمها.

والقصيدة فى رأى قمة الشعر المعاصر، وفيها صدى عميق للشعور القومى العربى فى نفس الشاعر، وتمائل سينية البحتى فى وصف إيوان كسرى، وقصيدة الشاعر فى ديوانه: "ساق على الدانوب" فى جمل عربى رآه فى حديقة الحيوان بفينا.

وإذا كنا نريد تمييز هلال ناجى بشىء فإننا نؤثر أن نميزه بقصيدته "وعاء الزهر" فهى وشى من عبقرية ونسج من شاعرية محلقة مبدعة صناع. فالفكر الشعرى والتجربة والصورة الشعرية بأدواتها من موسيقى وخيال وألفاظ وتعابير فنية. والعاطفة، وروح الشعر وجوهرة وليه وخالصه، متميزة فيها كل التمييز، مصورة فيها بوضوح شديد ..

وهى من الشعر العمودى الذى يجمع بينه وبين الشعر الحر قصائد هذا الديوان.

شاعر الملاحم كامل أمين - ١٩١٥ -

شاعر موهوب، من أعضاء رابطة الأدب الحديث، وهي حتى يعيش مع
المرض حتى اليوم.
كتب عنه في كتب عدة لي، وفي كتابي "الشعر والتجديد" دراسة موجزة
(ص ٢٩٣ - ٣٠٥).
أول دواوينه الشعرية هو "نشيد الخلود" وله من الملاحم:
- ملحمة السموات السبع.
- ملحمة عين جالوت.
- ملحمة حطين.
- وغيرها.
وصدر له ديوان ثان هو "الأشواق".
وفي كتابي "الشعر والتجديد" أوردت له عدة قصائد، منها:
- الإعصار ص ٤٣٠.
- الشرط الأول ص ٤٣٥.
- يشتري مقبرة ص ٥٠٦.
- عيد ص ٥٠٨.
وهي التي يقول منها:
هل كنت تتبرع لولا الحزن أغنية
فمن رأى ميتا بالموت محمود
ومن رأى قبل شكري في الدموع غنى
لقال للدين فيها أنست عبود
قولوا لمن أوصدوا دوني صحافتهم
لا تحسبوا أن باب الخلد مسدود
إن عشتم لقد أوعشته لكم
أذقتكم كيف يشوى اللحم سفود^(١)
وعلمتكم يميني كيف تسكتكم
وفوقكم مجلس الآداب مهدود

(١) الفود: الشواية.

مدرسة الشعر الجديد

-١-

كل تراثنا الشعري يتمثل في القصيدة العربية العمودية التي ورثناها عن امرئ القيس وحسان وجريير والبحتري والمثنبي والبارودي وشوقي وأضرابهم من الشعراء الذين أغنوا الشعر العربي، ولقحوه بالأخيلة الطريفة، والمعاني الجديدة، والأغراض المتنوعة، والأساليب العربية الأصيلة، وبالموسيقى الماثورة ذات التقاعيل الارتكازية العذبة، التي كشف عن أصولها الخليل بن أحمد (-١٢٠هـ)، ولقيف ممن تابعوه من نقادنا الأصلاء، الذين أضافوا إلى أوزانه أوزانا أخرى شبيهة بما كشف عنه الخليل من بحور.

إن كل هذا التراث الشعري الأصيل جزء من كيان القصيدة العربية، التي لا نسمي قصيدة شعرية حتى تكون أبياتها من بحر شعري واحد، وحتى تلتزم فيها قافية واحدة.

وإن كان شعراؤنا المعاصرون بتأثير الرغبة في التجديد، وتسهلا على أنفسهم من قيود الفن والتزاماته، جازوا لأنفسهم أن تشتمل القصيدة على عدة أوزان، إذا تعددت موافقها وأفكارها، ونظموا من ذلك قصائد عدة، من أشهرها قصيدة "الشاعر والسلطان الجائر" لإيليا أبي ماضي.

كما أجازوا كذلك تعدد القوافي في القصيدة الواحدة، مجازاة لنسب الموشحات الأندلسي، وتحرروا بذلك من سلطان القافية. فجعل الكثير منهم لكل مقطع قافية. إذا كان كل مقطع يمثل تيارا فكريا متميزا في القصيدة.

ومع ذلك بقي للقصيدة العمودية سلطانها العظيم لموسيقاها المؤثرة. ونغمها الموفق. وجمالها الفني الأخاذ.

والفن هو الفن، لا بد فيه من القيود، والمثل الفرنسي المشهور يقول: "لا يحيا الفن بغير قيود"، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الأصلية، وعمق تكوينه الفني المتميز.

ومع ذلك في تراثنا الشعري: نظام الأرجوزة، وعكس البحور المعروفة، والأوزان التي أحدثها المولدون، والموشحات والمسمط، والمربعات وما شاكلها... وفيه كذلك الكثير مما أضيف إلى هذا التراث في مختلف العصور، وبخاصة في عصرنا الحديث.. ومنه تنوع القافية، وتنوع الوزن في القصيدة الواحدة، كما ذكرنا، مع بقاء الروح الشعرى الأصل للقصيدة، وبقاء هيكلها العربي العمودي ذي التأثير الموسيقى الرفيع.

-٢-

وبدأت مدارس الشعر الجديد تدعو إلى التجديد في القصيدة الشعرية: فدعا مطران ومدرسة "أبوللو" إلى "الشعر المرسل" المطلق من التزام القافية، وإلى الشعر الحر، لتصبح القصيدة العربية - كما يقولون - أكثر مرونة وطواعية فيما يرى الشاعر، ويمكن استخدامها في الشعر القصصي والمسرحي والملحمي الطويل النفس، وتكون أكثر تعبيراً عن ذاتية الشاعر ومشاعره العميقة. حجج كثيرة، يبرروا بها هذا التجديد، وإن كان شوقي قد طوع القصيدة العمودية، فجعلها صالحة للشعر القصصي والمسرحي، وكذلك فعل أبو ماضي وعزيز أباظة وعلى باكثير وغيرهم.

والقافية لم تحل بين الشعر العربي القديم والحديث وبين ظهور الملاحم فيه، ومن مثل ذلك قصيدة ابن المعتز (٣٤٧ - ٣٩٦هـ) أو ملحمة في ابن عمه الخليفة المعتض بالله العباسي (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)، وقصيدة ابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) في الخليفة الأموي الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠هـ)، وملحمة حافظ إبراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢) العمري، وملحمة أحمد محرم (١٩٤٥) المشهور "الإلياذة الإسلامية"، وقصيدة شوقي (١٨٦٩ - ١٩٣٢) في دول الإسلام، وغيرها: فالشاعر

الموهوب لا تعوقه أبدا قيود الوزن والقافية، كما يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ - ١٩٥٥) في مقدمة ديوانه "الينبوع".
ولكن الداعين إلى التجديد، وباسمه، تحدثوا عن هذا الشعر الجديد، وإن لم يحدده، وإن اختلفوا في فهمه وتصوره، ومن بينهم العديد من الكلاسيكيين الاتباعيين، كالأهواي والرفاعي (١٩٤٥).
والكثير من الرومانسيين، كمطران (١٩٤٩)، وعبد الرحمن شكري (١٩٥٨)، وإبراهيم عبد القادر المازني (١٩٤٩). والعقاد (١٩٦٤)، وغيرهم.
ودعا أحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) إلى التجديد في عنصر الوزن والمعنى معا، ليكون الشعر مع العصر.
ورأى الأهواي أن القافية في القصيدة تمثل حركة النادب في نهاية كل مقطع من مقاطع حزنه.
ورأى د. زكي المحاسني (١٩٧٢) في كتابه "نظرات في أدبنا المعاصر" أن وحدة القافية في القصيدة العربية تشبه شكل الصحراء العربية، نفسها، التي تمتد ساحة منها وراء ساحة، في تماثل كامل، يشبه سرد القصيدة العربية - الجاهلية.
وهناك شاعر من رواد النهضة الشعرية في فرنسا هو "لويس أراجون" نظم بعض قصائده على نهج قريب من النهج الشعري العربي. وعد ذلك كشفا جديدا، فقسم بيته إلى مصراعين وقفاهما تقفية عربية.

- ٣ -

وبدأت الدعوة إلى الشعر الجديد أو الحر، أو المنطلق - على اختلاف في اسمه - تظهر بين بعض النقاد والشعراء المعاصرين، ومن بينهم مطران (١٩٤٩)، وأبو شادي (١٩٥٥) .. وإن لم يحددوا معنى هذا الاصطلاح تحديدا تاما، والأرجح أنهم أرادوا به الشعر المتحرر من بعض القيود الفنية الصعبة، كالوزن والقافية.
على أن هذه الدعوة تأثرت في أكثر الأمر بمذهب الشاعر الأمريكي "والتر هوتمان" الذي هجر الأوزان في معظم شعره، وكذلك لم يهتم بالقافية، ووجه جل اهتمامه إلى الإيقاع الموسيقي للشعر، وكان بعض الشعراء في أوروبا قد شكوا في ضرورة الوزن للشعر، وإن لم يلق رأيهم أنصارا كثيرين في أمريكا وفي بلجيكا، بل لم يصادف رأيهم نجاحا يذكر في إنجلترا وفرنسا.

وفي عام ١٩١٧ نشر "اليوت" ديوانا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القديم وزنا وقافية، وعنوانه "أوراق العشي".

ونظم من الشعر الجديد مايكوفسكي وبعض الشعراء.

ونحن نعلم أن في أوروبا مدارس أدبية تبني تحطيم القديم بحثا عن شيء جديد، من مثل مدرسة التعبيرين، ومدرسة العبثيين، وغيرهما. وفي مجموعة "هجر الإنسانية" التي أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك.

ومع ما وصلت إليه القصيدة العمودية من تخفيف القيود الفنية المفروضة فيها على أيدي المعاصرين لم يكن هناك حاجة أو ضرورة إلى شيء آخر، مع أن الفن هو الفن لا بد فيه من القيود، ولا يحيا الفن بغير القيود، بل إن الفن عند نيتشه هو اللعب بالقيود والمهارة في هذا اللعب.

ولا ننسى أن القصيدة العمودية بعروضها الموروثة قد قلدها الشعر الفارسي والتركي، بل والعبري أيضا كما أنها استخدمت في كل أنواع الشعر: الفناني والقصصي والملحمي والمرحلي، وبذلك صارت مطواعة للتعبير عن مطالب الحياة وأفكار الشاعر.

ولقد غالى بعض الرعاة إلى الشعر الحر، فزعموا أن عمود الشعر قد انتهى إلى الأبد، وانتهت معه القصيدة العمودية إلى غير رجعة كما يتصورون وانتهى معها الشعراء العموديون بلا رثاء أو بكاء أو وفاء، كأنما هم أعداء، لا يستريح شعراء الشعر الحر إلا إذا أجهزوا عليهم. ودعا لويس عوض إلى تحطيم عمود الشعر تحطيما كاملا. ورأى بعض أبواقه أن الشعر هو الشعر الجديد. وما عداه ليس شعرا على الإطلاق.

-٤-

والخروج على الوزن الشعري مع ملاحظة تنغيمات موسيقية خاصة يسمى شعرا حرا عند أبي شادي والسحرتي، الذي يقول: ليس الشعر الحر ضربا من القوضى. بل أن له صناعة فنية تخلق إيقاعات موسيقية، وإن خالفت الإيقاعات التقليدية الموروثة. وسماه السحرتي شعر اليوم والشعر الحر ثم صار الشعر الحر في رأي نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" لا يطلق إلا على تنويع التفعيلات في أشطر القصيدة، ولها كثير ومحمد فريد أبو حديد، وسهير القلماوي وأبي شادي.

ولويس عوض، والمازني، وغيرهم تجارب كثيرة تمثل أولية الشعر الجديد أو الشعر الحر.

ومن الشعراء الذين ينظمون الشعر الحر من يتأثرون بالطريقة القديمة، فيلتزمون في أحيان كثيرة القافية، كنزار قباني والقيتوري ومنهم من يتركها كنازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، والبياتي.

وكان بعض الذين ينظمون منه يقيدون أنفسهم بالشكل الهرمي، فيبدأون البيت الأول بتفعيلة، والثاني بتفعلتين، والثالث بثلاث، والرابع بأربع، والخامس بخمس تفاعيل. ثم يعودون في البيت بعده إلى أربع تفاعيل، فثلاث فائنتين، فواحدة. والكثير لا يقيد نفسه بهذا الشكل الهرمي فيختار بحراً من البحور ذوات التفعيلة الواحدة ويجعل البيت مستقلاً بمعناه سواء أداه الشاعر بتفعيلة أو بأكثر، فقد يكون البيت عندهم عشر تفاعيل وقد يكون تفعيلة واحدة.

ومن شعراء الشعر الجديد - الحر - من لا يقيد نفسه ببحر من البحور، ويتوهم موسيقى داخلية خاصة به ينظم عليها قصيدته ..

وهكذا صار الشاعر (الحر) لا يتقيد بنظام التفاعيل العروضية، ولا يقيد البيت الشعري بنظام الشطرين، وكان التفعيلة العروضية هي الأداء الموسيقي للشعر الجديد، ولذلك يسمى شعر التفعيلة، وإن كان البعض يترك التفعيلة نهائياً باسم التجديد.

كيلانى سند
١٩٢٥ - أول نوفمبر ١٩٧٩

شاعر موهوب، وموهبة نادرة نظم الشعر العمودى والشعر الحر؛ وأجاد
إجادة بارعة، وأغلب شعره من الشعر الجديد (الحر)، ولذلك صفته فى المدرسة
الجديدة.

من مواليد محافظة أسيوط من قرية أبو محمد، حصل على الشهادة العالية
من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ثم حصل من الكلية ذاتها على الدكتوراه عام
١٩٧٤م.

عمل بالتدريس وبعد حصوله على الدكتوراه عين مدرسا فى كلية التربية
باليوم التابعة لجامعة القاهرة - وهو من أعضاء رابطة الأدب الحديث الفداوى.
صدر له من الدواوين:

- قصائد فى القنال ١٩٥٦.

- فى العاصفة ١٩٦٠.

- قبل ما تسقط الأمطار ١٩٦٦.

- فى انتظار المطر ١٩٧٦.

ورسالتة للدكتوراه هى عن حازم القرطاجنى شاعرا وهى مطبوعة فى الهيئة
العامة للكتاب، وله ابن واحد هو خالد كيلانى حسن سند.

كتبت عنه فى الجزء الثانى من كتابى "الأدب العربى الحديث" ص ٢٢١ -

٢٨١.

كما كتبت عنه فى كتابى الشعر والتجديد (١٤٥ - ١٤٨، ٤٩٧).

وله كتب ودراسات أدبية مطبوعة، منها:

- ذو الرمة.

- تجارب شعرية.

- إلى دراسات أدبية كتبها لطلابه فى كلية التربية باليوم ومن شعره قصيدته الأولى
من ديوانه "قبل ما تسقط الأمطار"، ويقول منها:

أقسم أنى ما قصرت
سرت، جريت، مشيت على الشوك
مشيت ما قصرت
ما وفرت ضياء العين
ما وفرت
اسكن الطرقات المكتنظة بالأحجار
ما تركت لى أن اختار
وأنا كالصفور وزندى
لا يصمد وسط التيار
مع الأشرار
يا كلماتى:
يا خيمات تحمينى من
وهج الصيف أو الأمطار
مما يرفع رأسى زهوا
أنى ما سطرت الأحرف لقوا
ما دنست طريق الشعب

الدكتور كمال إسماعيل

شاعر جاء من عبقر

وفي يميني يديه ديوان جديد من نظمته، يمثل صفوة ما انتهى إليه الشاعر من مفهوم لعصرية الشعر، بالعودة إلى الأعراف الموسيقية للجنس الشعري، والرجوع إلى الصوت والكلمة والتراكيب بوصفها البناء الشعري.
القصيد عند بناء لغوي تمسحه يد شاعر متذوق بكف من حرير، لتعود بهذا البناء إلى عبقرية الشاعرية وأصالتها .. وعمودية القصيدة عنده الدعامة الكبرى لفن الشاعر:

وتحيا في عمود الشعر لا هذا الذي يفري
وشاعرنا د. كمال إسماعيل في هذا الديوان "الانتساب إليها" أي إلى الوطن الحبيب مصر، التي لا ترح ذهنه وفكره ومخيلته أبدا في حله وترحاله، يعرف للشعر قدره، ويعود به إلى منابعه الأولى، ليرسمه لحنا جميلا، وإلهاما روحيا خالصا خالدا.

المضمون هو الانتماء والوفاء والولاء لمصر، والتصوير لكل ملامح الفكر والثقافة والحياة والطبيعة والحضارة فيها، وللقاهرة الأسطورة الخالدة الرابطة على ضفتي النيل، آخذة بالأمر ساهرة فتانة .. وحسبك أن تقرأ مثل قصيدة: حاضرة ألف عام أو مصر في الضوء الساطع، أو الانتساب إليها، أو مصر اليوم، أو أدخلوها بسلام. وغيرها، فلسوف تجد قلبا ينبض بكل معاني الحب للوطن النليد.
الديوان كله نغم شعري أخاذ، لحن جميل، فيه من رمزية الرمزيين الكثير من الأصباغ والألوان، تقرأ في قصيدته "الفكرة الأولى":

فقلت: أنت ما ترلنك

ما لرميه، هل آرلر

ويترسل في حوار عميق بينه وبين من يسمون أنفسهم المجددين.

أنت نزار قباني

الأطراب والمزهر

والترصيع فى الأسطر
أاليوت ونعى العصر
وتضمن من الماضى
من اليونان والقيصر
ويترسل فى الرد على هؤلاء:

فقلت: لأنف شمانزى
نزار فيك مستحضر
وبدر شاكرا السحاب
متبوع ومتقطر
وإن كان نزار عارفا
بالزيف والجوهر

ويظل فى استرساله فى الحوار فى لغة عذبة عميقة، شعره إلهام لا صفة:

وقد أشارت لشعرى وهى قائلة
أن أصرف الشعر فى بيت التفاعيل
وقد أرتنى به بيتا بنى نسقا
الله ألهمنيـه، رب جـبريل
ويعزف البعض فوق الخير والنيل

سبع عشر- قصيدة عمودية، وخمس من شعر التفعيلة مجازاة لدعاة التجديد،
أربع وعشرون قصيدة، احتواها هذا الديوان الجديد فى موسيقاه الشعرية ذات
التركيب العمودى.

والصورة الشعرية الجديدة، والبناء الفنى المتلاحم للقصيدة عند الشاعر،
والوحدة العضوية، إلى التجربة الشعرية العميقة .. كل ذلك صداه عميق فى
الديوان . والمضامين والأفكار والمعاني الشعرية عند الشاعر لا تأتى له من أول وهلة.
بل يغوص عليها غوصا، ليستخرجها من أعماق نفسه ومشاعره، مما يجعلنا نقول: انه
شاعر الخاصة لا شاعر الجماهير

تحية للديوان وللشاعر د كمال اسماعيل

فتحى سعيد

شاعر عاش ورحل فى نضرة الزهر وشعره كان يصوغه من جمال الفجر،
وصوره الخلاية كانت تشي به كما يشي بالحسنة شذى العطر .. ذلك هو فتحى
سعيد الشاعر المسافر إلى الأبد.
والذى رحل عنا وهو فى السابعة والخمسين (١٩١٣ - ٢٠ يناير ١٩٨٩م).
وقرأناه فى دواوينه الأحد عشر:

١٩٦٦	فصل فى الحكاية
١٩٦٧	أوراق الفجر
١٩٧٣	مصر لم تنم
١٩٧٥	دفتر الألوان
١٩٧٩	مسافر إلى الأبد
١٩٨٠	إلا الشعر يا مولاي
١٩٨٠	رباعيات السلوم
١٩٨١	بعض هذا العقيق
١٩٨٢ مسرحية شعرية	الفلاح الفصيح
١٩٨٦	أغنيات حب صغيرة
١٩٨٨	ثروة على مائدة ديك الجن
	وفى كتبه السبعة:
١٩٦٦	الغرباء
١٩٧٨	شوقي أمير الشعراء - لماذا؟
١٩٧٩	أبو الوفا: رحلة الشعر والحياة
١٩٨٠	عشاق لكن شعراء
١٩٨٥	فى بلاط الصحافة والأدب
١٩٨٨	السفر على جواد الشعر
١٩٨٨	عن الشعر والشعراء

قرأناه:

كاتبنا.

وأديبنا.

وناقدا.

وصحفنا.

كاتب أسلوبه فيه روعة السحر، وانسياب النهر.

وأديب بلاغته فيها صفاء البدر ومعانيه فيها عمق البحر.

وناقدا يجيد التحليل والتفسير في حيدة وإنصاف وعدالة حكم.

وصحفى مزج بين حقائق الصحافة وخيال الشعر وبلاغة الفن في تعادل

عجيب ..

لكنما كان فتحى سعيد يتنبأ بنهاية حياته حتى ليقول فى ديوانه "أغنيات

حب صغيرة" من قصيدته "سأحيا غدا" .. أنه سيحيا بعد أن يلقى الردى:

يحيا فى مهرجانكم هذا.

يحيا فى عقول الجيل الجديد.

يحيا فى ضمير الشعب.

يحيا فى نبض الوطن.

يحيا فى صحف الذكرى.

يحيا فى تراث الأجيال.

ويقول:

وتمتم العراف حين قلب اليد

تود أن تعيش، غير أنه سدى

فالموت أينما ذهب راصدا.

وتعشق الصعود غير أنه القدر.

يشاء غير ما تشاء، لن تفر، خذ الحذر.

ففى الصعود يكمن الخطر.

وسوف تنحو مرة من الردى.

وبعدها نحابه الردى.

أنه ابن الدوقة التي تتبع صفط الحرية مركز إيتاي البارود .. الذى تلقى على والده العالم والمدرس والأستاذ بلاغة الحريرى والمنفلوطى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد شوقى، فكتب الشعر صغيرا .. وسارت به الأيام إلى حيث تخرج من قسم الاجتماع فى كلية الآداب ليعمل فى السلوم إخصائيا اجتماعيا لثمانى سنوات.. ثم ليعمل صحفيا فى الجمهورية لعام، ثم صحفيا فى مجلة الإذاعة والتلفزيون أكثر من عشرين عاما .. مع رفيق حياته جلال العشرى .. وفيها كتب أجمل الفصول الأدبية الممتعة.

ثم ليعمل رئيسا لتحرير مجلة الشعر أخيرا وقبل وفاته بعام.

إلى عضويته فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

وفى مجلس إدارة اتحاد الكتاب .. وقبل رحلته الأبدية سافر مع زميله ورفيق حياته جلال العشرى إلى روسيا فى زيارة أدبية ممثلا لاتحاد الكتاب.

وعادا من الرحلة حيث مات جلال .. ولحق هو به فى عالم الأبدية بعد أسابيع قلائل ..

الشاعرة جميلة العلايلي

فى الحادى عشر من أبريل ١٩٩١ لقيت ربها الشاعرة الأبوللية المبدعة جميلة العلايلي، بعد حياة طويلة حافلة بالإبداع الشعرى، فلقد عاشت للشعر، ومع الشعر، ومن أجل الشعر، على امتداد حياتها التى قدمت فيها للأدب العديد من الدواوين الشعرية الرصينة، من أشهرها نبضات شاعرة، كما خلفت العديد من المؤلفات القصصية والأدبية.

وكانت جميلة العلايلي من أسبق الشاعرات إلى الانضمام لجماعة أبوللو منذ قيامها عام ١٩٣٢م.

وأصدرت مجلتها الأدبية الأهداف منذ نهايات العقد الخامس من هذا القرن وظلت تصدرها نحو ربع قرن قدمت فيها لقرائها زادا كبيرا من الأدب والشعر والفكر. وقد عاشت مع المرض فترة طويلة فى أخريات حياتها، وعانت كذلك الكثير من الأزمات المالية، بسبب مجلتها وكتبها التى كانت تطبعها على نفقتها الخاصة. وشعرها الإسلامى والوجدانى والصوفى والوطنى درة متألقة فى جبين الشعر النسوى العصرى.

وجدير بالهيئات الأدبية أن تعنى بشعر تراث الشاعرة وحفظه للأجيال.

فهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تصدير
٧	مع مدارسنا الأدبية
٩	الباب الأول مدرسة البعث والأصالة
١١	مدرسة البعث
١٨	محمود سامي البارودي
٣٠	أمير الشعراء أحمد شوقي
٣٤	حافظ إبراهيم
٣٩	أحمد محرم
٤٥	عزيز أباظة
٥٥	علي الجارم
٥٧	الشاعر الماحي
٥٩	الشاعر محمود غنيم
٦٠	أحمد الزين
٦٢	محمد الأسمر
٦٣	عليه الجعار
٦٤	وجدان الشاعر
٦٧	الباب الثاني مدرسة شعراء المهجر
٦٩	مدرسة شعراء المهجر
٨٦	إيليا أبو ماضي
٨٨	ميخائيل نعيمة
٩٠	زكي قنصل أحد أعلام شعراء المدرسة المهجرة المعاصرة
١٠٧	الباب الثالث مدرسة شعراء الديوان
١٠٩	مدرسة الديوان
١١٥	رواد مدرسة شعراء الديوان

الصفحة	الموضوع
١٢٣	المدرسة وحركة التجديد
١٢٨	عبد الرحمن شكرى رائد مدرسة الديوان
١٤١	عبد الرحمن شكرى من رواد الشعر
١٤٨	شكرى والشعر الحديث
١٥٠	عباس محمود العقاد
١٦٨	نظرية الشعر عند العقاد
١٧١	طاهر الجبلوى وجماعة الديوان
١٧٣	الباب الرابع مدرسة شعراء أبوللو
١٧٥	مدرسة أبوللو
١٨٠	أبو شادى وديوان النبروز الحر
١٨٦	ناجى والشعر الغنائى
٢٠١	حسن كامل الصيرفى
٢١٠	عامر محمد بحيرى
٢١٥	د. مختار الوكيل
٢٢٣	اسماعيل سرى الدهشان
٢٢٨	محمود حسن إسماعيل
٢٣٢	الصحرتى ناقد من جيل الرواد
٢٤٤	الصيرفى شاعر التجديد
٢٥١	الشاعر محمد عبد الغنى حسن
٢٥٨	محمد حسن عواد
٢٦٠	تيارات فنية فى شعر نازك الملائكة
٢٦٦	الخفاجى شاعرًا
٢٧٥	الباب الخامس شعراء أبوللو الجديدة
٢٧٧	أبوللو الجديدة
٢٧٨	الشاعرة جليلة رضا
٢٨٣	الباب السادس مدرسة الشعراء الإسلاميين

الصفحة	الموضوع
٢٨٥	مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي
٢٨٦	محمد إقبال شاعر الإسلام
٢٨٩	شاعر من مكة
٢٩١	الدكتور عبد العزيز شرف والرومانسية في ديوانه إلى نبع الحب
٢٩٩	الشاعر هلال ناجي وديوان مرقأ الذكريات
٣٠٥	شاعر الملاحم كامل أمين
٣٠٦	مدرسة الشعر الجديد
٣١١	كيلاني سند
٣١٣	الدكتور كمال إسماعيل
٣١٥	فتحي سعيد
٣١٨	الشاعرة جميلة العلايلي

تم بحمد الله

مع تحيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية